مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

(الحرب)

انعكست أشعة الشمس على الدروع الذهبية الطويلة التي وضعها آلاف الحراس أمامهم وهم يتراصون بنظام بجانب بعضهم البعض أعلى سور القلعة الحصينة، يفصل بين كل 10 منهم رامٍ يسند سهمه الأسود الطويل على سور القلعة موجهًا إياه إلى جيش غريب الهيئة اصطف على الرمال مقابلهم على بُعد عدة كيلو مترات.

كان الجيش الغريب ينتظر إشارة الهجوم من سيدهم الذي وقفَ في مقدمتهم عاقدًا ذراعيه بتحدٍ، وبجانبه عشرات الذئاب التي تنسدل من أفواهها أنياب تنذر بالموت السريع.

أما القائد فجسده أشبه بتكوين البشر، أبيض البشرة عاري الجزع إلا من سلسلة سوداء رفيعة تدور حول خصره وتربط كتفه الأيمن، أصلع الرأس عريض الصدر مغطى بأوشام محفورة على جسده، يناهز طوله المترين. وقف ممسكًا في يده اليمنى رمحًا رفيعًا قبل نهاية طرفه المدبب يوجد قطعة طويلة من اللادن الأسود.

وقف بثقة وحوله تقافزت الذئاب وزامت بشراسة ولسان حالها يدعوه ليسمح لهم بالهجوم وإشباع ظمأهم من دم البشر.

نظر إلى القلعة العالية التي يحيط بها 6 أبراج عالية، والتي وقف في فتحاتها رماة الأسهم، يرى في عيونهم- رغم بعد المسافة- خوفًا واضحًا من هيئته ودرعه الذي يمسك به ويضم دائرة مفرغة تملؤها دوائر متشابكة مطلسمة صنعها أمهر سحرة الأرض.

اصطف خلفه الآلاف من جنوده الذين يُطلق عليهم "أصحاب القسم"، لهم نفس هيئته وإن كانوا أقل ضخامة من جسده، لكنهم رغم ذلك يثيرون الخوف بصيحات تتعالى من حناجرهم تنذر بالهلاك، امتزجت بصوت أبواق من العظام نفخ فيها أصحاب النداء وهي كتيبة ترتدي الأسود وقفت في نهاية الصفوف تثير الحماسة في نفوس الجيش، وتبعث الخوف في المحتمين خلف الأسوار.

ألقى عصفور رمادي نظرة على جيش المسوخ ثم اتجه إلى القلعة، وطار حتى وقف على حافة نافذة طولية تطل على قاعة الحكم، هي واحدة من 7 نوافذ تشبهها تتسلل عبرها أشعة الشمس الدافئة، وكشفت ملامح الموجودين الذين وقفوا حول الملك قشمين بردائه الأسود المميز وتاجه ناصع البياض المزخرف بالذهب.

يبدو من ملامحهم الجامدة أنهم يتناقشون في شيء خطير، وهو ما أكدته نبرات صوتهم المرتجفة وصراخ الملك، الذي ما إن خرج من حلقه حتى طار العصفور بعيدًا تاركًا البشر

يواجهون الكارثة المقبلة.

كان الغضب يسود والأمل كبريق أسود في ليلة حالكة لا يراه الحضور، هكذا شعر المستشارون وقادة جيشه وهم يقفون أمام الملك قشمين يفكرون في حل لمواجهة تلك المسوخ التي تقف خارج الأسوار، يبحثون عن أمل لإنقاذ المملكة بأقل خسائر.

تحسس قشمين مقبض سيفه الطويل الذي يزين خصره، وقال بخوف لم يستطع أن يداريه رغم ملامحه القاسية:

- رفيسول أمامه وقت قصير ويقتحم القلعة، وهذا الشيطان لا أسوار تمنعه أو جنود يقفون أمام جيشه.

رأى الذعر في عيون الجميع، فزاد بحدة وأغلق قبضته متحديًا:

لا وقت للخوف، قلت لكم من قبل: إنه لا حل سوى أن نبدأ بالهجوم على الممالك والسيطرة عليها، وها هو الآن سيفعلها، الآن يريد تدمير نورودا صاحبة العلم والمعرفة والحصول على كنزي النمين!

ثم طرق على منضدة طويلة أمامه مصنوعة من الأبنوس، وتابع:

- لا حل سوى تنفيذ خطتي لإيقافه ومن معه، وأنتم تعلمون ذلك بغض النظر عن فداحة الخسارة.

أحنى أحد مستشاريه رأسه باحترام وقال بنبرة مرتجفة من الخوف:

"لكن يا مولاي الـ..". قاطعه قشمين بغضب وبصوت أثار رجفة أخرى في أجسادهم:

- قلت: لا حل سوى ذلك، وسأفعلها.

نظر الحضور إلى بعضهم البعض وامتقع وجه بعضهم، فيما أطرق آخرون رؤوسهم إلى الأرض يفكرون في حل فشلت عقولهم التي لطالما تفاخروا بها أن تجده، لكن قطع عليهم قشمين الخط بقول حسم:

- أحضروا السحرة من السجون وائتوا بهم إلى هنا، لا وقت لدينا.

فور إتمام جملته، اتجه كبير الحرس إلى الخارج بسرعة وأصوات خطواته يغطي عليها صوت انهيار الأبراج والأسوار في الخارج بعد أن بدأ الهجوم.

صوت الدمار وحلول الموت ضيفًا على المملكة جعل الرجفة تسري مجددًا في أجساد الجميع، وهي فرصة جيدة؛ لأنها جعلتهم يوقنون من أنه لا حل إلا تنفيذ خطة قشمين.

يعرفون أن بانهيار الأسوار أصبحت فرصة نجاتهم معدومة، وأي محاولة أخرى للمواجهة غير فكرة الملك ستعتبر رهانًا خاسرًا، وما هي إلا ساعات قليلة وتنهش ذئاب الجحيم أجسادهم.

دقائق ودخل عشرات السحرة في صف طويل، مكبلة أيديهم بسلاسل سوداء ضخمة شاخصة أبصارهم، وعلى وجوههم أمارات خوف من مصير قادم يعلمون أنه الموت فقط، فيما وقف قشمين أمام درجات رخامية أعلاها كرسي العرش المصنوع من الرخام المطعم بالذهب على هيئة ثعبان ومقعده من الريش.

عقد الملك يديه أمام صدره حتى اكتمل وصول السحرة، ثم اقترب منهم، ولم ينتظر المزيد من الوقت، بل أمر جنوده بأن يقف السحرة في دائرة حوله وجلس هو على الأرض الرخامية وأشار إلى أحد السحرة للتوجه إليه.

نظر الساحر بملابسه السوداء الممزقة من أثر التعذيب إلى الملك قشمين ودلت ملامحه على أنه يفكر في الهروب، وهو ما ترجمته نظراته السريعة التي ألقاها حوله، لكن تواجد جنود الملك وجيوش رفيسول التي تنتظر في الخارج جعلته يعقد العزم على الذهاب مهما كان مصيره، فموت حاضر أفضل من موت مؤجل. هكذا فكر فاقترب من قشمين الذي لم يترك له فرصة للتفكير في شيء آخر؛ لأنه أخرج خنجرًا من نطاقه الفضي ونحر عنق الساحر ليسقط جسده على الأرض وتنهمر الدماء مغرقة مكان وقوف الملك.

رفع قشمين رأسه وهو يزيح عباءته المصنوعة من الحرير الأسود وألقاها جانبًا على الأرض، وهو ينظر إلى دماء الساحر المنحور التي سالت في أحافير صغيرة في الأرض لترسم علامة هي مزيج من "الفاي" ومثلث متقاطع وقف داخله وهو يخرج من جيبه فصًا أسود كبيرًا بعض الشيء بحجم ربع كف يده، ثم جلس ووضعه أمامه بحرص وهو يغمض عينيه ويقول للسحرة حوله: "تعلمون طقوس التضحية، وأمامكم خياران، إما أن تفعلوها وتظل قوتكم محفوظة إلى الأبد أو لا تفعلوها وتصبح أحشاء مسوخ رفيسول ملاذكم الأخير".

تبادل السحرة النظرات وتقدم أحدهم راضخًا وهو يكسر دائرة زملائه ويجلس أرضًا ويمد يده المقيدة بالسلسلة أمامه وهو يغمض عينيه ويفتح يده اليمنى، نظر قشمين إلى أحد الحراس فاقترب الرجل من الساحر الجالس ووضع في يده خنجرًا، فيما اقترب بقية السحرة وجلسوا بجانبه صانعين دائرة حول قشمين.

"اخرجوا جميعًا الآن"، أمر بها قشمين جنوده ومستشاريه؛ ليهرول الجميع كل واحد منهم يفكر في طريقة لإنقاذ حياته، وبمجرد أن سمع الملك صوت أبواب القاعة الخشبية الضخمة

وهي تُغلق أرخى جسده على الأرض فاردًا يديه وقدميه ليشعر بالأرض الرخامية الباردة تداعب جسده ويبتسم وهو يترقب ما سيحدث، أما السحرة فبدءوا يتلون طقوسهم بنبرة تصاعدت وسرعان ما زادت بصراخ خرج من حناجرهم وسمعه من في خارج القاعة، ثم ساد الصمت إلا من أصوات اقتحام المسوخ للقلعة وصراخ البشر.

***

(يناير 2021)

اكتست وجوه الحضور بالحزن البالغ واصطف أكثر من 15 شخصًا على مقاعد بعضها وثير وبعضها خشبي مصدرها فراشة مناسبات، فيما تناثرت فناجين القهوة والشاي وأكواب المياه أمام بعض الموجودين الذين يجلسون في الشقة الواسعة لتقديم واجب العزاء في وليد صاحب الأربعين عامًا الذي تُوفي فجأة.

مقابل الباب يتزين حائط الصالة بلوحة للمتوفى في ليلة عرسه مع زوجته التي يبدو عليها أمارات الجمال، وحول المعزين الأثاث القديم الذي ينمّ عن أن العائلة من أسرة متوسطة الحال، فيما تصاعد صوت بكاء خافت من غرفة بجانب الصالة بها الزوجة المكلومة وأمامها يقف هشام الابن الذي لم يتخطّ بعدُ الـ24 عامًا، ولكن كُسر ظهره برحيل والده، يحاول أن يواسيها ويصبر نفسه على ما ألم بهما.

- كفى يا أمي، تماسكي. خالاتي في الخارج ينتظرونك لتقديم العزاء، اهدأي قليلًا، البكاء لن يُعيد من رحل.

نظرت له أمه بعين احمرت من أثر البكاء:

- دعهن ينتظرن، فنحن لا نراهن إلا في المناسبات!

أعقبت كلماتها ببكاء متصل، فربت هشام على كتفيها بحنان، واحتضن رأسها، وقبّله ثم نهض خارجًا لتلقي واجب العزاء، وهو يفكر في مستقبل الأسرة بعد وفاة عائلها الوحيد.

مع مروره من باب الغرفة توقف صوت القرآن الكريم فجأة، فحملت تعبيرات وجهه بعض الاستغراب، خاصةً مع تزامن ذلك بشعوره بتيار من الهواء الساخن الذي لفح جانب وجه جعله يصرخ بشكل لا إرادي بصوت واضح دفع الجميع للنظر إليه بتعجب.

لم يعلق أحدٌ أو ينهض من مكانه، وإن تبادل بعضهم النظرات؛ لأن الوقت لا يسمح بتساؤلات. تجاهلوا صرخته منعًا لإحراجه، فيما توقف هشام بخجل وهو يفكر في لفحة الهواء غير الطبيعية التي شعر بها؛ لأنهم في الشتاء ودرجة الحرارة أقل من 20؛ فمن أين

جاءت؟!

استكمل طريقه ليعيد تشغيل الكاسيت الذي توقف فجأة وعاد لاستقبال المعزين، وبعدها بدقائق خرج إلى الشرفة ليشرب سيجارة في محاولة فاشلة للتخفيف عنه لثوانٍ.

زفر بغضبٍ مع دخوله الشرفة بعد أن وجدها مظلمة تمامًا فاعتقد أن المصباح تعطل ليزيح طرف الستار الثقيل الذي يحجبها عن الشارع، وجلس على كرسي بلاستيكي موضوع بعد أن أغلق خلفه الباب الزجاجي والخشبي؛ حتى لا تتسلل أبخرة الدخان إلى الداخل، فيما جلس واضعًا قدمًا على قدم في عادة ليريح قدميه بعد يوم شاق.

فور جلوسه ضرب مسامعه صوت عواء كلاب يتصاعد من الأسفل؛ فنهض لينظر ليجد أمام نظره عشرات الكلاب تقف أسفل الشرفة مقابل مدخل عمارتهم وترفع رؤوسها إلى الأعلى بنباح وعواء مخيفين بصوت جعل جسده يقشعر؛ لأنه لا يحب الفأل السيئ، ولا يشعر بالراحة عندما يواجه أشياء غير مقنعة. فكر، لماذا تنبح الكلاب بهذا الشكل خاصةً وأنه في الطابق الثاني، كما أنه من الواضح من منظرهم أنهم ينظرون إليه مباشرة؟!

أما الأغرب بالنسبة إلى هشام أن الكلاب كان يتوسطهم حيوان أسود اللون حالك لونه كما الليل، ضخم يكشر عن أنيابه وعيناه رماديتان طوليتان بشكل غريب وناب واحد يسقط من شدقيه يزين وجهه المخيف!

لم يدرِ بنفسه إلا وهو يمسك أحد مشابك الملابس من صندوق كرتون بجانبه وألقاه عليهم بسرعة، لكن لم يتحرك أيٌ منهم. عاد وأمسك الصندوق ثانية ورفعه استعدادًا لإلقاء المزيد من المشابك عليهم فلم يجدهم.

الكلاب اختفت!

زادت القشعريرة في جسده وبدأ يتلو المعوذتين، ثم ألقى بقايا السيجارة المشتعلة للأسفل والتفت ليدخل الشقة ثانيةً، ولكنه تسمّر في مكانه مصدومًا بعد أن شاهد ظلًا لشخص يقف في نهاية الشرفة، ويبدو أنه لم يره سابقًا؛ لأن الستار الثقيل كان يحجبه أو تستر هذا الشخص في الظلام!

الظل كان بحدود إنسان، لكنه ينظر إليه ولا يتحرك، وإن كانت حدود جسده أقرب لشخص عشريني. حاول هشام أن يسأله بصوت قوي عن هويته، لكن خرجت نبرته مهتزة خائفة بعض الشيء: "من هناك؟".

لم يجد أي رد، فحاول تمالك نفسه وأخرج هاتفه من جيبه بسرعة وضغط زر الكشاف

لينبعث ضوء أبيض ساطع كاشفًا الشرفة بأكملها، لكن لم يجد أي شخص!

تصاعدت أنفاسه بتوتر، ومن داخله يقين أنه بحاجة ماسة إلى الراحة؛ لأن عقله أصبح يمارس ألاعيب هو في غنى عنها الآن، كما أن والدته تحتاج إليه فلا داعي لارتباك عقلي يزيد الوضع سوءًا.

بلع ريقه وهو يمسح رأسه ويدخل بسرعة ليجد بعض المعزين قد رحلوا، فيما وقف صديقه الأقرب إليه مروان مع زملائه في كلية الحقوق الذين أتوا لتعزيته، فذهب إليهم مرحبًا بهم شاكرًا لهم سعيهم، ثم دار بعينيه باحثًا عن والدته فلم يجدها في المكان، فعرف أنها لم تخرج بعد من غرفتها. دخل إليها ووجدها جالسة مكانها على السرير، لم تبرح موضعها منذ أن تركها ويبدو أنها نائمة أو ترتاح.

اقترب من أمه بحنان وحزن بالغ وهو يربت على ظهرها وقال: "أما زلتِ يا أمي مكانك؟".

لم يجد ردًا منها. ربت على ظهرها وحاول أن يعدل وضع جسدها لتنام بشكل أفضل، لكنه وجد جسدها ثقيلًا مستسلمًا فبدأت دقات قلبه تتعالى وعقله يضع سيناريوهات لا يقدر على تخيلها، حاول أن ينفضها عنه بسرعة وهو يفتح عينيه على اتساعها رافضًا أي أفكار سوداوية. ربت على وجهها بحنان وهي مغمضة عينيها، ويكاد أن يبكي بعد أن احتبست المرارة في حلقه وكأنها تخنق روحه.

أمي هل أنتِ بخير؟ أمي ردي علي!

وضع رأسها على ذراعه وحاول إفاقتها بيده الأخرى، ووجد رأسها ثقيلة وتسقط بدون إرادة. بدأ محاولات إفاقتها بشكل هستيري ويهز جسدها ووضع رأسها على صدره وبكى بحرقة:

أمي، أرجوكِ لا تتركيني أنتِ أيضًا، يا الله لا تأخذها مني، يا رب لا تفعل بي هذا لن أتحمل.

أخذ يحتضنها بقوة شديدة وكأنه خائف أن يأخذها أحد منه، فيما تصاعدت أصوات الطرق على الباب من الخارج بعد أن سمع بعض الحضور صراخ هشام، يريدون الدخول، وحين لم يرد دخلوا ووجدوه حاضنًا إياها وهو يبكي.

رحلت، ماتت وتركته وحيدًا، هكذا اقتنع عقله لثوانٍ؛ ما جعله يمسك يدها بقوة أكبر ويقبل رأسها، وزاد في صراخه وهو يبعد الآخرين عنه وعنها، وسط دعوات بالرحمة أطلقها الحضور لم يتحملها عقل هشام وجعلته يسقط من الصدمة مغشيًا عليه.

(الحارس الأسود)

احتمى حراس قصر ملك الوادي من أشعة الشمس بظلال أوراق الأشجار الفارعة التي تحيط بالمكان، وهم يقفون حوله في نوبات حراسة ويرتدون غطاء رأس معدني، وجزع عارٍ، وفي يد كل منهم رمح طويل لحماية ملك الوادي، بعد أنباء عن محاولات عدوانية من ممالك مجاورة لم تصل أنباؤها بالكامل إليهم، ولكن الأمر كان واضحًا لهم وصريحًا بالوقوف وحماية الملك إيزاد مهما تكلف الأمر.

لفت نظر بعضهم وجود ظل ضخم وكأنه يطير متسللًا بين الأشجار متجهًا إلى البوابة الرئيسية المحفور أسفلها خندق ضخم يمنع مرور أحد إن زُقع، فبدأوا النظر إلى بعضهم البعض وأمسكوا رماحهم بتحفز حتى وصل الظل إلى بقعة خالية من الأشجار مكشوفة ليجدوا أمامهم رجلًا ضخم الجثة عريضًا يناهز طوله المترين يستند على عصا سوداء طويلة ويسير بهدوء وثقة متجهًا إلى البوابة لا يظهر وجهه بسبب غطاء رأس ينسدل على ملامحه ويخفيها.

كاد أحد الحراس المستجدين أن يعترض إلا أن مظهر زملائه دفعه إلى الصمت فأمارات وجوههم تدل على معرفتهم به، ففعل مثلهم وأشار أحدهم إلى الأعلى برأس رمحه فالتقط حارس الجسر الإشارة ليهبط ممرًا خشبيًا يكفي بالكاد مرور 3 رجال بأحصنتهم، ليستمر الرجل في سيره حتى مر بجانبهم وتلتقط أنوفهم رائحة غريبة مزيجًا من عطر الخشجان المعروف بصناعته في بلاد ما خلف بحر الموت، مع رائحة نتنة.

نظروا إلى بعضهم البعض ودقيقة حتى اختفى خلف البوابة الحديدية المطلسمة بعلامات حماية وكتل معدنية مستديرة.

سأل المستجد زميله بجانبه ونبرة التعجب واضحة في كلماته: من هذا؟ فأتته الإجابة "الحارس الأسود!".

***

(هشام)

بعد أسبوع:

بعث مصباح صغير معلق أمام الباب ضوءًا شتت بعض الظلام في الرواق الذي يقود إلى غرفة هشام، فيما تصاعد من داخل الغرفة صوت أنين خافت مصدره الابن المكلوم النائم وهو يتصبب عرقًا رغم الطقس البارد وبجانبه على الكومودينو الصغير مطفأة سجائر مليئة بأعقاب هلكت وزجاجة مياه فرغ نصفها ورائحة تبغ تعبق المكان بشكل ينم عن سوء تهوية.

كان يئن بصوت خافت وصدره يرتفع وينخفض، ومن يراه يراهن على أنه يحلم بكابوس مخيف؛ لأن يده متقلصة على لحاف أزاحه وهو نائم كاشفًا عن جسده النحيل، ورأسه يهتز يمينًا ويسارًا وهو يتحدث بكلمات غير مفهومة لا يظهر منها إلا "أبي" و"أمي".

رأى في منامه سماء ملبدة بالغيوم وبروقًا تضربها بخط أحمر يظهر ويختفي بعد ثوانٍ وأمامه في الأسفل آلاف الهياكل العظمية التي تحاول صعود الربوة التي ينام فوقها بجسد عارٍ إلا ما يخفي عورته.

من داخله يخاف هشام من البروق بمختلف ألوانها كما يخاف الآن أن ينتهي مصيره على يد هذه المسوخ العظمية. لم يستوعب أنه في حلم؛ ولهذا حاول باستماتة النهوض لكنه لم يقدر.

خرجت من الأرض أسفله أيادٍ سوداء مشعرة لتمسك بأقدامه وتمنعه من الحركة، كانت تكبله وتسقره في الأرض خوفًا وأمرًا، فحاول الصراخ بقوة ليجد أن هناك دمًا قانيًا يخرج من فمه كلما صرخ ويتناثر ويتحول قبل سقوطه على الأرض إلى عناكب صغيرة حمراء بمجرد أن لامست الرمال أسفله حتى بدأت تتحرك في اتجاهه لتتسلق جسده.

بدأ يستوعب أنه يحلم؛ فهذا لا يمكن أن يكون واقعًا؛ لأن آخر ما يتذكره أنه كان على السرير يقرأ كتابًا وجده في مكتبة والده الراحل ثم نام!

لا تحلم.

سمع هشام الكلمات من شخص يقف خلفه انتبه إليه فالتفت بجذعه ينظر له ليجده يرتدي زيًا غريبًا، يخفي جسده بالكامل بعباءة سوداء وأسفلها جزع عارٍ مغطى بنقوش دائرية محفورة في جسده ويسيل منها الدم.

صرخ هشام في الرجل بغضب: من أنت؟ أخرجني من هنا!

أتبع جملته بسعال آخر فتساقطت دماء جديدة تحولت إلى عناكب تتسلقه حتى إن جسده السفلي أصبح أحمر اللون من أثرها. العناكب تتجمع وتتوقف عند جذعه العاري فقط، ولا تزيد إلى باقي جثمانه، وكأنها تنتظر أمرًا ما بالهجوم، أما أقدامها المقززة الصغيرة فشعر بها هشام في جسده فزاد في صراخه وسعل المزيد من الدماء!

على الرغم من الوضع الغريب إلا أن هذا ليس كل شيء، فالجثث العظمية المتحللة كانت تقترب أكثر من هشام الذي رأى أيديها تتسلق الربوة التي يقف فوقها، حتى إن إحدى الجثث وصلت بالفعل. الجسد العظمي كان يتحرك بحركة بطيئة لكن وبدون سابق إنذار أصابته صاعقة قادمة من السماء فتفتت وهو يصرخ بصوت رفيع للغاية، فيما تعالى صراخ الرجل خلف هشام وهو يسب شيئًا ما ويقول وهو ينظر إلى الأعلى:

- لن يفوز هو، لا أحد يخسر أمامي حتى ولو كان معه القدر والحراس!

maktabbah.blogspot.com

الوقت لا يسمح لهشام بمحاولة فهم ما يقول الرجل الغريب أو ما يقصد؛ لأن الأرض ارتجت أسفله وخرجت منها ثعابين سوداء صغيرة بدأت تصدر فحيحها وهي تتلوى مقتربة منه!

أريد الخروج من هنا.

صرخ بالكلمات وهو يزيد في استغاثته ويستنجد بأبيه وأمه ليجد صواعق تنهال فجأة من حوله تضرب الجثث العظمية التي بدأت الصعود وتصيب الثعابين التي تقترب منه، فيما تبقت فقط العناكب الصغيرة التي غطت جسده بالكامل.

أغمض عينيك!

تردد صوت في عقله بتلك العبارة فذُهل ولكنه نفَذ مباشرة، وأغمض عينيه لكنه سمع صوت الرجل الغاضب يتردد خلفه وهو يصرخ متوعدًا:

سأعود رغمًا عن الجميع، سأسود بقوتهم، ثم زاد بصوت منذر: سأسود أنا!

بدأت العناكب تتسلق جسد هشام فجأة وتتجاوز جذعه، فشعر بها تصل إلى صدره ثم رقبته، فحاول تحريك رأسه بعنف ففشل في إسقاطها، وسمع صوت صراخ وأنين يتصاعد حوله والأرض ترتج بشدة وأيادٍ تمسك به وترجه بشكل قاسٍ لا يعلم مصدرها.

شعر بالعناكب وصلت إلى عنقه ثم رأسه وبعدها شعر بها على فمه فبصق المزيد من الدماء، ليحاول عنكبوت استغلال صراخ هشام والدخول إلى فمه فأطبق عليه هشام سريعًا وشعر بمرارة في فمه، ولكنه تجاهلها بعد أن وصلت العناكب إلى أنفه، حتى أن أحدها دخل

إلى فتحتها فعطس فخرجت وتجاوزها الآخرون ليصلوا إلى جبهته.

شعر بآلاف الأقدام المشعرة الصغيرة تغمر جسده ورأسه وشعره، فأصبح لا يقدر على فتح عينيه الآن. حاول أن يصرخ أو يبكي فلم يقدر، فاستمات ليحرك جسده ويدفع الأيادي العظمية التي تمسك به لكنه فشل.

سمع صوت خطوات ضخمة تقترب منها وأيدٍ لزجة باردة تتحسس جسده وتوضع على صدره، فانتفض جسده بقوة وهو يشهق بعد أن شعر بالأصابع الطويلة تنغرس في لحمه ويشعر بألم حارق رفيع يخترق جسده، ثم سمع أصوات لحمه وكأنه يتمزق لتخرج صرخة لم يتخيل أن تصدر عن حنجرته. صرخة ترددت في المكان بشكل زاد من ارتجاج جسده ودفع الشخص الذي يحاول شق جسده لإطلاق صرخة مماثلة مليئة بالغضب، ثم ظهر نور ساطع تخطى جفونه المغلقة ودفعه لفتح عينيه على اتساعها ليفتحها بالفعل وينتهي كل شيء بغتة!

وجد نفسه على السرير يشهق بقوة ويكافح لالتقاط أنفاسه، لا يصدق ما يحدث بل لا يعلم كيف عرف أنه يحلم ولم ينتهِ الحلم!!

لم يدرِ بنفسه إلا وهو يمد يده إلى جانبه ويلتقط سيجارة ثم أمسك القداحة وأشعلها وفي ضوئها تراجع مذعورًا بظهره ليرتطم بظهر السرير الخشبي، وهو يكاد أن يصرخ برعب!

رأى أمامه وفي نهاية الغرفة نفس الظل الذي شاهده سابقًا في الشرفة، كان ينظر إليه بعيون وكأنها تشتعل سرعان ما اختفت بعد أن وصل لهب القداحة إلى يد هشام فأغلقها رغمًا عنه، ثم أشعلها بتوتر بسرعة لكنه لم يجد أي شيء!

لم يستوعب ما يحدث، فتكور بجسده الذي أسنده على السرير ووضع رأسه بين ركبتيه وبدأ في البكاء كطفل صغير.

مشاعر اختلطت داخل هشام، لا يعرف ما يجري أو ما الذي حدث في حياته فجأة، بل شعر وكأن الكون الصغير الذي يعيش فيه تحطم فجأة بعد أن فقد والده ووالدته في يوم واحد، ومن بعدها فقد كل ما يريده من متاع الحياة، ولم يتبقَّ له سوى صديقه مروان الذي يأتي لزيارته يوميًا ليطمئن عليه ويحاول أن يدفعه للخروج من الشرنقة الإجبارية التي وضع نفسه فيها.

حتى الكلية، لم يعد هشام راغبًا فيها، بل أصبح أقرب إلى زهد العلم والأصدقاء والحياة نفسها، ولكن الآن حتى حلمه أن يكون وحيدًا أصبح غير ممكن بسبب الأشياء الغريبة التي يمر بها.

زاد في بكائه وهو يضع رأسه بين ركبتيه أكثر، وهو يشعر أنه وحيد للغاية في هذا العالم، لا أحد معه يؤنسه أو يخفف من وحشة الحياة عنه، حتى أنه من ألمه الكبير لوفاة أمه لم يدخل غرفتها من بعد وفاتها، وأصبح يتحاشى التجول في الشقة، ولا يذهب إلا للمطبخ والحمام وغرفته التي يحمد الله أنها في نهاية الرواق وحيدة مثله.

حاول أن يتوقف عن البكاء وشعر بغصة في حلقه فبلع ريقه وهو يرفع رأسه ناظرًا حوله بتأثر، ويفكر في أنه من بعد أن أصبح يتيمًا والكوابيس تزوره بشكل شبه يومي، لكن الكابوس هذه المرة كان أقرب إلى الواقع!

شعر بألم بالغ في جسده، وتحديدًا في صدره. تحسسه وشعر وكأن هناك شيئًا حارقًا على جلده. نهض وخرج ثم فتح أنوار الشقة وإذاعة القرآن الكريم من الراديو في الصالة وبعدها دخل الحمام ليتوضأ للصلاة وخلع ملابسه العلوية، وهو ينظر إلى المرآة ويرتسم الذهول على ملامحه وتتحجر الدموع في عينيه وتسري البرودة في أوصاله، وهو يرى على صدره آثار أصابع وكدمات زرقاء وخمشات حمراء عليه، وهناك علامة دائرية واحدة وكأنها محفورة على جلده.

دارت رأس هشام وشعر بأنه يقترب من السقوط أرضًا من الصدمة، حاول التماسك وأغلق غطاء المرحاض وجلس عليه ووضع رأسه بين كفيه وفكر. هكذا الأمر لا علاقة له بكوابيس أو أحلام بل أصبح الوضع مخيفًا، لكن رغم ذلك عليه التماسك؛ لأنه يعلم أن المزيد من الذعر يعني السقوط في هاوية بلا قرار، بالتأكيد هناك شيء خاطئ أو سبب لما يحدث.

خرج وهو لا زال يفكر في الآثار على صدره، لكنه تفاجأ بأن إذاعة القرآن الكريم أغلقت مرة أخرى وسمع بدلًا عن القرآن الكريم صوت "وششششش" ولا إرسال. بدأ ينظر حوله وتلفت واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ المعوذتين بدون صوت، وقبل أن يقترب من الراديو تحول عدم الإرسال إلى أصوات غير واضحة، ثم أصبحت أكثر وضوحًا.

كان الصوت للغة ولكنها ليست عربية أو حتى أجنبية، بل لغة غريبة وكأنها مزيج من اليونانية والإسبانية؛ لأن بها مخارج خروج غالبيتها بحرف الخاء والسين. اقترب من الراديو ووجد أن التردد الموجود هو نفسه الخاص بإذاعة القرآن الكريم. طرق عليه بقوة وهو غاضب ليجد الكلمات زادت سرعتها. شد قابس الكهرباء لكن لم يتوقف الصوت!

صرخ بغضب وخوف وأمسك بالراديو وقذفه على الأرض وحطمه بصوت مدوٍّ وخمد الصوت الغريب تمامًا. ساد الصمت عدا من صوت أنفاس هشام المتلاحقة بفعل الخوف.

فكر في الهروب من الشقة؛ لأن الوضع تحول وأصبح شيطانيًا بتلك المواقف الرخيصة

التي كان يسمع عنها في الصحف الصفراء وروايات الرعب التقليدية. لكن إن كان هذا حقيقيًا إذن هناك احتمالات أنه ملبوس أو أن هناك جنًا في المكان يثير جنونه! لكن كيف حلم واستيقظ ووجد نفسه مصابًا.

دخل إلى الحمام بسرعة لغسل وجهه بالماء البارد وإحضار ملابسه والنزول للتفكير بهدوء بدلًا من الجلوس وحيدًا في الشقة، لكن قبل أن يجفف وجهه بالفوطة المعلقة بجانب المرآة لفت نظره صوت غريب خلفه من وراء ستار البانيو!

رأى الستار وكأن به شيئًا يتموج أو ربما هواء يداعبه، لكنه يعلم أنه لا يوجد هواء؛ لأن النافذة مغلقة ولو كانت مفتوحة فزاوية إدخال الهواء من المستحيل أن تجعل التموج يتحرك إلى الخارج، بل يجب أن يكون للداخل!

أمسك بعصا ممسحة كانت أمامه ولكز بها الستار لكن لم يجد أي شيء. لعن غباءه لأنه من الطبيعي ألا يوجد شيء خلفه، لكنه قرر أن يزيد طمأنة قلبه. أمسك الستار وأزاحه بقوة إلى الجانب وتراجع إلى الخلف وهو ينظر غير مصدق عينيه!

رأى هشام العشرات بل المئات من الثعابين الصغيرة السوداء والرمادية وهي تتشكل على هيئة غريبة وتزحف فوق بعضها البعض، كانت تتزاحم وتسقط ويرتطم بعضها بالستار فيتموج لكن لا أحد منهم يخرج من الباتيو الصغير وكأن لهم حدودًا غير مرئية لا يتخطوها.

رجت صرخته المكان وخرج بسرعة ركضًا والتقط التيشيرت الموضوع أعلى صندوق الغسيل بجانب الباب، ثم زاد في ركضه وشعر بتنميل في أطرافه من أثر الخوف والتقط مفاتيحه والمحفظة من على المنضدة بالصالة وخرج وأغلق باب الشقة خلفه بعنف. قبل أن يستكمل نزولًا إلى الشارع تذكر الهاتف الذي نسيه في الداخل!

اعتدل ووقف أمام باب الشقة لا يدري ماذا يفعل، هل يعود لالتقاط الهاتف ليتصل بمروان ويحكي له ما حدث معه أم ينزل ويسير في الشوارع على غير هدى حتى يفكر فيما يحدث بهدوء؟

قرر فتح باب الشقة والدخول والركض إلى غرفته بسرعة وإخراج الهاتف ثم الهرب من الشقة. ترجم ما دار في ذهنه ووضع بالفعل المفتاح في الباب بتردد ثم دخل ببطء وتلفت حوله مترقبًا أي مفاجآت لكن لم يجد أي شيء غريب. حاول تمالك أعصابه أكثر وسار بهدوء وكأنه لا يريد أن يستفز أي شيء حتى اقترب من الرواق الذي يقود إلى غرفته وحينها توقف وفتح عينيه بذهول بسبب الصوت الذي سمعه!

صوت يتعالى من داخل غرفة والده المتوفى!

صوت بكاء!

صوت أمه الميتة!

***

مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة
والنادرة والجديدة

مكتبة بيت الحصريات أسم على مسمى

(إيزاد)

جلس الملك إيزاد بتاجه الذهبي المرصع ببعض المجوهرات على عرشه المصنوع من مزيج ضم الرخام الأسود فيما ضنع أعلاه ومقبضاه من العاج الأبيض وظهره من عظام عريضة تربطها حلقات معدنية مستديرة. أمامه اصطف بعض المستشارين حول مائدة من الرخام الرمادي وأعلاها خريطة مفرودة من الجلد لأخذ آرائهم في شئون المملكة وآخر المستجدات في الممالك المجاورة.

دخل حارس نحيل برأس منحنية يسأل الحديث فالتفت إليه الملك بتعجب. قال الحارس بصوت مرتفع وقد وقف على بعد أمتار من العرش بحسب قوانين المملكة: "مولاي ملك الوادي، الحارس الأسود في الخارج ينتظر الأمر بالدخول".

اعتدل الملك إيزاد في جلسته ووضع في رأسه عدة احتمالات لحضور الحارس؛ لأنه يعلم جيدًا أن الحارس لا يظهر إلا لوجود أزمة كبرى أو حدث جلل.

أشار إلى مستشاريه بالخروج وقال بصوته العميق ونهض ليتصاعد صوت احتكاك سلاسل معدنية في عنقه ببعضها البعض:

- سمحنا له.

ثوانٍ ودخل الحارس بخطوته المتزنة البطيئة وبدون أن يحني رأسه للملك إيزاد قال باحترام ورأسه يغطيه غطاء أسود من الكتان:

"الملك إيزاد".

اقترب منه الملك وقال بفضول: "مر وقت طويل يا حارس الموت، أهي بُشرى خير تحضرها أم هلاك يقترب من أسوارنا؟".

ظل الحارس الأسود واقفًا في مكانه وقال: "بل هلاك يقترب من أسوار الجميع ويفني الحياة".

ظهر الارتباك على وجه الملك وقال متسائلًا بحذر: "بشر أم مسوخ؟".

أجاب الحارس برصانة:

مزيج بين هذا وذاك، الحراس عادوا، والملك قشمين ملك ما خلف بحر الموت قادم إلى هنا؛ ليسقط ممالك الوادي بجيوش لم ترَ مخلوقات الأرض مثلها.

عاد إيزاد إلى عرشه وجلس مستندًا بيديه الاثنتين المضمومتين على مقبضي الكرسي

وقال:

"منذ متى أصبح لقشمين قوة؟!"

وزاد بغضب: "منذ متى مملكة ما خلف المياه الملعونة قادرة على نزع الحياة من بقية الممالك؟! وأين الحراس من ذلك؟!"

اقترب الحارس الأسود من عرش الملك أكثر رغم أن ذلك يخالف قوانين المملكة: "نعتقد أنه استعان بقوة قديمة قادرة على دحر قوة الحراس منفردة، هزم حارس جوف الأرض وأخرج مسوخًا لا ينتهي عددها لبسط سيطرته على الكل، الآن كل حارس يحاول أن يحافظ على مصدر قوته؛ حتى لا يسقط في براثن قشمين وتزيد قوته أكثر".

وتابع بصوت رصين:

"الحراس كل ما يريدون فعله هو أن يسير القدر كما كُتب، يضمنون سلامة الحياة وراحة الموت، لكنهم مثلهم مثل سائر المخلوقات، يُهزمون أحيانًا إن كانت قوة من أمامهم كفيلة بسقوطهم".

بلع الملك إيزاد ريقه بصوت مسموع وقال:

- ماذا سنفعل؟ بالتأكيد هناك طريقة لإيقافه عند حده!!

ظل الحارس الأسود صامتًا ولم يرد، فيما نظر إليه إيزاد لثوانٍ، وتابع:

- علينا التحالف مع الممالك الأخرى، وعليك أنت أن تجمع الحراس لوضع خطة المواجهة الأخيرة.

ثم صمت وتابع وقد تذكر شيئًا: هل قتل قشمين حارس جوف الأرض؟

أجاب الحارس ببطء:

الحراس لا يموتون إلا بأمر الإله، ولكن تم نفيه في سجن بعيد وحصل قشمين على قوته.

طرق الملك بيده على كرسي العرش وقال بغضب:

إذن علينا أن نمنع حصوله على المزيد من القوة قبل أن ينتهي العالم الذي نعرفه.

استدار الحارس الأسود لمغادرة القاعة وهو يطرق بعصاه على الأرض مستندًا عليها وهو يردد:

هذا ما سنفعله طالما كان مكتوبًا في مسار الحياة.

(الأم)

شعر هشام بأقدامه تتثاقل ونبضات قلبه تتسابق ومد قدمه خطوة واحدة بتردد تجاه الغرفة وهو يفكر بشكل لا إرادي في أنه كم يشتاق إلى أمه. ثم خطا خطوة أخرى وهو يزيد في تفكيره، كم يحتاج إلى الارتماء في أحضانها والبكاء!

خطوة ثالثة قربته أكثر من باب الغرفة بدون وعي منه وهو يفكر، هل هي في الداخل وكل ما يحدث مجرد حلم وسيجدها جالسة تقرأ القرآن كما عادتها في الصباح قبل أن تجهز الإفطار؟

هز رأسه وحاول نفض هذه الأفكار الغريبة عن رأسه. الموتى لا يعودون ولا شيء يعود كما كان ولكن صوت البكاء!

"تعال يا هشام"!

سمع الصوت من خلف الباب المغلق فأجفل. ليس صوت أمه ولكنه قريب منه!

أمه تناديه، نفس صوتها الحنون الخفيت، صوتها الذي داعب عقله وقلبه وجعله لا إراديًا فتح باب الغرفة ومد يده ليضيء المكان ودخل!

كما تخيلها.

كانت جالسة ترتدي نظارة القراءة وتبكي لكنها لا تقرأ من القرآن بل تمسك في يدها ورقة تقرأ فيها ودموعها تسيل على وجهها.

نظرت إليه! لا لم تنظر إليه، بل نظرت تجاهه وكأنها تتفقد شيئًا خلفه!

التفت بسرعة لكنه لم يجد سوى دولاب الملابس.

بصوت غالبه البكاء والتأثر، قال: "أمي!".

لم يظهر عليها أي ردة فعل، بل نهضت ومرت بجانبه وكأنها لا تراه ثم فتحت الدولاب والتقطت بدلة رمادية من الطراز القديم، يعلم أنها لوالده الراحل ولكنه لم يره يرتديها من قبل.

أخرجت أمه البدلة ووضعت يدها في جيبها الداخلي وأخرجت علبة مجوهرات صغيرة من التي توضع فيها الخواتم.

ماذا تفعلين يا أمي؟! ما الذي يحدث؟!

طرح السؤال ولم يستقبل أي رد، لكن عقله لم يعد يستوعب ما يحدث. يشاهد الآن أمه الميتة تتحرك وهو يقف مذهولًا لا يدري ما يفعل!

عادت إلى جلستها وخلعت النظارة وفركت عينيها من أثر البكاء!

لماذا يشعر أنه شاهد هذا الموقف من قبل؟!

مهلًا، هي نفس الملابس السوداء التي كانت ترتديها أمه يوم عزاء والده، والتي ماتت بها! هكذا تذكر!

استمرت والدته في قراءة الورقة، وحاول هشام أن يقترب منها أكثر، يريد أن يرى ما في العلبة والورقة، ولكنه شعر بدوار مفاجئ، ووجد صوتًا يدق على الباب.

أخفت أمه الورقة أسفل الغطاء وأمسكت العلبة بحرص ودعت من في الخارج للدخول.

كان هو!

هشام!

نظر إلى نفسه وهو يدخل الغرفة ويدور ما دار بينهما ليلة وفاتها. شاهد نفسه وهو يخبرها أن خالاته في الخارج، ثم تابع جسده وهو يرحل.

يعلم أنه سيذهب الآن إلى الخارج ليستكمل تقبل العزاء!

عاد ببصره إلى أمه والبلاهة ترتسم على ملامحه من الموقف، والدته تأكدت من خروج هشام لتقبل العزاء ورفعت الغطاء وفتحت العلبة الصغيرة، اقترب هشام أكثر ليرى ما فيه فلم يجد أي شيء، بل مجرد علبة بها بطانة حمراء صغيرة وتتوسطها خاتم يبدو أنه من الفضة لكن في أعلاه فص أسود اللون غريب الهيئة.

وجد أمه لبست الخاتم وبكت ووضعته على فمها وقبلته ودموعها تسيل وهي جالسة. فجأة انتفضت وارتعش جسده هو الآخر من المفاجأة. وجدها تنظر حولها بذعر بالغ وأمسكت صدرها من الجهة اليسرى بقوة وكأنها تريد إخراج قلبها.

شاهد وجهها وكأن الدماء هربت منه، ونبتت على تجاعيد وجهها حبات من العرق، وبعدها حاولت أخذ أنفاسها بصعوبة بالغة. بدأ يصرخ واتجه إليها بسرعة ولكنه وجد شيئًا غير مرئي يمنعه من الوصول!

لا يقدر على تخطي السرير الجالسة عليه أمه.

زاد هشام في صراخه وكأنه سينقذها من مصيرها المحتوم، لكن لم يزد الأمر سوى ألم

على وجه أمه التي بدأ جسدها ينتفض وهي تتمتم بكلمات وكأنها تستجدي أحدًا ما!

وجد أمه تنظر بذعر بالغ خلفه وتزيد في محاولاتها الفاشلة للتنفس. استدار إلى الجهة التي تنظر إليها خلفه ووجد ظلًا!

نفس الظل صاحب حدود الجسد الغريب يقف خلفه، لا بل أضخم بعض الشيء!

بدأت ملامح الظل في الظهور، كان يتشكل وكأنه يريد أن يريه نفسه!

ظهرت أصابع قدميه أولًا ثم ركبتاه وبعدها جسده السمين بعض الشيء.

أصبحت الملامح تزداد وضوحًا، وكأنه ضباب يزاح ويكشف المزيد، وخلفه صوت أمه المخنوق يزيد قلبه وجعًا.

وجد الظل يتشكل أكثر وظهر صدر عريض ثم رقبة اتضحت معالمها وبعدها ذقن حليقة، وعينان ضيقتان! الذهول زاد وقدماه لا تقدران على حمله. كان ينظر إلى أبيه!

جسده!

كان هو الظل الذي تشكل الآن!

تسمر هشام في مكانه، وصوت أمه في الخلف يهدأ وهي تلفظ أنفاسها، وأبوه يقترب منها، وكأنه لا يرى هشام، ثم التفت نحوه فجأة!

رآه!

ابتسم له أبوه بسخرية، وظهرت أنياب صفيرة انزلقت من شفتيه، وبدأت ملامحه وكأنها تذوب!

تغلي!

تعلوه فقاعات مقززة وكأن أسفل جسده يفور، ولا زالت الابتسامة على وجهه!

اسود وجه والده وجسده تمامًا، وهو يقف أمام جثة الأم على السرير، ثم انحنى عليها ووضع يديه على صدرها فانتفض جسدها للمرة الأخيرة وزهقت روحها، ثم التفت ثانية إلى هشام وابتسم!

وجد هشام نفسه أمام باب غرفة أمه المغلقة والعرق يسيل من ظهره، وقدماه أصابتهما التنمل، وعيناه جاحظتان بشدة وكأنهما ستنفجران. استند على الحائط بسرعة قبل أن يفقد اتزانه وهو لا يدري ما الذي شاهده أو ما يحدث، الأفكار تتزاحم في عقله.

من هذا الشخص وكيف يتخذ هيئة والده؟ وما هذا الصندوق والورقة والخاتم؟ هل ما شاهده حقيقيًا أم أنه أصيب بالجنون بشكل رسمي؟!

رفع رأسه إلى الأعلى وقال بألم: "أنقذني يا الله، أنقذني مما لا أقدر على فهمه".

بدأ قلبه يعود إلى ضرباته المنظمة، آلف الخوف والغرابة بعض الشيء. فكر في ترك المنزل نهائيًا، ودخل بسرعة إلى غرفته والتقط الهاتف، ثم خرج من الشقة وهو يتصل بصديقه مروان ويطلب منه مقابلته الآن على قهوة "السعد" القريبة من المنزل، ثم أنهى الاتصال وهو لا زال يقرأ في سره المعوذتين، وقد أعطته ألفة البشر بعض الطمأنينة.

(رفيسول)

حامت الذئاب الضخمة حول جسد مسجّى على الأرض، وبدأت تشم رائحته في شكل غريب لا يتناسب مع شراستها البادية على هيئتها، ثم لعقت وجه النائم الذي بدأ فتح عينيه بصعوبة بالغة، ونهض مستندًا بكفيه الداميين على الأرض الصخرية.

وكأن سيدها عاد من الموت، بدأت الحيوانات الضارية في إصدار زمجرة تنم عن فرحة باستعادة رفيسول وعيه، فيما بدأ حارس جوف الأرض الخاسر تفحّصَ المكان حوله.

كان مظلمًا إلا من مشعل حديدي داخله أغصان صغيرة مغمورة في الزيت مطعونًا في الجدار أمامه، وعلى يمينه فجوة مظلمة يبدو أنها تقود إلى خارج المكان. اتجه نحوها مترنحًا من أثر المعركة التي خاضها ضد قشمين وخلفه ذئابه الأربعة يحاولون الوقوف والسير بضعف ووهن واضح.

فور دخوله الفجوة شعر بتيار من الهواء الساخن يلحف جسده العاري بعد أن تجرد من أسلحته؛ ما دفعه إلى إغلاق عينيه من أثر الحرارة، واستمر في سيره متحسسًا جانبي الممر المظلم حتى شعر بهواء بارد بعض الشيء ضرب وجهه جعله يفتح عينيه مترقبًا بشرى خروجه، لكنه وجد نفسه في نفس القاعة التي خرج منها!

حاول رفيسول أن يستوعب ما حدث لثوانٍ، ولكن دوي صوت بشري في المكان جعله يفهم أسرع.

"متاهة الصخور"

نظر حوله وبدأت الذئاب تزمجر غاضبة، وزاد الصوت بجزل:

- سجن حجري وصخور مطلسمة تقودك إلى نفس النقطة، ستظل تخرج من النفق وتدخل إلى سجنك ولن تتحرر إلا بعد آلاف السنين.

تعالت بعدها ضحكة عالية من صاحب الصوت وارتسم الغضب على وجه رفيسول وقال بغضب عارم:

- قشمين أيها اللعين واجهني وسأجعلك تندم على ما فعلت.

تعالت الضحكة المستفزة مرة أخرى ورد قشمين:

"واجهتك بالفعل، وخسرت، حصلت على قوتك وأصبحت متحكمًا في جوف الأرض، بل وأسيطر الآن على جيشك، ثم زاد باستفزاز "هل تريد أن تخسر ثانية؟!".

لم يعلق قشمين وكأن حممًا مصبوبة ضربت رأسه فأحرقت عقله الذي لم يتخيل أن يخسر أمام أي بشري، بل أي كائن خلقه الإله.

"لدي مساومة بسيطة لك".

حاول رفيسول أن يتعرف على مصدر الصوت فلم يقدر. قال محاولًا استنزاف أي وقت يجعله يفكر في طريقة للخروج: "اعرض ما لديك".

قال قشمين بنبرة مغرية:

- أنت لديك القوة لقيادة المسوخ وأنا أعلم جيدًا أنهم مأمورون بأمري؛ لأني أصبحت حارس جوف الأرض، ولكن ولاء المُجبرين غير مضمون فلا أحد يأمن لوعد خائف.

ترقب رفيسول بقية الحديث، وزاد قشمين:

- أريدك أن تنضم إلي وتقود المسوخ وتساعدني في الحصول على قوة الحراس؛ لأني أعلم أنهم سيواجهونني في المعركة المقبلة ولديهم قدرات تجعل فوزي عليهم صعبًا بعض الشيء.

صرخ رفيسول بغضب:

- تريدني أن أحنث بالقسم الأعظم لأجل بشري حقير يريد السيطرة على كافة المخلوقات، هل تظن نفسك إلهًا أيها الأبله المغرور؟!

رد قشمين بغضب مماثل:

"الإله نفسه تركني أفعل هذا لأجل إصلاح العالم، منذ متى ولدى البشر قدرة على الاختيار؟! منذ متى تُعطى القوة في يد ضعفاء؟! لو كان الإله معترضًا لما ترك نفوس الشر تنمو في رحم الأمهات ولقتل الأجنة قبل خروجهم المقدس للحياة.

"أحمق" قالها رفيسول بنبرة خافتة وزاد بصوت أعلى:

هكذا القدر، هكذا مسار الحياة، الإله يتركنا للاختيار بين هذا وذلك، يجعل بعضنا جنودًا للخير والبعض الآخر شرًا خالصًا لتتوازن كفة الكون، لسنا خلف العالم المرئي لنعيش جميعًا محملين بالخير والصلاح.

انخفضت نبرة قشمين:

هل تؤمن بخلف العالم المرئي يا رفيسول؟ هل تؤمن بحياة أخرى بعد أن نموت كما يقال لك؟! أنا لا أؤمن، ولهذا أريد أن أصنع لنفسي حياة لن تتكرر، أصنع قوة لا يضاهيها قوة،

نظام قادر على الثبات في مواجهة كل شيء، بدون حراس يتعنتون بحجة حماية مسار الحياة، بدون ممالك تكنز الذهب في صوامع الغلال وتترك ممالك أخرى ينهش فيها البشر بعضهم البعض لأجل الغذاء كما حدث في مملكة نيرا.

وتابع بغضب واضح:

هل تتذكر نيرا يا رفيسول؟ هل تتذكر الشمس التي هبطت منتصف الليل الحالك وضربت بيوتهم وقتلت النساء والأطفال وحولت الأحياء إلى مسوخ؟ هل تتذكر ما فعلته الشمس في أجساد أهل المملكة؟

وتابع وهو لا ينتظر إجابة:

- تحولوا إلى مسوخ، يأكلون بعضهم البعض، واحتمت الممالك خلف أسوارها ووضعوا السدود لمنع وصول المسوخ إليهم بدلًا من إنقاذ بقية أهل المملكة، تحصنوا وغنوا وملئوا الولائم بلحوم الماعز والديوك وتركوا الموت ينهش في أجساد البشر.

زاد غضب رفيسول وقال:

هذا قدرهم، هكذا الحياة كانت مرسومة لهم وتوقفت بأمر الإله.

رد قشمين بحدة أكبر:

أي قدرٍ هذا الذي يترك الموت يفترس الأحياء؟! حتى الحراس لم يفعلوا شيئًا سوى الأمر بصنع الأسوار لمنع هروب أهل المملكة الناجين، والحراس الذين ذهبوا هناك لأيام ثم عادوا وطلبوا رمي الجثث في المياه المقدسة.

وتابع الصوت بمقتٍ:

الحراس الملاعين دنّسوا الحياة بالموت ويظنون أنفسهم متقذين!

حاول رفيسول السيطرة على أعصابه وقال مبررًا:

نحن الأدرى، الموت كان ينتقل من جيفتهم بالجوارح إلى الأحياء، ولم يكن هناك حلٌ إلا ذلك.

لم يرد قشمين، وزاد رفيسول بحدة تصاعدت في نبرته:

لن تربح يا قشمين، الحراس لا يخسرون، مهمتنا لم نفشل فيها قط، نحن يد القدر في الكون.

قاطعه قشمين ببرود وصوته يبتعد:

سأقطعها إذن!

***

(مروان)

تعالت أصوات الدومينو من مقاهٍ واحدة يجلس عليها 6 من كبار السن يمارسون اللعبة هاربين من منازلهم على ما يبدو، فيما ساد الصمت الشارع ما دفع مروان إلى أن يتحدث بصوت خافت وقد ضم شفتيه بغضب وقال لهشام الجالس أمامه:

- هل تمازحني أم تتكلم بشكل جدي.. أريد أن أفهم؟

قالها بتعجب وارتشف بعض الشاي من كوب صغير "خمسينة" ثم أطلق أسحبة دخان بشكل طفولي من نرجيلة موضوعة أمامه. رد هشام ببرود حين: أقسم لك أن هذا ما حدث.

سعل مروان بعد أن وقف الدخان في حلقه ومد رأسه للأمام وأشار بإصبعه لصديقه:

أنت تقسم، أنت لا تمزح؟! اقسم ثانية لأصدق!

كاد هشام أن ينهض ويصفع صديقه لكنه تماسك وأعطى له عذره؛ فمهما كان ما يقوله لا يصدقه عقل:

- أقسم لك، مروان، ركز معي قليلًا بدلًا من أن أنهض وأصفعك وأنت تعلم أني قادر على فعلها.

ابتسم مروان ثم أطلق ضحكة عالية:

افعلها بالله عليك لأطمئن أنك عدت كما كنت.. هشام البلطجي.

ابتسم هشام ابتسامة خفيفة وتجاهل الرد ثم زاد بجدية:

بعد كل ما حكيته لا زلت تمزح؟

تجهم وجه مروان وقال بنبرة تحمل قليلًا من الاعتذار:

اعذرني يا هشام، ما تقوله لا يدخل عقلًا ولا يستوعبه منطق، ولكني معك، في حالة أن ما قلته حقيقي ماذا ستفعل؟

تراجع هشام بظهره حتى كاد الكرسي أن ينقلب إلى الخلف وقال بصوت منخفض:

لا أدري، صدقني لا أعرف!

اعتدل مروان في جلسته ورفع صوته وقال بسرعة:

دعنا نصعد الآن، أريد أن أرى ما يحدث، ربما كنت تتوهم.

اعتدل هشام وقال بغضب:

أتوهم! ونصعد بعد ما قلت؟!

صمت هشام لثوانٍ وفكر بينه وبين نفسه. يريد أن يطمئن من داخله أنه غير مجنون، فلِمَ لا يصعد بالفعل ومعه مروان، على الأقل هو صحبة تجعله يطمئن بعض الشيء.

تنهد وحسم أمره وقال مبتسمًا:

حسن، اقضِ معي اليوم، قل لأبيك أنك معي وستبيت عندي الليلة، وبالتأكيد لن يمانع.

نظر إليه مروان وهز رأسه ثم أخرج هاتفه ونهض يتحدث مع والده بعيدًا عن أصوات المقهى، ثم عاد بعدها بأقل من دقيقة وقال مبتسمًا بفخر:

قلت له: إنك مريض وتموت وتحتاجني إلى جانبك.

لم يعلق هشام ولكنه ابتسم رغمًا عنه فهو يعلم صديقه جيدًا، وطالما كانت أفكاره غريبة وممزوجة بخفة دم في الكذب. نهض بسرعة باحثًا عن الرجل لدفع الحساب والرحيل.

***

(العودة)

المنطقة ليست عشوائية، بل أقرب إلى الرقي، أما بيت هشام فكان في شارع جانبي بالدقي قريبا من محطة المترو، تتراص فيه المنازل بشكل مرتب وارتفاع واحد، لكن العمارة يبدو عليها القدم ببوابتها الحديدية والقضبان الطويلة التي تتقاطع مع بعضها البعض بالعرض، وفي الأعلى هناك دائرتان من الحديد الملحوم كل واحدة منهما في جهة من الباب.

بيت من 4 أدوار فقط، كان ملكًا لوليد قبل رحيله ويعيش فيه مع زوجته وهشام بالطابق الثاني، أما الطابق الأرضي فيه غرفة أغلقها والده قبل أسبوعين بعد أن أغرقتها مياه الصرف، ويعلم هشام أن بها الأثاث القديم الخاص بهم.

قابلهما موتور مياه يصدر صخبًا عاليًا معلقًا في المدخل الرخامي، ثم في الواجهة 4 وعلى اليمين يوجد درجات تقود إلى الأعلى اتجها إليها مباشرة ليصعدا للطابق الأول. أثناء صعودهما إلى الثاني وجدا المصباح لا يعمل ولكنهما استمرا في الصعود.

صرخ مروان فجأة بصوت مكتوم فارتجف هشام والتفت خلفه وهو يسأله بصوت حمل الكثير من التوتر:

- ماذا حدث؟!

سمع مروان يرد بسرعة وصوته يتردد في المكان:

أنا الذي أسأل ماذا حدث؟ أنت من صرخ؟!

توقف هشام واستدار إلى صديقه وهو يبحث عنه بضوء الهاتف، وقال له بغضب:

لا وقت للمزاح الآن، تفهم الوضع قليلًا ولا داعي لهذا الأسلوب، خاصةً وأننا ليلًا والجميع نيام!

جاءه رد مروان وهو يدافع عن نفسه بغضب:

أقسم لك أني لم أصرخ، بل أنت من فعل، هذا صوتك!

شعر هشام فجأة بكف يوضع على كتفه من الخلف. شهق والتفت بسرعة للأعلى وتراجع إلى الوراء مذعورًا وكاد أن يسقط على السلم بعد أن رأى مروان واقفًا أمامه!

ردد بخوف وبصوت متقطع:

أنت، ماذا تفعل هنا؟ كنت أحدثك خلفي الآن!

ثم أعاد كشاف الهاتف إلى المكان الذي كان فيه مروان خلفه لكن لم يجد أي شيء. رد صديقه باستغراب وهو ينظر حوله بتوتر:

ماذا يحدث يا هشام؟ بدأت أخاف فعلًا، لقد كنت خلفي طوال الوقت، مع من كنت تتحدث!

بلع هشام ريقه بصعوبة ولم يرد لكنه أمسك بذراع مروان وصعد معه وقلبه يزيد من دقاته حتى كاد أن يقفز من صدره هلعًا وهو يفكر، هل توهم أم أن هناك شيئًا يتلاعب به؟

وصلا إلى الشقة ولا زال التوتر يتملك منهما. دس هشام المفتاح وفتح وهو يقرأ المعوذتين بصوت عالٍ، ومد يده أضاء المصابيح كلها ودعا مروان للدخول، لكن صديقه لم ينتظر دعوة؛ لأنه دخل بالفعل وخلع حذاءه الرياضي وجلس على كرسي السفرة في الصالة.

تفحص مروان المكان ببصره وعبث بشعره الطويل بعض الشيء بشكل يدل على مقدار التوتر داخله وأشار إلى غرفة والدة هشام وسأل:

- هذه غرفة والدتك رحمها الله أليس كذلك؟!

هز هشام رأسه بالموافقة وأجاب: "نعم".

"تعالَ معي". قالها مروان واتجه إلى الحمام.

نظر إليه هشام بتعجب وأضاف صديقه ساخرًا: بالتأكيد لن أغتصبك هناك، تعالَ معي لأرى موضوع الستار هذا.

لم يخلع هشام حذاءه مثل مروان بل دخل به إلى الشقة وتقدم صديقه إلى الحمام وأشار إليه بدون أن يتكلم ليفتح الباب.

تقدم مروان عدة خطوات حتى وصل إلى باب الحمام ونظر إلى هشام وقال بصبيانية:

- ادخل معي.

وقف هشام خلفه ودفع صديقه الباب ببطء ودخل ومد يده فاتحًا قابس الكهرباء ليضاء مصباح أبيض (ليد) في الأعلى كاشفًا الحمام الصغير والستار الذي أزاحه مروان بسرعة ثم أدار وجهه بشكل مسرحي وضحك وقال بلهجة منتصرة:

- هل ترى؟ لا شيء، أنت تتوهم يا صديقي.

ارتسم الخوف على وجه هشام ونظر إلى البانيو وتراجع إلى الخلف. التفت مروان بخوف هو الآخر إلى البانيو بسرعة وشهق مترقبًا ما سيراه. لكن، لا شيء!

قبل أن يستوعب ما حدث، انطلقت ضحكة هشام الساخرة وقال لمروان:

- أنت خائف، رددتها لك كما فعلت على السلم يا أبله.

تجهم وجه مروان ونظر إلى هشام بحزن مصطنع. لا يعلم هل يفرح لأنه لم يجد شيئًا بالفعل أم يحزن لأنه سقط في فخ صديقه بهذه البساطة، لكنه اكتفى بكلمة: "حقك"، ثم خرج من الحمام خلف هشام الذي اتجه مباشرة إلى غرفة والدته.

أمام الباب سأل مروان: هل أنت خائف؟!

رد هشام وفكر: خائف! لم أعد أدري ماذا يعني الخوف بالأساس؟ فكرة أن تجدَ شخصًا ميتًا معك في غرفة واحدة ثم ترى نفسك وتشاهد ثعابين وكلابًا تنبح وتختفي، وأبي الذي تحول إلى مسخ.

وتابع وعيناه شاخصتان: الخوف تحول إلى عادة في ساعات قليلة، حتى إني الآن أريد معرفة ما يحدث لأن من حقي أن أعلم. أما الخوف فهو شعور يمكن أن تعتاده بتكرار المواقف!

ظل مروان ناظرًا إلى هشام ولم يعلق وقال ممازحًا وهز رأسه:

فيلسوف أنت، بل تتحدث كثيرًا. الإجابة إما نعم أو لا. وضحك بتوتر: ليتني ما سألتك.

اتجه مروان نحو الباب ووقف في مواجهته وسأل هشام:

- هل تفتح أنت أم تسمح لي أن أقص الشريط؟!

أشار هشام له بالتراجع فهو يريد أن يفتحها بنفسه لأنه يخاف على صديقه وأيضًا لا يريد أن يدخل مروان قبله إلى غرفة أمه.

مد يده إلى الباب ودفعه ودعا الله أن يكون كل ما شاهده وهمًا، ثم شعر فجأة وكأنه يتخطى بابًا من الثلج.

شهق وكأنه يغرق وأظلمت الدنيا تمامًا أمامه!

***

(نيرا)

انهمرت الأمطار الغزيرة على أطلال من الرخام في مملكة نيرا التي كانت يومًا تعج بالبشر، ولكن دمرتها الشمس الساقطة ليتبقى منها أكوام من الحجارة المزخرفة تدل على جمالها قبل تدميرها.

لم يعد يسكن نيرا سوى الحيوانات الضارية وغربان تحوم من آنٍ لآخر تطلق نعيقها وتكسر السكون وهي تنظر إلى البشر الذين تحولوا فجأة إلى مسوخ، لقتل الآخرين الذين أصبحوا غذاءهم مع من يقوده حظه العاثر إلى المكان الملعون.

لكن في تلك الليلة لم يكن الصمت هو السائد بوجود مجموعة من الأشخاص الذين وقفوا أمام أحد معابد الإله التي تدمرت محاولين وضع خطة لمواجهة قشمين.

كانوا 3 وقفوا بجانب بعضهم البعض فيما تصاعد ضوء أبيض من عصا أحدهم التي وضعها بين ركام الصخور.

"المعركة ستبدأ قريبًا". قالها حارس النور فلم يرد أحد، وزاد: "هذه المرة سنخسر إلا لو دمرنا الحجر الساقط".

لم يعقّب أيٌ منهم على قوله. رفع غطاء رأسه وظهر على جبينه وشمٌ صغيرٌ للغاية على هيئة شمس، ثم اقترب من العصا وبدأ يتمتم ببعض الكلمات ثم صمت وظهر على وجهه أمارات ألم اكتنفه ثم سقط على ركبتيه وظل الآخرون حوله لم يتحرك أيٌ منهم.

ظل على نفس الوضع لثوانٍ وبعدها نهض وقال:

الحجر الساقط ملعون، لكن قشمين ناله وحصد قوته؛ ولهذا فاز على حارس جوف الأرض، الآن أصبح قادرًا على مواجهتنا بقوته الجديدة.

دوّى صوت عميق من الحارس الأسود:

اتركوا لي قشمين وجيشه فأنا قادر على فنائه.

ليس كما تقول النبوءة.

صمت الجميع بعد قول حارس المعرفة بجبهته العريضة وذقنه المهذبة بشكل أنيق ووجهه المربع ذو القواسم الوسيمة:

تابع شارحًا:

- من رحم الموت تولد الحياة، هكذا قالت النبوءة القديمة، وقالت كذلك إن قدرنا هو مواجهة الموت في المعركة الفاصلة هنا في الأرض الملعونة، وأنتم تعلمون أنه لا أحد يهرب من مسار الحياة المكتوب ولا حتى نحن.

ارتفعت صرخة امرأة في المكان فجأة.

قطع حارس المعرفة الحديث ونظروا إلى بعضهم البعض، ثم تحرك حارس النور وأغمض عينيه ونظر إلى نقطة ما بعيدة وقال بدون أن يفتح عينيه: "ضحية أخرى، روح جديدة تنال الخلاص".

حان الوقت. نطق الحارس الأسود بالجملة واتجه إلى مصدر الصراخ الذي اختفى وسار بين الأنقاض وسط الظلام الحالك، وكأن انعدام الضوء لا يعيقه حتى وصل إلى كتلة ضخمة من الحجر الرمادي تخفي خلفها جثة ركع رجل ثلاثيني أمامها وهو يحاول أن يمزق رقبتها بأسنانه الحادة.

أثارت خطوات الحارس الأسود خوف المسخ الذي نهض بملابسه الممزقة ووجهه المستطيل وفم يسيل منه خيط من الدم وتراجع خوفًا وأشار بيديه وتمتم بكلمات غير مفهومة وكأنه يستجدي الحياة من الرجل المسبل بالسواد الذي ظهر أمامه فجأة.

اقترب الحارس الأسود من الرجل ونظر إليه وقال بهدوء: "لا تخف". بمجرد انتهاء الكلمة سقط الرجل أرضًا وحمله الحارس على كتفه وخرج به متجهًا إلى بقية الحراس الذين كانوا ينتظرونه.

"تأخرنا في تلك الخطوة".

قالها حارس المعرفة وأشار بأصابعه النحيلة إلى جثمان الرجل المسجّى أمامهم وأضاف: "كان علينا أن نعرف تأثير الحجر الساقط منذ البداية". قاطعه حارس النور بصرامة: "الحراس لا يتأخرون، بل يسيرون وفق المسار المكتوب ولا تنسَ ذلك".

عمّ الصمت واقترب حارس النور من الرجل الطريح وأشار إليه بعصاه فجعل جسد المسخ يرتفع عن الأرض وسقطت يداه على جانبيه ثم قال بعض الكلمات جعلت هالة زرقاء تظهر حول جسد الرجل.

دقائق وبدأت الهالة في الزيادة أكثر وكأنها تشع ضوءًا، ثم أطلق الرجل صرخة عالية فجأة وفتح عينيه وسقط أرضًا، فيما تراجع الحراس حوله كل منهم يتخذ وقفة دفاعية.

فجأة، أطلق المسخ ضحكة عالية ونهض واقفًا وقال باستهزاء:

"أغبياء، هل تظنون أنكم فقط من لديكم القوة؟!".

تبادل الحراس النظرات وبدأ كل منهم في التراجع خطوة واحدة ومد أيديهم إلى بعضهم البعض حتى صنعوا دائرة صغيرة حول الرجل، فيما ألقى حارس النور عصاه إلى الأعلى لتتعلق فجأة في الهواء فوق الرجل مخالفة قوانين الجاذبية وأنارت المكان بضوء ساطع استمر لثوانٍ، ثم هبطت منها هالة امتزج فيها الأبيض والأزرق لتصنع ما يبدو أنه سجن حول البشري.

"أنت الآن في حضرة الحراس. نأمرك باسم الإله الأعظم الذي لا يعرفه سوانا بالصدق وإلا الهلاك، نأمرك بالسلم وإلا الموت، نأمرك باسم الإله أن تُجيب عن ما نسأل وإلا نالتَ روحك العذاب".

نظر الرجل إلى حارس النور بعد جملته وكاد أن يسخر، ولكن زادت أضواء سجنه قوة فانتفض جسده وصرخ وركع أرضًا وظهر على وجهه الألم الشديد العذاب؛ ما دفعه إلى رفع يده وكأنه يطلب الإذن بالحديث، فتوقفت الأضواء ليبدأ في النهوض ثانية.

"ماذا تريدون؟".

طرح السؤال. أجابه حارس النور بصوته الهادئ وتقاسيم وجهه القاسية:

- من أنت؟! بل ما أنت؟!

حاول الرجل أن يتملص من الإجابة، ولكن يبدو أن قسم الحراس أجبره على الحديث بصراحة:

- القادم من خلف النجوم، مخلوق كما بقية المخلوقات ولكني أقواهم، أتغذى على الحياة ليسود الموت، أرضكم ليست رحلتي الأولى ولن تكون الأخيرة، رحالة بين العوالم لنثر بذور المستقبل الذي يجب أن يكون.

ألقى الحارس الأسود سؤاله وهو يقترب من دائرة الضوء: "كيف سيطرت على البشر هنا، وما الحجر الساقط؟".

أعاد الرجل ضحكته العالية فأشار حارس النور بيده بغضب إلى العصا، وزاد الضوء والألم وتحولت ضحكة الرجل إلى صراخ متصل. أمره الحارس ثانية: "أجب عن ما نسأل وإلا الهلاك".

توقفت صرخة الرجل وقال ساخرًا وهو يغالب الألم:

- هلاك نطفة واحدة لا تعني هلاكي، فأنا لا أموت لأن روحي غير محكومة بخلاص.

وزاد وهو ينهض ببطء مستندًا بيده على الأرض:

- هل تظنون أن أسوارك وحصونكم ستحميكم من المستقبل الذي وضعته لكم؟ هل تعتقدون أنكم في مأمن خلف أحجاركم المطلسمة التي تحمي مملكتي الوادي؟ قشمين حصل على قوتي وأصبح تحت سيطرتي، ومن تحت سيطرتي لا يموت إلا بمثل قوتي أو أكثر، وهذا لن يحدث، أما هؤلاء البشر في تلك المملكة فهم المستقبل الذي سيكون عليه بقية الضعفاء".

تبادل الحراس النظرات وزاد الرجل ونظر إلى العصا فوقه ثم إلى حارس المعرفة ووجه له حديثه:

"أنت تعلم مسار المستقبل وكيف سيكون، تعرف أن النهاية ليست في صالحكم، سيهزمكم قشمين بقوتي ولو بعد حين، بقوة الحجر الساقط، مانح السطوة لمن يملكه، الحجر الذي تجاهلتم وجوده حين أتيتم بعد تدمير هذه المملكة ووصفتموه بالملعون ووضعتم الأسوار حوله لمنعه من الخروج ومنع أي بشري من الحصول عليه، ولكن قشمين فعلها. علم قدرته وأرسل حراسه وحصل عليه لينال مكافأته، حتى إنه لم ينل قوته فقط بل حصل على قوة السحرة أتباعه وأصبح عليمًا بالمعرفة المحرمة التي كنتم تسعون إلى عدم حصول بشري عليها خوفًا من قوته.

اقترب الحارس الأسود من الرجل ودخل دائرة الضوء ووقف مقابل المسخ: "القوة هي أن تعلم مقدار قوة عدوك، أما النصر فهو أن تحول قوة عدوك لتصبح نقطة ضعفه".

maktabbah.blogspot.com

ثم أمسك رقبة الرجل بقوة وثناها لتتصاعد قرقعة تكسير فقراته العنقية، وسقطت جثته أرضًا، ونظر إلى حارس المعرفة وقال: "كنت تعلم أني سأفعل هذا؟!".

هز حارس المعرفة رأسه وقال: "نعم".

أجابه الحارس الأسود وهو ينظر إليهما: "إذن دعونا نواجه قدرنا بشجاعة، فلو كان مستقبل البشر هو الهلاك فلماذا خلقنا الإله لنحميهم؟!".

(الخنجر)

لا يدري كيف؟ لكن شعر هشام وكأنه يطير أو ينظر إلى المشهد من أعلى. رأى أمامه المئات من الرؤوس المنكسة التي يسير أصحابها في صف واحد طويل، حاملين أغراضهم في قطع من القماش وجلود الماشية.

النساء كن يمسكن أيادي الصغار حليقي الرؤوس، أما الرجال فكانوا شاخصي الأبصار يبكي بعضهم ويرتسم الجمود والخوف على وجوه آخرين.

دقق ببصره أكثر وهو يشعر وكأنه روح هائمة لا يتحكم فيها، ليجد في المقدمة رجلًا يقود الجمع، فحاول أن يقترب ليشاهد وجهه لكن منعه شيء ما.

لا يعلم هشام ما يجري، ولكنه أيضًا لا يتعجب مما يراه ولا يعلم كيف؟ وكأنها رؤية يخوضها بملء إرادته لا يخاف منها رغم أنها لا تدخل العقل، مثل من يحلم أنه يطير ولا يستغرب ذلك في منامه!

الملابس على أبدان السائرين قديمة للغاية تخفي العورات، أما الصحراء اللاهبة فتقول: إنهم في طريقهم إلى خوضها دون خوف طالما هم خلف هذا الرجل وكأنه هو ملاذهم الوحيد للنجاة، فيما ترسخت الجبال الشاهقة حولهم وكأنها تحرسهم من مطاردين خفيين.. هكذا شعر وهو يشاهدهم أمامهم.

وجد نفسه يقترب فجأة من صف البشر وكأنه يطير بجانبهم حتى وصل إلى رجل في نهاية الصف، شعر وكأنه يقترب منه ويلازمه في خطواته. رائحته عطرة غريبة، رغم أنه كان يرتدي أسمالًا بالية هو الآخر.

الرجل كان يسير ببطء وترتسم على وجهه ابتسامة ثقة، ويحمل في يده مخطوطة من الجلد يخفيها خلف ظهره بعناية. يتمتم بكلمات غير مفهومة كمجنون سلك عالم البشر بالخطأ، أما أظافره فكانت طويلة مليئة بالوساخات ويوجد إصبع ناقص في يده اليمنى مربوط آخره بقطعة صغيرة من الكتان عليها بقعة من الدم لا زالت واضحة وكأن الجرح لم يمر عليه ساعات.

لم يستمر المشهد أكثر من ثوانٍ، ثم ضرب ضوء أبيض بصر هشام فأغشاه.

كاد أن يصرخ لكنه فتح عينيه ووجد نفسه في بيت قديم ينيره قطعة من الكتان مغموسة في الزيت مطعونة في حائط من الطين القاسي، وأمامه أريكة من الخشب حوافها غليظة مدسوسة في الأرض، أما الحوائط فترتسم عليها رموز معقدة مربعة ودائرية وبداخلها ما

يبدو أنها حروف محفورة.

سمع هشام صوتًا يأتي من غرفة بابها مفتوح أمامه وكأن صاحبه يتلو داخلها ترانيم، فوجد نفسه يقترب من الصوت بشكل لا إرادي حتى وصل إلى الغرفة ليجدها بدائية بها رائحة بخور ثقيلة مصدرها قطع فخارية بنية اللون من الطوب اللبن موزعة على أركان الغرفة الأربعة الخالية من النوافذ، يطير دخان البخور الثقيل حول رجل جلس على ركبتيه وأمامه جمجمة صغيرة مدهونة بمادة سوداء لزجة.

تفحص هشام وجه الرجل ليجده يحمل نفس الملامح التي شاهدها في صف البشر، لكن الفارق هنا أن الرجل عاري الجزع ترتسم أوشام على جسده النحيل، وهناك كلمات مَحفورة صنعت ندبات شوهت ظهره.

شاهد الرجل وهو جالس مغمض عينيه ويتلو كلمات برتم معين، وتصاعدت نبرة صوته بشكل غريب وكأنه يغني، ثم فتح عينيه ومد يده اليمنى إلى جانبه وأزاح بقوة غطاء من جلد الماشية كان يغطي شيئًا ما ظهرت ملامحه.

كان ما أسفل الغطاء رجلًا ممددًا مظهره يقول: أنه في أواخر العشرينات، قذر الهيئة رائحة نتنة ونظرته مخيفة، وفي فمه قطعة من الخيش تكتم صراخه إن حاول الاستغاثة، أما جسده فكانت تقيده حبال مغموسة بمادة دهنية سوداء.

لاحظ هشام على جسد الرجل الكثير من الوشوم لكنها مرعبة غير واضحة المعالم باللون الأزرق، يبدو أنها محفورة على جسده وليست مرسومة كما الرجل الجالس؛ وذلك بسبب بروز بعضها على جلده بشكل مخيف!

حاول الرجل المكبل أن يتحرك ويفك أسره، فيما نظر إليه الآخر متأملًا حتى هبت ريح ساخنة غلفت المكان وخرج دخان رمادي صغير للغاية ورفيع وكأنه ثعبان يتلوى في الهواء ظهر من العدم، ثم اتجه إلى الجمجمة الموضوعة أمام الرجل لتشتعل نيران زرقاء بسيطة في محجري العين المجوفتين.

قبل أن يفكر هشام فيما يراه، هبط الرجل الجالس بنصل حاد رفيع نهايته مقوسة بعض الشيء على عنق الرجل المُكبل وانطلقت صرخة رفيعة غريبة وكأنها غير آدمية في المكان اختفت بعد أن انتفض جسد الرجل المقيد وخمدت حركته.

كاد أن يصرخ هو الآخر، ولكن لم يخرج منه أي صوت وكأنه يشاهد في صمت، فيما تحرك الرجل الراكع بالنصل الذي يقطر دمًا ورسم حول حواف عين الجمجمة خطوطًا طويلة وخط عرضي يقطعها من الأسفل والأعلى، ثم جذب جثة المطعون من قدميه وكأنه طير مذبوح

ورفع جسده ليقرب عنقه المنحور ليسيل منه الدم على الجمجمة وغمرها تمامًا، ثم جلس أمامها وتصاعد صوت أجوف مخيف من الجمجمة:

- لقد أتممت مهمتك، كانت دماء ابن الملعون هي سبيل منع الشر حين يأتي الموعد، اذهب معهم إلى أرض جاسان فهي آمنة وانتظروا علامات يتبعها خروج وأخرى بعد حين يتبعها موت يطوف البلاد إن عاد. فقط اترك لمن يأتي بعدك أثرًا يمنعه، اترك لهم ما أسفل العظام سلطانًا لمن يختاره ومن نسله تتحرر الأرض، هو سيد القوى والحارس الأعظم.

صمت الصوت تمامًا ورفع الرجل الجمجمة وأخرج من أسفلها خنجرًا شبيهًا بما كان في يده وقتل به الرجل منذ ثوانٍ، لكن المختلف أن في رأس الخنجر فصًا أسود غريبًا.

فجأة، استدار الرجل برأسه إلى المكان الذي يقف فيه هشام والذي انتفضت روحه مع الابتسامة الواثقة التي ارتسمت على وجه الرجل وكأنه يراه، ثم أظلم المشهد تمامًا!

في طرفة عين، وجد هشام نفسه واقفًا أمام حراس ضخام الجثة مسلحين بالسيوف والدروع أمام قصر مهيب يمر أمامه نهر النيل، لكن يبدو من مظهرهم أنهم لا يرونه.

أما القصر فكانت تتصاعد من داخله أصوات جلبة، وكأن هناك حربًا كلامية أو مشادة حامية الوطيس، ثم رج المكان أصوات فحيح وبعدها خرج أحد الحراس بوجه حمل أمارات الذهول وهو ينظر إلى زملائه بخوف ويقول بصوت مرتجف:

- خسر السحرة أمام موسى وأخيه هارون، وأمر فرعون بقتلهم لأنهم آمنوا به وبربه!

تسمّر جسد هشام، وهو ينظر إلى القصر، هل هذا قصر فرعون آخر العماليق الهكسوس الذين حكموا مصر؟!

بعدها شاهد انعكاسًا أحمر على القصر. نظر خلفه ووجد نهر النيل تحول إلى دم قانٍ يجري بلزوجة غريبة ثم رأى من مكانه أسماكًا طافية فوق المياه زاهقة الروح والحياة، وبعدها تصاعد صراخ حوله ومحاولات لرجال ونساء لشرب المياه وأمارات الاشمئزاز على وجوههم وبصقهم بسرعة وهم ينظرون حولهم باحثين عن مياه نظيفة تروي ظمأهم فلا يجدون!

توالت المشاهد أمام هشام وكأنه في فيلم، ليل يعقبه نهار، وصراخ رجال يتعالى حوله بعد أن تدمرت المحاصيل بسبب نهر الدم، ونظرات أطفال بأعين باكية على ما يحدث ولا يعلمون سببه ولكنهم جوعى!

ضرب الألم رأس هشام. حاول الصراخ ولكن لم تتوقف المشاهد أمامه، وجد البرد الأبيض

يكسو المحاصيل الميتة؛ ما دفع الأهالي والجنود لمحاولات فاشلة للدفء عبر جلود وفراء نتنة لحيوانات شربت من المياه وماتت، ثم برق ورعد ونيران مستعرة تعالت أمامه تأكل الأخضر واليابس!

رأى هشام في ثوانٍ معدودة جحيمًا مستعرًا شهدته مصر عقابًا لفرعون؛ لأنه لم يسمح لموسى وبني إسرائيل بالخروج من البلاد، جحيم زاده نقيق الضفادع وهي تتوائب أمامه بالآلاف وتغطي كل شيء وتكتسح ما أمامها دون هوادة لتجعل الوضع أكثر جنونًا.

دار هشام حوله وهو ينظر بذهول إلى المنطقة التي تحولت إلى كارثة بفعل عناد فرعون، هل هذه العلامات التي كان يقصدها الصوت وقالها للرجل، ولهذا قال له: إنهم سيخَرجون إلى أرض جاسان، قرأ عنها مرة وعلم أنها أرض خصبة تقع شرق الدلتا بالقرب من الحدود وهي المنطقة التي سمح لبني إسرائيل بالإقامة فيها بعد نزوحهم إلى مصر.

الألم في رأسه تصاعد أكثر، وزاده ألقًا الصراخ الذي لم يتوقف حوله، شاهد بعض الجثث على الأرض ميتة فاتحة ثغرها وكأنهم ماتوا بمرض.

يعلم هشام أن هناك علامات سبقت خروج بني إسرائيل منها الأوبئة، وها هو الآن يرى الأمراض التي استشرت وحولت المشهد إلى لوحة ارتسم الألم في جميع جنباتها، رأى القمل في الرؤوس والذباب الذي يهاجم البشر والجراد بطنينه المخيف وهو يخفي السماء الصافية ويحل ضيفًا غير مرغوب فيه على كل بيت.

حل الظلام فجأة!

ظلام دامس لم يرَ هشام خلاله يده، ولكنه امتزج بالصراخ المتصاعد حوله الذي لم يتوقف، الآن أيقن أن هذه كانت علامات الخروج التي قالها الصوت وحضرها بنفسه.

على الرغم من أنه قرأ عن العلامات التي سبقت خروجهم من أرض مصر واجتمعت عليها الأديان الثلاثة، ويعلم أن هناك علامات أخرى لم تكن مشتركة بين القرآن والتوراة والإنجيل إلا أن مشاهدة الحقيقة أمر قاسٍ لن ينساه طوال حياته.

انتهى الظلام ثم عاد المشهد إلى نفس الرجل مرة أخرى، وعلى الرغم من أنفاس هشام المتسارعة إلا أنه شاهد الرجل جالسًا في بيته منهمكًا في طحن أعشاب في آنية من الخشب وقطعة من الحجر الأسود. سمع طرقًا على الباب ونهض الرجل وفتح لزائر نحيل ملابسه ممزقة يخفي وجهه بقطعة من القماش.

قال الطارق بصوت خافت وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

"حان الوقت.. سنرحل الآن!".

ألقى كلماته ونظر حوله بخوف واختفى عن زاوية رؤية هشام ورحل، فيما دخل الرجل وأغلق الرجل الباب خلفه بسرعة وأخرج الخنجر وصنع حفرة في الأرض الطينية بيده العارية. ظهرت الجمجمة الصغيرة مدفونة، ثم جرح الرجل يده وسالت منها دماء سقطت على العظام، وفجأة أطاح بيده في المكان لتتناثر قطرات الدماء حوله حتى إن إحداها تخطت جسد هشام الشبحي!

لم يدرِ هشام ما فعل الرجل، ولكن من بعد تلك الحركة أصبح وكأنه يقرأ أفكار المشعوذ!

شعر وكأنه داخل عقل الرجل، عرف أنه تم تجهيز كل هذا، شعر بمشاعر الرجل أمامه. كان خائفًا من أن يفشل ولكنه يفعل كما أمره حارس النور، عرف أن تلك الحركة تسمى في فنون السحر القديمة "التلاحم" أي يصنع الساحر من دمه همزة وصل بينه وبين الآخرين.

علم هشام أن الرجل أمامه مؤمن برسالته بشدة، والتي كانت أن يصنع مَن نسل ابن الملعون وسيكون له دورٌ بعد ذلك في حرب كبرى.

عرف أن اسمه ياشع بن حان تابع حارس النور، وأنه لم يؤذِ نفسًا من قبلُ، هو المؤمن برسالة موسى الإلهية والذي نفذ دوره على أكمل وجه، وتبقى فقط أن يجهز الخنجر للمختار، لكن هناك خطوة واحدة عليه فعلها لتسهيل تلك المهمة، وهي إسالة دمه والتضحية بجزء من جسده.

أغمض الرجل عينيه وأمسك الخنجر وقطع إصبعًا من يده سقط في الحفرة بجانب الجمجمة وارتسم الألم على ملامحه ممزوجًا بابتسامة منتصرة، ثم التفت بسرعة وشعر هشام وكأنه ينظر إليه مباشرة، ثم خرج من المكان تاركًا إياه وحيدًا!

بمجرد أن اختفى الرجل اقترب هشام من الحفرة ووجد الخنجر فيها. مد يده متعجبًا مما رأى، وبمجرد أن لمس المعدن البارد بأصابعه اختفى كل شيء!

***

(نيرفا)

تعالى صوت مزاح الأطفال أمام أبواب مملكة نيرفا ذات الأسوار العالية وبرجها الوحيد الذي ثبت أعلاه قوس ضخم من الفضة الممزوجة بالذهب وهو شعارها، فيما ركضت بعض الفتيات إلى بئر كبيرة قريبة من البوابة الرئيسية الضخمة لإحضار المياه قبل حلول الليل وغلق البوابات الثلاثة الخاصة بالمملكة.

اهتزت الأرض فجأة بوقع حوافر خيول تقترب وارتفعت سحابة من الغبار فجأة على بعد كيلو مترات دفعت الفتيات والأطفال للصراخ بصوت عالٍ والركض بسرعة لدخول البوابة، وسط ذعر واضح ضرب الحراس من هؤلاء القادمين، خاصةً وأنهم لم يصل إليهم أي أنباء عن ضيوف للملك ديرا.

ضرب صوت بوق الإنذار السكوت، وتعالى صخب غلق البوابات بالمتاريس، فيما اصطف الجنود بسرعة أعلى الأسوار موجهين أسهمهم إلى القادمين الذين توقفوا على بعد مئات الكيلو مترات من المملكة، وبدأ الغبار ينقشع كاشفًا عن هويتهم.

الآلاف من الكائنات التي ترتدي دروعًا حديدية على الصدر والرأس، يمتطون مخلوقات غريبة هي مزيج من الضباع والأسود زامت بشراسة، وأمامهم مسخ برأس ضخم ودرع وفي يده منجل طويل.

عيناه مخيفتان بشقين طوليين وفم صغير للغاية لا يناسب وجهه وندبة طويلة تصل من رأسه الأصلع أبيض اللون إلى جانب فمه الأيمن زادته بشاعة.

اقترب المخلوق من الأسوار وقال بصوت مرتفع لا يتناسب مع فمه الدقيق:

"بأمر الملك قشمين، قائد ممالك الأرض وجوفها، بأمر السيد، نأمركم بالاستسلام لجيش خشاع ذراع الملك وسيفه، إن أردتم النجاة فسلموا الأرض راضخين، وإن اخترتم الموت السريع فنحن آهلون له، نسفك دماءكم ونذبح أطفالكم ونساءكم؛ لتكونوا عبرة لمن لم يعتبر".

تصاعد صراخ الأهالي داخل نيرفا بطرقها المزينة بأشجار الرمان والموز والبحيرة الصناعية التي تتوسطها، فيما ركض الأطفال مختبئين في أحضان أمهاتهم، وحمل الرجال الأسلحة البدائية من فئوس ومناجل حصاد وبلطات قصيرة لمواجهة المسوخ في الخارج.

وسط كل ذلك كان أوب ذو العشرين ربيعًا واقفًا لا يفهم أي شيء مما يجري خارج بيته الذي يعيش فيه مع أمه، سمع صوت جلبة وصراخ ولكنه لا يعرف ما يحدث.

ماذا في الخارج يا أمي؟ قالها لأربعينية متوسطة الجمال ترتدي غطاء رأس من الصوف المصبوغ وتضع جانب رأسها على باب البيت الخشبي لتسمع ما يحدث في الخارج، ولكن كل ما تنامى إلى مسامعها صراخ وأصوات ركض.

استدارت وقالت له بخوف واضح في كلماته:

- لا أعلم يا أوب، يبدو أن هناك حدثًا جللًا في المملكة، الرجال يركضون والنساء صراخهم يسمعه كل ذي صمم!

سرت قشعريرة باردة في جسده واقترب من الباب وربت على كتف أمه، وقالِ بهدوء محاولًا أن يبث فيها بعض الطمأنة:

- ربما تكون مسابقة جديدة، أنت تعلمين أن الملك تطرأ في عقله كل فترة فكرة ويطبقها فورًا.

قاطعه صوت صراخ جديد وطرقات على باب البيت جعلت جسد أمه ينتفض وقال بتوتر بصوت عالٍ:

من الطارق؟

أجابها صوت آمر:

- افتحي الباب، بأمر الملك كل رجل عليه الحضور إلى الأسوار للدفاع عن المملكة.

سألت بنبرة مهتزة من الخوف: "الدفاع ضد من؟!".

لم يمهلها الصوت وقتًا لمزيد من الفهم والسؤال، بل زاد في الطرق وقال بغضب: "افتحي بأمر الملك، نعلم أن أوب في الداخل وعليه الحضور مع باقي القادرين على حمل السلاح للدفاع عن الأسوار".

وضعت جسدها خلف الباب وكأنها ستستميت في عدم خروج ابنها من البيت وصرخت: "لن يخرج، أوب صغير على حمل السلاح، لا أملك رجلًا سواه، أرجوك بشفاعة الإله أن تتركه، لا تأخذه مني".

"افتحي يا امرأة وإلا كسرنا الباب وأعدمناكما لمخالفة أمر الملك".

تعالى الصوت وتزامن مع اهتزاز الباب بقوة دفع الحارس في الخارج. نظر أوب إلى أمه وعيناه مغرقتان بالدموع وقال مطمئنًا إياها:

"أقسم لك أني لن يصيبني سوء، دعيني أخرج يا أمي وسأعود لا تقلقي، الشجعان لا

يختبئون خلف الأبواب المغلقة أمام أية معركة، هكذا علمني أبي".

بدأت أمه في البكاء وسقطت أرضًا وظهرها إلى الباب:

"لا أريد أن أفقدك مثله".

مسح أوب على رأسها وقال متمالكًا أعصابه: "لن تفقديني.. أعدك".

تعالى صوت الطرقات ومحاولة كسر الباب. دفع أوب أمه برفق وأزاح قطعة من المعدن مُعلقة لغلق الباب ثم فتحته ونظر إلى الحارس الغاضب الذي قال وهو يناوله فأسًا:

- اذهب إلى البوابة الشرقية، ستكون من المشاة. ثم ركض ذاهبًا إلى بيت آخر وهوَ يطرق عليه ليأمر القادرين بالخروج.

***

(التابع)

المشهد التالي كان صادمًا لهشام الذي وجد يده تلاصق الباب وجزء منه مفتوح. سأله مروان "هل أنت بخير؟!".

أرجع هشام يده بسرعة مذعورًا والتفت إلى مروان وسأله بخوف: "ماذا حدث؟" ومع إتمام كلمته سمع صوت ارتطام شيء معدني بالأرض.

نظر ووجد الخنجر الذي شاهده في الحفرة!

تبادل النظر مع مروان الذي سأله بتعجب وأشار إلى الخنجر:

- ما هذا؟ من أين جاء وسقط؟

بلع هشام ريقه بصعوبة ونظر إلى الخنجر في الأرض وردّ: "لا أدري". ثم أمسك به وتفحصه وسأل مروان: "ماذا حدث لي؟".

زاد التعجب في نبرة مروان وقال:

لا أعرف، قل لي أنت لأنك توقفت فجأة ثوانٍ بعد أن دفعت الباب وناديت عليك مرتين ولم ترد!

ارتسمت الحيرة على وجه هشام، فكر فيما شاهده والرجل المشعوذ، و"ما سر ذلك الخنجر؟!". تمتم بالجملة الأخيرة دون وعي منه.

سأله مروان عما قال لكنه لم يرد، بل دفع الباب ثانية ودخل وجسده يرتعش من التوتر. أضاء النور ثم تبعه وائل للغرفة التي تضم سرير والدته ودولابًا كبيرًا وكومودينو ونجفة قديمة الطراز مذهبة اللون أحمر ضوئها.

شاهد هشام الأغطية التي ظلت كما هي حين ماتت عليها الأم، وتفحص مروان المكان وقال سائلًا:

- قلت: إن أمك كانت تعبث بورقة وخاتم، أين هما؟

رد هشام بسرعة ونظر حوله باحثًا عنه وحاول نفض ما حدث عن تفكيره:

لا أدري لكنه كان معها على السرير؛ لأنه لم يكن وسط أغراضها حين ماتت.

سأل مروان مجددًا وبدأ يعبث بالمرتبة والأغطية فوقها:

- وهل بحثت عنه؟!

أجاب هشام وهو يتجه إلى الدولاب باحثًا عن البدلة التي شاهد أمه تُخرج منها الورقة وقال بتأثر واضح:

- لا، لم أدخل الغرفة منذ أن ماتت.

"وجدتها" قالها مروان بنبرة انتصار.

التفت إليه هشام سريعًا ووجد نفس العلبة التي شاهد والدته تفتحها قبل أن تموت.

التقطتها من يد صديقه الذي قال وقد بدت الحماسة في صوته: هذا يعني أنك لست مجنونًا وشاهدت ما حدث لأمك!

رد هشام بحسم: "نعم.. لست مجنونًا" وركع على الأرض ونظر أسفل السرير لكن الإضاءة لم تكن قوية. أخرج هاتفه وأضاء الكشاف باحثًا عن الورقة أو الخاتم لكن لم يجد أي شيء.

رفع رأسه وقال بأسف: ليسا هنا. نظر إليه مروان ولم يعلق.

أما هشام، وضع الخنجر على الكوميد بجانبه وعاد إلى الدولاب المفتوح وأخرج البدلة الخاصة بوالده وبدأ يبحث في جيوبها لكنه لم يجد أي شيء.

قاطعه صوت صديقه بنبرة انتصار: "الورقة.. وجدتها أيضًا".

اتجه هشام إليه بسرعة والتقط منه الورقة وفضها وبدأ يقرأ ما فيها.

كانت مكتوبة بالعربية بخط أنيق للغاية وكأنه مرسوم، يعلم جيدًا أنه خط والده لأنه يعتز جدًا باللغة:

(إلى رفيقة روحي، فعلت ما فعلت لأجل الحياة، مسارنا مكتوب والقدر لا فكاك منه، لم يعد أمامنا وقت. حاولت لأجله التضحية بنفسي وخضت اللعنة ولكن لم أفلح، لكن مهدت له الطريق ليستكمل المسير.. لا تحاولي. أنتِ لست منا ولكنه قدره هو، هو الوحيد القادر على وضع القوانين. الملعون سيعود قريبًا وعليه أن يتهيأ وإلا ضاع كل شيء، ليس دائمًا الماضي يرسم المستقبل، بل أحيانًا يصنع المستقبل ماضيًا جديدًا وعليه خوضه باختياره).

أختتم كلماتي لك أنتِ: (فقط في ليلة اكتمال القمر يلتقي الأحبة، تذكرني حين تشاهد الوجه المضيء، وحينها لن يخيف الموت الأحياء ولو كانوا عظامًا).

فقط!

قالها مروان باستغراب بعد أن استمع إلى هشام الذي انتهى من قراءة الورقة بتعجب

واضح وشعر من داخله أن هناك كارثة تحدث.

فكر هشام فيما قرأ، أي لعنة وأي قوى يتحدث عنها والده وكيف تعرف والدته أن هناك شيئًا كهذا؟! وهل لموتهما علاقة بالخاتم الذي شاهده والخنجر الذي وجده؟! وما الذي يعنيه بصيغة المذكر الموجودة في آخر الرسالة؟!

يعرف هشام أن والده مدرس لغة عربية ولا يمكن أن يخطئ في التذكير والتأنيث؛ مما يعني أن الجزء الثاني موجه إليه هو نفسه.

مد يده وتحسس الصندوق الفارغ الذي شاهد أمه تخرج منه الخاتم فلم يجد داخله أي شيء. تركه واستعد لاستكمال البحث، ولكنه استدار حين قال مروان بسخرية:

جيد، أريد أن أتشاجر به مرة.

نظر هشام خلفه ووجد وائل ممسكًا في يده الخنجر ويدور به في الهواء وينظر إلى المعدن بفخر، لكنه لم يعلق بسبب انشغال تفكيره في البحث عن سبب مقنع لما يحدث وعلاقة الخاتم بوالدته ووالده وما تعنيه تلك الرسالة!

شعر بتيار ساخن للغاية لفح جسده فجأة، ودفعه للنهوض مذعورًا ونظر إلى مروان الذي توقف عن الحركة وفي يده الخنجر، ثم بدأ يتلفت حول نفسه وجسده يرتعد من الخوف!

كان جسد مروان ينتفض، تراجع إلى الخلف، ونظر حوله بسرعة وكأنه يراقب شيئًا ما، تلفت بجنون، لم يكن يصرخ أو يتحدث بل اكتسى وجهه بكل ذعر يمكن لوجه بشري أن يحمله وكأنه حبس أنفاسه من الخوف!

نهض إليه هشام بسرعة وأمسك كتفه وجعل جسد صديقه يستدير إليه ويواجهه:

ماذا دهاك يا مروان؟!

توقف عن السؤال وهو ينظر إلى عيني صديقه!

كانت بيضاء تمامًا، حدقتا عينيه اختفت، أما جسده فكان باردًا كالثلج، وما صدمه أكثر أن صديقه دفعه بيده بقوة بالغة جعلته يسقط على الأرض مذعورًا!

استند هشام بيديه على الأرض ونظر إلى مروان الذي لا زال يستدير حوله وأشار بالخنجر حوله وكأنه يعارك شيئًا ما مع نظرة ذعر عمت وجهه، ثم توقف ومد يده اليسرى إلى الأمام وكأنه يلمس شيئًا ما!

"بالله عليك قل لي ما يحدث". قالها هشام ولم يرد مروان بل نظر إليه وأغلق يديه

الاثنين ثم بدأ يفتح كل إصبع على حدة وكأنه يعد أرقامًا!

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، ثم نظر حوله بذعر بالغ واستكمل بنبرة مخيفة أجشة لا تخرج من حنجرته:

التابع فقط معه السر!

ثم بدأ يخمش في وجهه، ولولا أنه يقص أظافره أولًا بأول لكانت أول خمشة كفيلة بأن تجرح وجهه جرحًا بالغًا.

عاود الخمش وزام بشكل مخيف، فيما نهض هشام بسرعة وقفز على صديقه ليكبله.

حاول مروان دفعه ودار حول نفسه، ولكن هشام تشبث به أكثر وأمسك بذراعيه وبدأ يردد قرآنًا بصوت مرتفع.

دفع مروان ظهره إلى الخلف بقوة وأسقط هشام أرضًا بعد أن اصطدم بالدولاب، وكادت أن تُكسر درفته.

نهض هشام بسرعة وقفز على صديقه في محاولة لتكبيله لكنه لم يقدر، بل تمكن منه مروان ودفعه إلى الخلف ثانية وسقط أرضًا، ثم بدأ الضوء في التذبذب فجأة!

الغرفة أظلمت لثوانٍ ثم عاد الضوء.

وجد هشام حول مروان مسوخًا تضحك ووسطهم صديقه يركع أرضًا وهو يضحك.

أظلمت الغرفة ثم أضاءت.

شاهد هشام صديقه يتسلق جدران الغرفة وكأنه مسخ وعيناه على اتساعها والشدق يسيل من فمه!

أغلق الضوء وصرخ هشام ودعا الله أن ينقذ صديقه.

إضاءة، مروان خمش وجهه بعنف وكأنه يريد تمزيق لحمه!

ظلام! ضوء!

مروان وجهه مسود وديدان بدأت تخرج من جسده، أما هو فوقف مبتسمًا يدور حول نفسه في جنون وخلفه ارتسمت صورة من الظل على الحائط لوجه مسخ أسود!

ظلام.

زاد هشام في صراخه، وداخله يقين أن السر في الخنجر الذي لا زال مروان يتشبث به في

يده فهو الشيء الجديد، وعليه أن يجعل صديقه يتركه!

ضوء..

ابتسم مروان بسخرية وعض على شفتيه حتى بدأت تقطر بالدم وخلفه جناحان على الحائط يرفرفان ببطء ورتابة، فيما وقفت حوله مسوخ ترقص بعضها يقف على أربع ورؤوسهم ضخمة بعين واحدة وقرن واحد صغير للغاية ملتف يتوسط رأسها، والبعض الآخر جسده أبيض تمامًا بعينين طوليتين!

ظلام.. ثم ضوء.

دار مروان حول نفسه ولا زال يصرخ بجنون وكلمات من دم تُكتب على الحائط خلفه وممصات تخرج من حول الوجه الأسود على الحائط وكأنها تريد اقتناصهما!

ظلام، ضوء!

وقف مروان أمامه مباشرة فاستغل هشام الفرصة وقفز عليه بسرعة وأمسك يده وانتزع الخنجر بعنف كاد أن يكسر يد صديقه ويلف حول نفسه وسقط أرضًا وسقط السلاح بجانبه.

لا يدري كيف، لكن عيني هشام التقطت الكلمات المكتوبة على الحائط قبل أن تختفي مع سقوط الخنجر.. كانت "سأعود!".

هدأ كل شيء بغتة.

نظر هشام حوله بذعر ووجد مروان على الأرض. جلس بجانبه صامتًا، تنفس بسرعة صدره يعلو ويهبط، يعلم أن الآن أصبح الوضع خطيرًا بعد أن كاد صديقه يفقد حياته.

اعتدل وجس نبض مروان وحاول إيقاظه لكن لم يستفق. نهض بسرعة وأحضر كوبًا من الماء وألقى بعض القطرات على وجهه ففشل أيضًا. عليه أن يفعل حركة لطالما كرهها. أمسك بقدم مروان ثم تحامل على نفسه وبدأ يزغزغ قدمه بقوة.

رغم صعوبة الموقف إلا أن هذه هي نقطة الضعف الوحيدة لصديقه، ويبدو أنها مجدية؛ لأنه نهض ورسمت شفتاه ابتسامة، وكاد أن يضحك لكن سرعان ما استوعب الموقف وأجهش بالبكاء واحتضن صديقه بقوة.

ربت هشام عليه ودعاه للهدوء، فيما قال مروان بأنفاس متلاحقة:

لقد شاهدتهم، كان الوضع صعبًا، لم أكن أسيطر على نفسي، ما الذي يحدث يا هشام وأي لعنة أدخلت فيها نفسك وسحبتني معك داخلها، هذا اللعين، وجه المسخ هذا هل شاهدته؟!

هز هشام رأسه وقال: "نعم يا صديقي.. اهدأ فقط". ومد يده وساعد مروان على النهوض وأردف:

- صدقني أنا نفسي لا أفهم أي شيء، ولكنك قلت لي شيئًا عن التابع!

تعجب مروان وحاول استعادة رابط جأشه:

- أي تابع؟!

سأل هشام:

- ألا تتذكر؟!

هرش مروان في رأسه وأشار إلى الخنجر على الأرض:

- أتذكر أني أمسكت اللعين هذا وبعدها وجدت حولي مسوخًا يركعون لي والعياذ بالله، وتيارًا ساخنًا للغاية يغلف جسدي جعلني لا أقدر أن أسيطر على نفسي أو تفكيري، ثم ذلك المسخ الذي كان يتحدث بلغة غريبة!

- وبعد ذلك؟ ماذا حدث؟!

بدأ مروان يدور في المكان بنظره وجسده لا زال يرتعد والكلمات تخرج من فمه بشكل متقطع:

- كنت أراهم حولي، كانوا بالعشرات رغم أن الغرفة صغيرة، يركعون ويرقصون، بعضهم مد ممصات مقززة وحاولوا بها أن يتحسسوا جسدي، ولكني كنت أدور حول نفسي كي لا يفعلون، لكن لم أقدر أن أسيطر على نفسي بالقدر الكافي، وبعدها.. بعدها شعرت بالتيار الساخن يدور بي في الغرفة، شاهدتك من الأعلى!

وصمت لثوانٍ وسأل وضاقت عيناه مفكرًا: هل كنت أطير؟!

أجابه هشام وحاول أن يستوعب ما يقوله صديقه:

- لا لم تطِر، للدقة كنت تزحف على الحائط!

نظر إليه مروان وأشاح بيده بتعجب وسأل:

- هل فرقت؟

ابتسم هشام محاولًا تهدئة صديقه:

- لا، أكمل.

أطرق مروان رأسه أرضًا وحاول تذكر أي شيء آخر ولم يفلح، وقال:

- فقط، هذا كل ما حدث، ولكني لا أتذكر أي شيء قلته عن تابع أو ما شابه!

والمسخ؟ سأله هشام. أجاب مروان بخوف واضح:

كان يضحك وسعيدًا!

لم يستوعب هشام رد مروان فسأل ثانية:

ماذا تقصد.. ما هو؟!

كاد مروان أن يبكي ثانية وهو يقول:

- لا أعلم، لكنه مخيف، مخيف بحق، كان سعيدًا بشيء ما سيحدث، وقال: إنه.. سيعود!

وضع هشام يد مروان على كتفه وأسنده واتجه به إلى الخارج وقال بنبرة حاول أن تخرج هادئة:

سنشغل القرآن ولا تقلق لن يحدث المزيد من الجنون، لن نقرب الغرفة وسنكون سويًا.

قال مروان بنبرة مرتجفة:

أريد الرحيل!

التفت هشام لصديقه وقال بملامح جامدة:

- هل تتحدث بشكل جدي؟

صمت مروان لثوانٍ وحسم أمره وأجاب باقتضاب:

- نعم!

أمسك هشام بصديقه:

- قلت لك اهدأ لأن كل شيء انتهى!

التفت مروان إلى هشام وعيناه مغرقتان بالدموع وقال:

- اعذرني يا صديقي لا أقدر على تحمل المزيد.

لم يرد هشام أن يكون أنانيًا أكثر واكتفى بأن قال لمروان بحزم:

- ارحل إذن ولا تعد ثانية يا صديقي في هذه الفترة، أنت لست جبانًا وأعلم ذلك، ولكن كل

ما أطلبه منك أن تدعو لي أن ينتهي كل ذلك على خير.

أمسك به مروان وقال برجاء: "ارحل معي، اترك هذه الشقة الملعونة وتعالَ لتعيش معي".

نظر إليه مروان وقال بحسرة ويتلفت حوله:

أعيش معك كيف؟! وماذا ستقول لأهلك؟! فكرت في ذلك يا صديقي لكن لا أظنه يجدي، سأرحل عن الشقة فعلًا لأن من الواضح أنها ملعونة أو بها شيء ما لا أفهمه، ولكن عليّ أن أحضر أغراضي. انتظرني أنت في الأسفل وسأجهزها سريعًا وأنزل لك، وربما أبيت على القهوة الليلة؛ لأني كما تعلم لا أعرف أي شخص من عائلة أبي وعائلة أمي جميعها في المنصورة.

حملت عينا مروان الكثير من الشفقة واحتضن هشام وقال بأسف وخجل:

- سأنتظرك في الأسفل إذن، ولا تقلق سنجد حلًا، سأنزل الآن وأذهب إلى شقتي وأحضر بعض الأغراض؛ لأني سأبيت معك الليلة في أي مكان ولن أتركك.

ثم أشار إلى هشام بيده وهو ينزل على السلم ورفع صوته قليلًا ليسمعه صديقه وهو ينزل:

- دقائق وسأعود وعليك أن تكون جاهزًا.

هز هشام رأسه موافقًا بشكل مبدئي على اقتراح مروان، واستدار للدخول وتجهيز أغراضه المتمثلة في بعض المال والملابس الداخلية والجاكيت وشنطة اللاب توب الخاصة به.

قاطعه جرس الباب.

تعجب وسأل نفسه: "هل يكون مروان عاد ثانية وتذكر شيئًا ما؟" فتح الباب بسرعة وتوقف مبهوتًا وأمامه رجل أربعيني عريض المنكبين لديه لحية امتزج فيها السواد بالشيب:

هل أنت هشام؟ ألقى الرجل السؤال، فأجاب: نعم.

أزاحه الرجل ببطء من جانبه ودخل الشقة بدون استئذان ونظر حوله؛ ما دفع هشام إلى أن يقول للدخيل بنبرة عدائية:

- من أنت؟! وكيف تدخل هكذا بدون استئذان؟!

التفت إليه الرجل وهو يرد معرفًا نفسه:

- أنا التابع!

(الاختيار)

وقف الملك ديرا يحاول ارتداء درعه الذهبي الذي لا يناسب كرشه الواضح المتدلي أمامه. سعى باستماتة أن يلبسه بمساعدة اثنين من الخدم، فيما دخلت عليه زوجته فيبا بشعرها الذهبي وقالت بتوتر:

- "مصمم على أن تتحدث مع المسوخ؟!".

قال وهو يعدل حزامه الجلدي ويضع فيه سيفه المزين باسمه:

- "لا بديل، لن أجازف بحرب معهم ونحن مملكة قائمة على الزراعة والرعي، لسنا كمملكة الوادي الحصينة".

قاطعته باستنكار ورفض:

- "ولكنهم مسوخ، منذ متى والمسوخ لهم عهد وكلمة؟!".

نظر إليها بغضب والعرق يسيل من ذقنه على رقبته السمينة، وقال:

- "منذ متى الملك يضحي بأرضه وشعبه؟! أريد السلام فقط، سيطلبون المال والزاد والنساء والخدم ولا أبالي بكل ذلك، على الأقل سيعيش باقي الشعب بأمان".

اقتربت منه زوجته ومسحت على ظهره بحنان وحاولت أن تهدئ نبرتها العصبية بعض الشيء:

- "لا أمان يأتي في وقت الحرب، إما نصر أو موت، أنت من كنت تقول ذلك حين كنت فارسًا قبل أن تصبح ملكًا.. هل نسيت؟!".

نظر إليها الملك ديرا ولم يعلق، فيما انتهى الخدم من إلباسه درعه كاملًا وتراجعا إلى الخلف باحترام ينتظران أي أوامر أخرى.

قال لزوجته بكلمات حاول أن تكون واضحة:

- أحيانًا تفرض علينا الحياة مبادئ أخرى غير ما نؤمن بها.

نظرت إليه بغضب وقالت وهي تخرج من الغرفة:

- مبادئ الرجال لا تتغير حتى يوارون الثرى، فهي شاهد توضع على قبورهم وتقول: "هنا يرقد الفرسان!".

تركته ينظر حوله مفكرًا. طرق على منضدة خشبية موضوعة أمامه وأسقط إبريق مياه من

الفضة أرضًا لينقلب منه سائل الحياة، فيما ظل ناظرًا إلى الأرض أكثر من 5 دقائق ثم خرج يردد: "صدقت يا امرأة".

***

(الحجر الساقط)

ساد الصمت المكان بعد أن قال الرجل: إنه التابع. هشام لا يدري ما يقوله، ولكنه دخل وأغلق الباب وظل ناظرًا إلى الضيف الذي دخل ثم خلع جاكيت أسود طويلًا يرتديه وأسفله بلوفر طويل برقبة.

أمسك هشام برأسه وردد وقد بدأ يفقد صوابه:

- لا أفهم أي شيء، لا أفهم!

أمسك الرجل بكرسي وعدل وضعه وجلس فوقه وأخرج من الجاكيت الموضوعَ بجانبه كيسًا من التبغ معلقًا به "بفرة" وكيسًا آخر به "كارتيلات"، ثم بدأ بحرفية واضحة صنع سيجارة لنفسه وأشار إلى هشام:

- أأصنع لك واحدة؟! أعلم أنك تدخن!

هز هشام رأسه بالرفض، وذهب للسفرة وجلب علبة سجائره وأخرج واحدة. أعطى له الرجل قداحته وأشعل سيجارته وبدأ ينفث دخانها بتوتر واضح منتظرًا أن يبدأ الرجل حديثه.

انتهى التابع في أقل من نصف دقيقة من عمل السيجارة والتقط منها بعض الأنفاس وأصدر أدخنة ببرود أثار غضب هشام الذي ظل واقفًا وسأل:

- من أنت؟!

نظر إليه الرجل:

- كما قلت لك، أنا التابع.

- لا أفهم!

- ولن تفهم الآن. ورفع يده طلبًا من هشام التريث وأضاف: "هناك شيء علي فعله أولًا".

وضع السيجارة على طرف السفرة الخشبية وقال لهشام: هل تسمح؟!

أشار إليه هشام بنفاد صبر:

تفضل!

نهض الرجل وأخرج من الجاكيت قلمًا قديم الطراز به أربعة ألوان يُخرج كل منهم على حدة، ثم اختار اللون الأسود ورسم به دائرة كبيرة على الأرض باللون الأحمر أحاطت به هو

وهشام، ثم عدة دوائر صغيرة باللون الأسود وأخيرًا 7 رموز غريبة باللون الأخضر حتى ضاقت الدائرة عليهما:

لا تخرج منها.. قالها الرجل بحسم. سأل هشام: ماذا تفعل؟!

التفت إليه الرجل وذهب لإحضار ما تبقى من سيجارته التي شارفت على الانتهاء وعاد إلى الدائرة ووقف مقابل هشام وقال:

الآن يمكننا الحديث، طالما صنعت هذه الدائرة فلا يمكن لمخلوق أن يعلم ما نتحدث عنه أو يتلصص علينا.

وأشار إلى الدائرة وأضاف: هذه رموز حماية من ثلاث طبقات، لكنها تفلح لمرة واحدة ولا يمكن صنعها ثانية إن خرجنا منها، ولكنها على الأقل كفيلة لتحجبنا تمامًا عن كافة المخلوقات لبعض الوقت لنتحدث بأريحية بدون قلق، ولهذا أطلب منك أن تحفظ كل ما سأقوله لأنك لن تسمعه ثانية، هل فهمت؟

لم يستوعب هشام كلمات الرجل ما دفعه ليزيد بصرامة وبصوت غاضب بعض الشيء:

هل فهمت؟!

بلع هشام ريقه أمام حدة الرجل ورد: نعم فهمت، والآن أريد أن أفهم ما يحدث!

قال الرجل بنبرة عادت إليها الهدوء:

ما سأحكيه لن يدخل عقلك، ولكني أظن أنك في الأيام الماضية واجهت ما سيجعلك تتقبل حديثي الغريب هذا، ولكن علينا أن نعود إلى البداية تمامًا، نعود إلى آلاف السنين حين ساد البشر الأرض. كان هناك 4 ممالك في الوادي تعيش في سلام، ولكن لم يدم هذا بعد أن قرر أحد الملوك ويدعى قشمين أن يحصل على قوة كبيرة لا يمكن أن تتكرر وحاول عن طريقها السيطرة على الجميع.

خاض المعارك وكاد أن يبسط سيطرته بالفعل، لكن نجح البعض في مواجهته وسجنه بطاقة عظيمة منعت شروره عبر آلاف السنين.

سأل هشام باستغراب:

- وكيف أصبح قويًا لا أفهم؟!

أضاف التابع شارحًا:

كان مصدر قوته شيء يدعى الحجر الساقط، وهو حجر من الماضي السحيق مصدره غير

رد التابع:

الخنجر أحد أجزاء الحجر الساقط، وهو واحد من عدة أشياء مادية أخرى يجب على المختار الحصول عليه، للحصول على القوة كاملة.

"كلما تحدثت تقول المختار، ليس أنا بالتأكيد!" وزاد بغضب: "أنا شاب جامعي من عائلة بسيطة وأنت تتحدث مع الشخص الخطأ!".

أمره التابع: "اكشف عن صدرك".

نظر هشام إلى الرجل وخلع ملابسه العليا وظهر الأثر على صدره وأشار إليه التابع وقال:

- أنت الآن المختار للحصول على الحجر الساقط، وهذه العلامة دليل على ذلك، وهي تدخل في دمك وعقلك حتى تصنع منك إنسانًا مؤهلًا للحصول على القوة، وبالمناسبة هذه العلامة لا توضع صدفة بل يضعها القدر فقط.

صمت فجأة ونظر حوله. التفت هشام ليرى إلى ماذا ينظر التابع ووجد أمامه بعض الخيوط السوداء تتشعب على الجدران بشكل غريب.

تجاهل التابع ما يحدث وزاد:

- عيون قشمين المتلصصة بدأت تنتبه لما يحدث، أمامك ساعات قليلة للغاية فقط للحصول على أجزاء الحجر بالكامل، لكن احذر لأن دخول تلك الثغرات الزمكانية والحصول على الأجزاء سيجعل جسدك المادي أكثر ارتباطًا بالعالم الآخر، أي أنك كلما حصلت على جزء من الحجر أصبح جسدك ماديًا أكثر لدى بقية العوالم، وحينها سيسهل إيذاؤك أو ربما قتلك.

وتابع محذرًا:

وأيضًا، كلما حصلت على جزء من الحجر نلت قوته وأصبحت لك قوة أكبر وتأثير أعظم على العالم الآخر، ولهذا أعتقد أن العلامة الأولى كانت بسيطة وحصلت عليها بسهولة؛ وذلك لأن جسدك كان متحررًا بالكامل من أي قيود مادية وأشبه بطيف تتحكم فيه قوى سحر الحجر.

ارتسمت علامات عدم التصديق على وجه هشام وقال بنبرة خافتة مترددة:

- ما علاقتي بكل ذلك؟!

أجاب التابع بثقة:

ستعلم، لكن احذر لأن جوف الأرض مليء بالشرور، نحن على سطحها ولو علمنا ما يحدث

أسفلنا ما قدرنا على الحياة في هذا الكوكب وهربنا من الواقع، صدقني هناك الكثير والكثير مما لا تعلمه يا هشام، منها أن جميع خطايا وشرور الكون عبارة عن طاقة تمتصها الأرض والكائنات التي تعيش فيها وتجعلها أكثر قوة، خاصةً وأنها تستعد للخروج حين يؤذن لها بذلك، وحين ستخرج ستشهد الأرض معركة سيكون الإنسان هو الخاسر الوحيد فيها.

وتابع بنبرة ارتجف لها جسد هشام:

- هذه الكائنات التي تعيش في الأسفل مختلفة القوة والشرور، بعضها أضعف من نملة صغيرة وبعضها أقوى من الفولاذ، يعيشون في طبقات مختلفة أكثرها شرًا هي طبقة قشمين؛ لأنها مصب شرور الأرض، تنال خلاصة ظلام وكره ودموية جميع الطبقات أعلاها فتزيدها قوة.

ساد الصمت تمامًا بين هشام والتابع الذي أضاف:

- قشمين سجن قبل آلاف السنين، وكلما مر الوقت كلما ضعف سجنه بسبب التغيرات الجيولوجية التي حدثت، وهذا تسبب في ثغرات بطبقته جعلتها قابلة للانهيار في أي وقت وأكثر عرضة لنفاذ بعض جنوده إلى السطح الذي يعيش عليه البشر.

كما أن تزايد الشرور في العالم جعل السنوات الأخيرة في عالمكم تشهد زيادة كبيرة في حوادث القتل والدموية والإرهاب والأوبئة؛ وذلك لأن الشرور أصبحت تتسرب من الأسفل إلى الأعلى وكأن جوف الأرض أصابته تخمة دفعته لبعث شياطينه إلى البشر لزيادة معاناتهم.

وتابع وهشام يستمع إلى كلماته بخوف:

كما أن في هذا العام تحديدًا وقعت العديد من العلامات الغريبة والتي تمهد خروج قشمين، منها تضحيات بالجملة حدثت باسم سيده وحلقات سحر في مختلف العالم صُنعت لأجله، حتى إنك ستجد الطبيعة نفسها تحذر وتتقلب بشكل غريب مع تزايد خوف البشر، وهذه كلها علامات تنذر بالخروج.

تذكر هشام الخاتم وقال متسائلًا: ماذا عن الخاتم الذي شاهدته مع والدتي من أين جاء؟!

صمت التابع للحظات وهو يتابع الخيوط السوداء التي بدأت تتسع في الجدران وقال:

والدك أراد أن ينقذ العالم من قشمين ولكنه لم يسِر على طريق القدر، أخطأ وسقط في فخ كبير، والخاتم هو أحد قطع الحجر الساقط وستحصل عليه في لحظة ما، لكن عليك حينها أن تنفذ دورك كما رسمه مسار الحياة.

تجهم وجه هشام وقال:

ما دمت تعرف كل ذلك فلماذا لا تتدخل أنت؟!

ضحك التابع وقال:

- دوري مرسوم، وصولي إلى تلك النقطة مجرد قطعة مهمة لتوضح دورك في مسار الحياة ليس أكثر، لا أقدر على التدخل، ولكني أضمن لك أنك ستفهم كل شيء حين يأتي الوقت المناسب.

قاطعه هشام:

هل أنت غير بشري؟!

أجاب التابع:

بالتأكيد لا، كنت بحاجة إلى فعلة بشرية لأتحدث معك وأسرد لك القصة دون أن تخاف مني، فلو كنت دخلت عليك بهيئتي التي تتشكل في أي هيئة لَمِتَّ من الخوف، ومن متابعتي للبشر وجدت بعضهم يشرب السيجار بهذا الشكل ففعلت مثلهم، فقط.

لم يعلق هشام، ولكنه حكى للتابع الأشياء الغريبة التي واجهها، فيما ظل الرجل صامتًا حتى انتهى من حديثه.

- الكلاب هم جنود ينتظرون دورهم في الحرب، لكن باقي الألاعيب بالتأكيد لها سبب، وفي جميع الأحوال لا تخف؛ لأنه لن يقدر أحد على إيذائك؛ لأنك تنطبق عليك نصوص العارفين.

سأل هشام وقد أثارت الكلمة انتباهه:

- أي نصوص هذه؟

نصوص وضعها العارفون الأوائل منذ قديم الأزل لضمان استقرار الكون وضمان أمن البشر وباقي المخلوقات، أو عقد لا يمكن نكسه بين المخلوقات وإلا اختلت نواميس الكون.

وزاد بنبرة حملت بعض الخوف:

لكن هذه القوانين لن تنفعنا بعد ساعات!

تعجب هشام وهو يسأل:

لماذا؟!

بدأ التابع يدور حول نفسه ببطء وكأنه يفكر وهو يقول:

- لأن ما سيحدث سيلغي أي نصوص أو قوانين؛ لأن قشمين لا يخضع لها. أنت تسابق الزمن وإما أن تحصل على أجزاء الحجر الساقط أو يتحرر قشمين وتنتهي الأرض.

صدمت الإجابة هشام وظهرت على ملامحه الجزع:

وعليك البحث عن طريقة للوصول إلى والدك؛ لأنه حي والحصول على الخاتم.

اتسعت عينا هشام من الذهول بعد حديث التابع:

أبي! حي!

ابتسم التابع ولم يعلق، وسأله هشام مجددًا:

أبي حي؟! أين؟! وكيف؟!

زادت ابتسامة التابع وقال:

ستعلم كل شيء في حينه، ولكن عليّ أن أقول لك: إن أمك كانت تعلم بأمر الحجر الساقط؛ لأن والدك حكى لها ما يمكن أن تعرفه، كما أنها دعمته ليخوض رحلته ويحاول أن يجمع قطع الحجر الساقط، وماتت؛ لأنها أخطأت حين ارتدت الخاتم؛ لأنه يخص المختار فقط أو من نسله، أما غير هؤلاء فيشاهدون أكثر ما يثير خوفهم في الحياة، وهو نوع من العقاب لمن يحصل على جزء من الحجر بدون اختياره.

maktabbah.blogspot.com

أمك رأت والدك وهو مسخ، وحينها لم يتحمل قلبها الصدمة فماتت.

شعر هشام بألم في قلبه من حديث التابع وتخيل صدمة أمه في لحظاتها الأخيرة ثم تذكر:

- نفس ما حدث مع مروان!

- من؟!

حكى له هشام ما حدث مع مروان بسرعة. نظر إليه التابع بغضب وقال:

شاب غبي!

لم يعلق هشام. أضاف التابع واقترب من هشام أكثر:

الآن صديقك في خطر، وعليك أن تنقذه؛ لأنه أمسك الخنجر وشاهد أكبر مخاوفه ولكنه لم يمت من الخوف، ولكن عيون المتلصصين تتبعه وأظن أنه يعيش الآن أسوأ كوابيسه، وسيظل

يعيشها طالما كان بعيدًا عن نطاق المختار.. نطاقك أنت، ولهذا عليكما أن تكونا سويًا لأقصى درجة خلال الساعات المقبلة وإما أن ينتهي الوضع أو يبدأ.

لم يفهم هشام مقصد التابع الذي أنهى عبارته ومسح بقدمه جزءًا من الدائرة.

شعر هشام بهواء ساخن يطوف في المكان وصوت هسيس غاضب تصاعد حوله فجأة ثم سكت. بعدها اتجه التابع نحو الباب وقال قبل خروجه: "لا تنس صديقك؛ فهو الآن يقابل الجحيم ذاته!".

***

(الرحلة)

ركض جواد أسود ضخم يضرب الأرض بسرعة متجهًا إلى مملكة نيرفا وعلى متنه الحارس الأسود، وخلفه مجموعة من 13 فارسًا يرتدون الأسود موشومة جبهتهم بشعار الشمس الصغيرة من أتباع حارس النور، أملين في الوصول قبل غروب الشمس وبدء هجوم المسوخ.

يعلمون أن أمامهم أكثر من 4 ساعات من الركض المتواصل لإنقاذ البشر، لكن هل سيصلون في الوقت المناسب أم أن لمسار الحياة رأيًا آخر؟!

***

(مخاوف)

على بعد 3 شوارع فقط من بيت هشام، وفي عقار يدل مظهره أنه بُني حديثًا ربما قبل 4 سنوات على الأكثر، استلقى مروان على ظهره في شقة العائلة القاطنة في الطابق الرابع وهو يفكر فيما يحدث لصديقه قبل أن يعود إليه.

انتهز فرصة أن والدته نائمة ووالده في المستشفى لأن لديه "نبطشية" واستلقى قليلًا عسى أن يفهم ما يدور. الأمر غريب بالنسبة إليه ولا يمكن تخيله أو توقع حدوثه في الحياة المملة الرتيبة التي يعيشها البشر. يتذكر أنه كان يشاهد أفلام الرعب ويضحك ساخرًا منها في محاولة منه لتشويه أي محاولة للخوف تقتحم نفسه. لطالما اعتبر سخريته خط دفاع أخير ضد كل ما يواجهه في حياته من آلام أو صدمات ويخفي بها مآسي وعقبات كفيلة بجعل ابتسامته ضيفةً نادرة الوجود.

يعتبر مروان تجربته مع هشام لا يمكن مواجهتها بضحك أو سخرية؛ لأنها كفيلة بجعله لا ينام لأيام من الخوف، وسبحان من جعل لديه القدرة على الرحيل والعودة إلى بيته والجلوس الآن ولا أحد معه في الشقة سوى أمه التي يعلم أنها نائمة في غرفتها.

على ذكر أنه وحيد، اعتدل في جلسته وبدأت نبضات قلبه تدق بعنف بالتزامن مع صوت احتكاك تصاعد من أواني الطبخ الألمونيوم في المطبخ!

صوت يقشعر الجسد!

دعا الله ألا يكون الجنون وصل إلى شقته أيضًا؛ فهو لن يتحمل المزيد. حاول السيطرة على مشاعره وعقله الذي طالبه بالهروب من الشقة فورًا ودخل ببطء حذر إلى جهة المطبخ بخطوات مترددة ناظرًا إلى الداخل ووجدها!

أمه!

فكر. ما الذي جاء بها إلى هنا رغم أنها تنام في العاشرة مساءً على أقصى تقدير، ولماذا لم تلقِ عليه السلام؟!

ماذا تفعلين يا أمي؟! قالها بتعجب واستدار ناظرًا إليها لكنه وجدها تبتسم وتمسك في يدها سكينًا تحكه بشكل مخيف في الآنية الموضوعة أمامها على رخام حوض الغسيل.

بلع ريقه من الخوف، شاهد نظرتها الحادة وتجاهل الرد، نظرت إليه وكأنها لا تراه، بل ظلت في دفع السكين على حواف الآنية وإصدار الصوت المخيف. لم يجد مروان بدًا من أن يمد يده لأخذ السكين لكنها صرخت فيه فجأة بغضب:

اترك طعامي، هل تريد أن أموت جوعًا؟!

اقترب منها أكثر، وقال بخوف:

أي طعام يا أمي، لا شيء في الآنية؟!

ابتسمت بجنون وهزت رأسها وكأنها طفلة وقالت:

- إنه طعام جميل، أنا جائعة، جهزت الآنية وشحذت السكين وكنت أنتظرك.

أخافته الكلمة.

سأل وأيقن من داخله أن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث:

- لماذا تنتظرينني يا أمي، هل تريدين أن أجهز لكِ الطعام؟!

تركت أمه الآنية أمامها واستدارت له وقالت برقة مخيفة:

"لا داعي يا صغيري". ثم أمسكت يده فجأة ورفعتها ورفعت السكين في يدها الأخرى في الوقت نفسه وأضافت: "أريد هذه اليد الصغيرة فقط".

ثم نزلت بالسكين على يده الممدودة، ولولا أنه ابتعد عنها بسرعة وصرخ لبترت له يده!

صرخ بخوف وتراجع بذعر:

ماذا تفعلين يا أمي، هل جننت؟!

تجاهلته أمه وبدأت السير تجاهه بهدوء مستفز وقالت بلهجة مؤنبة:

- عيب أن تُحدث أمك بهذه الأسلوب يا ولد، سأقطع لك لسانك أيضًا عقابًا لك وأطهو مؤخرتك بعد ضربها بقسوة كما كنت أفعل معك وأنت صغير مقرف!

تراجع مروان بظهره ونظر إلى أمه بخوف، لا يدري ما يفعل، هل يترك الشقة؟ فكر، هو سريع ويقدر على ذلك ولكن ماذا لو آذت نفسها؟ بالتأكيد لن يسامح نفسه على ذلك! ولهذا قرر المماطلة علّه ينجدها وينقذ نفسه.

قالت أمه بنبرة حزينة انعكست على ملامحها:

- هل ستتركني جائعة يا مروان؟!

نظر حوله باحثًا عن أي شيء ينجد به نفسه، وهداه التفكير إلى حبس أمه بغرفة النوم؛ لأن بابها ثقيل ومفتاحها من الخارج بسبب مقبضه المكسور.

بالفعل بدأ ينفذ ما دار في عقله وظل يتراجع إلى غرفة النوم، فيما استمرت والدته في السير تجاهه بهدوء وعلى وجهها نفس الابتسامة الممزوجة بحزن مصطنع حتى دخل الغرفة وتفاجأ بأنها من أغلقت الباب وحبسته في الداخل!

اقشعر جسده وسمع صوت المفتاح يدور وضحكة أمه بصوت عالٍ مخيف يصم أذنيه.

أراد أن يحبسها هي فحبسته، لكن لماذا؟! هكذا فكر.

قبل أن يجد تفسيرًا، وجد أمامه التليفون في الغرفة. ذهب إليه بسرعة وهو ينظر إلى الباب كل ثانية حتى يتأكد أنها لن تدخل عليه فجأة.

على الأقل أعطت له بعض الوقت لطلب نجدة من هشام فهو الأقرب إلى المنزل!

حاول تذكر رقم صديقه الأرضي بسبب التوتر الذي أنساه كل شيء، لكنه طلب الرقم الخطأ في أول مرة، وفي الثانية جاء الرد وليته ما جاء!

صوت أمه المخيف صرخ عبر الهاتف: "أريد طعاااااااامي!".

وضع السماعة بقوة وتراجع إلى الخلف بذعر وبدأ يقرأ المعوذتين. عرف أن الآن لا وقت لرفاهية التفكير بهدوء؛ لأنه لا مجال للتفكير أصلًا!

هل يقفز من الشباك؟! بالطبع لا لأنه سيكون جثة هامدة فور وصوله إلى الأرض، هل يصرخ؟! لا يريد فضيحة لأهله ولنفسه! شاب يصرخ من الشباك للمارة يطالبهم بإنقاذه من أمه التي تريد أكله! ليست فكرة جيدة!

سمع صوتًا غريبًا يأتي من أسفل البطانية الموضوعة على السرير أمامه!

سب بصوت عالٍ ونظر إلى البطانية التي اهتزت وتصاعد من أسفلها صوت مخيف، ثم قرر الاقتراب!

ما يحدث بالتأكيد وهم لا يمكن أن يكون حقيقيًا، هكذا فكر، واتجه وأزاح البطانية. لا شيء!

هناك من يمارس معه لعبة نفسية فقط، يُخيفه. هذا ما دار في عقله، ولكن صوتًا قادمًا من الدولاب أعاد إليه الخوف. خمشات وكأن أحدًا ما داخل الدولاب يريد الخروج.

بالتأكيد عليه الذهاب وفتحه حتى يطمئن. دعا الله ألا يجد أي شيء في الداخل كما المرة السابقة!

أزاح درفة الدولاب الأسود الجرار وصرخ وهو يتراجع بعد أن وجد أمامه آلاف الصراصير

الصغيرة تسقط أمامه وتكسو الأرض!

رجت صرخته المكان وتقافز داهشا بعضها ثم اتجه مباشرة وصعد على السرير.

الأرض اكتست بسواد المخلوقات المقززة وأثار صوت صريرهم جنونه، وفي الخارج بدأت أمه تعيد الطرق على الباب وكأنها تداعبه! يمكنها فتح الباب ولكنها لا تريد بل تضغط على أعصابه فقط!

سينهار!

بل سينتحر!

أفكار سوداوية ضربت عقله وهو يلتفت حوله بجنون. لكن لماذا لم تصعد الحشرات إلى السرير؟! نظر إليها ووجدها توقفت وملأت الأرض أسفله وكأنها طاردته حتى يصعد فقط!

"هل أدخل يا صغيري؟" سمع أمه تسأله برقة فارتعش جسده.

بالطبع تريد أكل ذراعه! سب نفسه بسبب التفكير الذي بدأ يدور داخله، لكنه معذور فهو لا يدري ما يحدث أو كيف سينتهي!

أخذ نفسًا عميقًا وفكر، الآن يقف على السرير وأسفله صراصير وخارج الغرفة أمه بسكين، أين المفر؟! يمكنه وضع البطانية على الأرض ويغطي الحشرات ثم يقفز فوقها حتى يصل إلى الباب ويفتحه مرة واحدة، وبعدها يدفع أمه بقوة كفيلة بإبعادها ويهرب.

قال عقله: إنه لا يوجد خطة أفضل من تلك. لكن هل تنجح؟!

انحنى بسرعة والتقط البطانية ورفعها، وقبل أن يلقيها أرضًا لفت نظره شيء آخر!

فحيح!

فحيح يزيد من أسفله، على السرير!

نظر بسرعة أسفل قدميه ووجد عشرات الثعابين السوداء الصغيرة للغاية تتلوى. سيتوقف قلبه، شعر أنه سيموت الآن!

عرق بارد غمره وتنميل في أطرافه، لا يقدر على الحراك، حتى صرخته أصبح لا يقدر على إخراجها، المؤسف أن يواجه الإنسان كوارث متتالية بدون أن يعرف ذنبه أو سبب ما يحدث، على الأقل لو عرف سيريح هذا ضميره بشكل ما.

ازداد صوت الفحيح والثعابين الصغيرة تُزاح على الجانبين أمام مروان، وكأن شيئًا من

المنتصف سيخرج. وقد كان!

ثعبان أسود أضخم، فكّه عريض وكأنه الموت مبتسمًا له، رفع جزءه العلوي وبدأ يتراقص بلسانه المشقوق وعينيه الحمراوين الصغيرتين. ظل يتمايل حتى كاد أن يصل إلى صدر مروان الذي وقف أمام الزاحف مستسلمًا تمامًا. سلم مصيره أيًا كان، وقرر أنه لا مزيد من الهرب؛ فلا مكان يذهب إليه هذه المرة.

أغمض عينيه ورسم على وجهه ابتسامة ساخرة كعادته مترقبًا ألمًا شاملًا سيكتنفه وبعدها سيموت. هكذا أيقن ليشعر بضربات قلبه تهدأ وكأن جسده قرر هو الآخر ألا يُجهد نفسه في معركة محسومة.

مرواااااااااااان.. سمع اسمه يتردد في الخارج. فتح عينيه وهو ينطق باسم مناديه: هشام!

تصاعد صوت الفحيح الغاضب حوله، استدار الثعبان برأسه وواجه الباب، وزادت الصراصير في جنونها وبدأت تتحرك بعصبية على الأرض، ثم فُتح الباب فجأة وظهر صديقه.

لم يدرِ مروان بنفسه إلا وهو يقبض على الثعبان من رقبته وتصاعد منه صوت الفحيح الغاضب بشكل أكبر، ثم ركل الثعابين الصغيرة أسفله وألقى الثعبان على الحائط بجانبه بأقصى قوته، وكأن حضور هشام أعطى له قوة وبسالة لم يتخيلها في نفسه.

دخل هشام وكأنه لا يرى الصراصير على الأرض.

بل إنها لم تعد على الأرض!

اختفت!

اختفى كل شيء حتى الثعبان الذي ألقاه على الحائط!

صرخ مروان في صديقه:

- أمي يا هشام.. أمي!

اتجه هشام إليه ورد مطمئنًا:

- أمك نائمة في غرفتها يا صديقي اطمئن!

ظل مروان واقفًا على السرير شاخصًا ببصره حتى مد هشام يده إليه. نظر إلى اليد الممدودة لثوانٍ، ثم ابتسم ساخرًا وأراد أن يقول شيئًا ما ولكنه سقط على السرير مغشيًا عليه.

(بطولة)

ظل قائد مسوخ قشمين واقفًا أمام البوابة الخشبية، جيشه ينتظر اللحظة المناسبة للهجوم بعد أن أعطى للمملكة مهلة حتى الغروب للاستسلام.

يعلم من داخله أن المهلة ليست إلا خدعة، فهو لن يجازف بالاكتساح بجيشه ومهاجمة الأسوار قبل وصول مخلوقات الليل ذات الأصوات الرفيعة التي حررها قشمين.

لا يظهرون إلا بعد الغروب، مهمتهم القتل وبث الرعب في النفوس عبر هيئتهم ذات العين الواحدة التي تتوسط الجبهة وسيوفهم البتارة الضخمة المصنوعة في جوف الأرض بالحمم.

تعالى صوت فتح متاريس البوابة. التفت خشاع بحصانه الأسود الموضوع عليه سرج على جانبيه رؤوس بعض البشر المعلقة، ليجد أمامه الملك ديرا على حصانه الأبيض ذو السرج المذهب بدرعه وفي يده رمحه وسيفه معلقًا في نطاقه على جانبه الأيمن.

"هل نويت الاستسلام؟" قالها خشاع فاقترب منه الملك وقال بصرامة:

- أدعوك لمبارزة قبلها، إن فزت فيها فلك المملكة، وإن خسرت تأمر جنودك بالرحيل ولنا الأمان.

أطلق خشاع ضحكة عالية ودار بفرسه حول نفسه:

هل تريد أن تقتلني أيها الملك المبجل؟ ألم تقل لك أمك ألا تحارب الطرف الأقوى؟

قاطعه الملك ديرا بحدة:

- بل قالت لي أن أكون فارسًا وأموت كذلك.

"إذن فلتكن ميتتك عبرة" قالها خشاع وانطلق بفرسه رافعًا سيفه للإطاحة بعنق الملك ديرا الذي استقبل ضربة السيف على درعه الطويل. ساد الصمت إلا من ضربات متتالية من سيف خشاع على درع الملك الذي كان رغم سمنته لديه بعض المرونة والقوة لصد الضربات وتوجيه أخرى.

مرت دقائق، الكل يترقب، ينتظر نتيجة ستصنع مستقبل المملكة. المسخ يضرب والملك يصد، ودقات قلوب حراس البشر تتعالى وهم يشاهدون من خلف الأسوار المعركة.

"لديك قوة لا تناسب هيئتك" قال خشاع وسدد ضربة بالسيف إلى الملك فتلقاها على درعه، وأزاح السلاح الموجه إلى صدره شمالًا ووجه ضربة بيمينه تلقاها المسخ الذي قال بسخرية: "هل تعلم أني لا أقاتلك بجدية وأني لو أردت قتلك الآن لفعلت؟".

لم يعلق الملك بل التقط رمحه المعلق في السرج ووجه ضربة بالعرض إلى خشاع الذي انحنى برأسه فمر الرمح من فوقه وانحنى بجسده إلى الإمام، ووجه سيفه إلى ذراع الملك فأدماها وسقط رمحه أرضًا.

تعالى صراخ مخيف من المسوخ، فيما صمت الحراس وهم يترقبون موت ملكهم أمامهم، لاعنين غباءه؛ لأنه لم يعين سوى قائد لحرس النظام في المملكة بدون قادة جيش أو مقاتلين أكفاء للذود عن المملكة في مثل تلك الحالات.

ابتعد خشاع عن الملك ونظر إلى الدماء التي أغرقت كتف ديرا وبدأت تسقط قطراتها لتروي الأعشاب الصغيرة التي تنبت حول أسوار المملكة، وقال ساخرًا: "يبدو أنك تريد أن تروي أرضك بالدماء".

وزاد مندفعًا بهجوم جديد مصوبًا سيفه إلى الجهة المصابة من الملك:

- ونحن كذلك سنرويها بالدماء.

تفادى الملك الطعنة، وكاد أن يسقط من فوق السرج واختل توازنه بالفعل، وسقط بميل واضح على الجهة اليمنى، وكانت فرصة استغلها خشاع بضربة جديدة أطاحت بدرع الملك أرضًا ثم أسقطته.

تعالى الصراخ مجددًا من جيش المسوخ، فيما حاول ديرا النهوض بصعوبة مغالبًا ألمه، وأمامه وقف خشاع بسيفه الطويل ثم نزل عن حصانه واقترب من الملك الطريح:

- هل تريد الرحمة قبل أن أقتلك؟!

نظر إليه الملك باشمئزاز ثم رفع رأسه إلى الأسوار باحثًا عن زوجته. وجدها بين الحراس عيناها مغرقتان بالدموع يبدو على وجهها الفخر. ابتسم لها ونظر إلى خشاع مجددًا واستل خنجرًا صغيرًا مسمومًا من حزامه ودفعه في صدره وقال بفخر: "الفرسان لا يموتون على يد المسوخ، بيدي أنا لا بيدك".

ظل خشاع ناظرًا إلى الملك ديرا الذي بدأ يختنق وهو يبتسم، ونظر ثانية تجاه زوجته حتى سقط رأسه وهمدت حركته على الرمال.

اعتدل المسخ ناظرًا إلى الأسوار ثم إلى الشمس التي بدأت رحلتها لتغيب في كبد السماء، واقترب من الملك ورفع سيفه وهبط عليه قاطعًا عنقه. اندلعت صرخة مكلومة من الملك على الأسوار ونظر إليه خشاع وفي يده رأس الملك التي تقطر دمًا ثم ألقى رأسه بقوة لتصطدم بالباب الرئيسي للمملكة، وعاد إلى فرسه واعتلاه قاصدًا جيشه استعدادًا للهجوم.

(مصير واحد)

هل استفقت؟ سمع مروان الكلمة في عقله ففتح عينيه بصعوبة. وجد هشام جالسا بجانبه وأمامه مطفأة سجائر مليئة بأعواد التبغ.

أين نحن؟! سأله بذهن مضطرب، وأجابه هشام:

في بيتي.. أخذتك معي.

اعتدل مروان في جلسته:

لماذا؟ ما الذي حدث لي؟ أنت المنحوس، ما ذنبي أنا؟!

نهض هشام وأحضر لصديقه كوبًا من الماء موضوع جانبه ورد:

- لأنك أمسكت الخنجر.

حك مروان جبهته بيده وكأنه يريد أن يدفع بعض الدماء إلى رأسه:

- لا أفهم!

حكى له هشام كل ما حدث ومقابلته مع التابع وسط نظرات مروان المذعورة، وبعد أن انتهى قال له بحسم:

- مصيرنا أصبح واحدًا يا صديقي، يجب أن نفهم ما يحدث فأنت في خطر معي.

تجهم وجه مروان وسأل:

- هل بدأ الأمر؟

أجاب هشام باقتضاب:

- نعم، الخنجر كان أول قطعة في الحجر الساقط.

تعجب مروان وقال:

- والكلاب والشخص في غرفتك والشرفة؟!

تنهد هشام وزاد: تمهيد فقط وأشياء لم تتضح بعد.

أطلق مروان سبة بذيئة، وقال ونظر حوله بخوف واضح:

- تمهيد؟! كل ذلك تمهيد وحرب باردة، كيف سيكون الحال إذن لو كان هناك حرب بين

هؤلاء المسوخ؟!

رد هشام بجدية:

نعم، هي تمهيد، التابع قال: إن الأمر لم يبدأ بعد.

نهض مروان والتقط سيجارة من علبة صديقه وسط نظراته المتعجبة؛ فهو لا يشرب السجائر بالأساس، ما دفعه للتوضيح:

- سأشربها، طالما سأموت في كل الحالات سأشربها، نحن بشر يا صديقي، ولسنا أي بشر، بل بشر لا نقدر على مواجهة شرور البشر الآخرين فهل لدينا فرصة لمواجهة شرور العالم الآخر؟!

لم يعقب هشام فهو يعلم أن صديقه على حق هذه المرة، ولكنه لا يقدر على التفوه بذلك؛ لأن النفسية لا تتحمل مزيدًا من الإحباط.

سأل مروان:

وماذا بعد ذلك؟! حدد لي على الأقل ما سنفعل!

قال هشام بحسم ووضع الخنجر أمامه حتى لا يضيع، وعينا صديقه تتابع السلاح بخوف:

- أقسم لك أني لا أعرف بالأساس، علينا الانتظار فقط كما قال التابع وسيحدث كل شيء في الساعات المقبلة وأحصل على باقي قطع الحجر.

"حسن". قالها مروان واستلقى على الأريكة يفكر في مستقبله الجديد، فيما جلس هشام يطقطق أصابعه بتوتر وهو لا يدري ماذا يفعل فهو في انتظار التابع أو أي بادرة على ما يجب فعله.

لم يشهد اليوم أي تفاصيل أخرى، مجرد طعام وشراب ومزاح مع ترقب وتوتر مستمر حتى أتى الليل بسواده وغموضه. جلسا سويًا يشربان القهوة في الشرفة حتى جاءت الساعة الثانية صباحًا ودخلا للنوم سويًا في الغرفة، واختار مروان أن يستلقي على أريكة بجانب السرير الذي نام عليه هشام مُجهدًا.

***

(أوب)

لم يشاهد أوب ما حدث؛ لأنه على البوابة الشرقية للمملكة، ولكنه عرف من صراخ بعض الحراس أن الملك قد قُتل. لا يعلم السبب أو كيف، ولكن سقوطه يعني سقوط المملكة بأسرها.

البوابة لم يكن أمامها أي جيش للمسوخ، لكنه يشعر أن هناك شيئًا خاطئًا؛ لأن أي جيش يجب أن يحاصر جميع البوابات، فلماذا تركوا هذه الجهة بدون حصار؟!

نظر إلى قائد حراسة البوابة الذي يرتدي ملابسه الحمراء المميزة المرسوم في وسطها القوس الرامي وقال بتساؤل: "لماذا لا نتسلل هاربين من تلك الجهة؟!".

أجابه القائد وهو ينظر إلى الغابات: بالتأكيد هو فخ لنا، ربما ينتظرون أن نفتح البوابة فيدخلون للهجوم أو وضعوا لنا كمينًا بالقرب من الغابة التي تقابل البوابة. نحن لا نرى ما فيها بسبب أشجارها العالية والحشائش الطويلة، ولكنه بالتأكيد ليس خطأ منهم.

بلع أوب ريقه أثناء استماعه إلى القائد ومن داخله يعلم أنه على حق، بالتأكيد هناك سبب لهذا ولكن ما هو؟!

***

(محاولة قتل)

تقلب هشام في فراشه بفعل الأرق خاصةً مع القهوة التي شربها حتى لا ينام وجعلت ذهنه متيقظًا وجسده هامدًا يريد أن يريحه لدقائق فقط، ولكنه رغم ذلك دخل في حلم غريب هو مزيج من الكوابيس التي تمتزج بالواقع.

رأى نفسه ممسكًا بحبل غسيل ألمونيوم وأسفله فم سمكة قرش هائل مفتوح ينتظر سقوطه ومن أطراف الحبل تتحرك سيارات صغيرة للغاية تتجه ناحيته لدهس يده، صرخ وتعلق أكثر بالحبل وقفز وكأنه سوبر مان ليدخل إلى الشرفة، ووجد في الصالة أصدقاءه في الكلية يرتدون أزياء مهرجين يرقصون ويضحكون وهم يشربون كئوسًا من الدم تتناثر مع رقصتهم المحمومة على السجادة.

الغريب أنه يرى كل ذلك طبيعيًا، والأغرب أنه وجد والدته تخرج من غرفتها وهي غاضبة؛ لأن أصدقاءه أفسدوا السجاد بالدم المسكوب، شاهدها تدخل بسرعة إلى المطبخ وخرجت بعدها بثوانٍ وفي يدها غطاءا أوانٍ طرقت بهما جانبي رؤوس أصدقائه ليتصاعد صوت غريب، ثم نظرت إليه واتجهت نحوه بغضب وبدأت تسبه؛ لأنه دخل من الشرفة بالحذاء وضربته على جانبي رأسه هو الآخر بأغطية الأواني، وصم أذنيه صوت رنين قوي دفعه لفتح عينيه وهو غير مستوعب. إنه جرس الباب يدق وليس رأسه!

نهض مترنحًا من أثر الإجهاد والحلم الغريب، واتجه نحو باب الشقة ونظر عبر العين السحرية ليرى الزائر الذي لم يجد سوى الساعة الرابعة و20 دقيقة فجرًا كي يزوره!

فتاة!

رأى فتاة محجبة تقف متململة تدير رأسها حولها وهي تضغط الجرس ثانية. فتح بسرعة ووقف أمامها.

يعرفها، جارته ملك، بملامحها الجميلة، الفتاة العشرينية القمحية ذات العيون الواسعة بعض الشيء والتي زادها كحل يبدو أنه ممسوح بعض الشيء وسعًا وجمالًا، وإن لم يدارِ إرهاقًا واضحًا رسم ملامحه على وجهها ذي التفاصيل الدقيقة.

ملك ابنة الأستاذ جاره الأستاذ رضوان.

خيرًا، هل هناك مشكلة ما؟! ألقى سؤاله ووقف مترقبًا إجابتها لكنها قابلت سؤاله بنظرة صامتة، جامدة، ثم أخرجت من حقيبتها سكينًا للطبخ طويل وجهته مباشرة فجأة إلى صدره!

ثانية واحدة قد تفصل بين الحياة والموت، وأقل من ثانية قد تكون كفيلة بفقدان حياتك لو لم تتحرك سريعًا، وهو ما حدث مع هشام الذي لم يستوعب ما حدث، ولكنه تفادى الطعنة، ولكنها رغم ذلك أصابته في صدره تمامًا. أطلق صرخة رجت المكان ودفعته لفتح عينيه!

كان كابوسًا!

الصرخة خرجت بتأوهات صدرت منه وهو نائم، لكنها لم توقظ مروان. جلس يتنفس بصوت عالٍ وبجانبه الخنجر، وقطع زفيره صوت جرس الباب!

maktabbah.blogspot.com

هل لا زال يحلم؟! فكر في ذلك وقرص ذراعه بقوة، ولكن الألم دله على أنه مستيقظ تمامًا. الجرس تصاعد ومروان بدأ يتقلب على الأريكة بجانبه. نهض بسرعة ونظر إلى الساعة.. الرابعة و20 دقيقة!

شعر أن هناك شيئًا خاطئًا وكأنه يُعيد نفس الحلم، اتجه إلى الباب ونظر عبر العين السحرية وهو يتمنى من الله أن يخيب ظنه ولكن!

كانت نفس الفتاة.. ملك!

زادت دقات قلبه بسرعة، ستقتله، بالتأكيد ستفعل كما في الحلم!

هل يفتح أو يتجاهل؟ فكر في أن يبلغ الشرطة.. بالتأكيد لن يفتح!

دق الجرس ثانية فأجفل، لم يشعر بنفسه إلا وهو يفتح الباب ولكنه هذه المرة سيستعد جيدًا للتفادي.

قابلته ملك بنفس النظرة الصامتة، ومدت يدها في حقيبتها دون حديث، فيما مد هشام يده إليها بسرعة ويبدو أنها ضعقت من رد فعله، وقبل أن تصرخ أدار جسدها النحيل ووضع يده على فمها بسرعة وأدخلها الشقة وهو لا زال يكبلها من الخلف، وسط محاولات مستميتة منها لتحرير نفسها.

قال بصوت مرتجف متوتر حاول أن يجعله أكثر ثباتًا وقوة:

بهدوء، أعلم أن في حقيبتك سكين مطبخ، وأنك ستطعنيني، والآن سأزيح يدي من على فمك بهدوء، وأقسم بالله لو صرختِ أو فعلتِ أي شيء سأضربك ثم أصعد بكِ إلى والدك الذي أحترمه وأحكي له ما حدث أو أسلمك للشرطة ببساطة، هل اتفقنا؟!

هزت رأسها بعنف، وزاد:

- لا أعلم لماذا تريدين قتلي رغم أنه لا تعامل بيننا إلا نادرًا وأكنّ لكِ ولأسرتك كل احترام

وتقدير، لكني أعلم أن هناك شيئًا خاطئًا في الأمر؛ لأني حلمت بك قبل وصولك بدقائق وأنت تقتليني.

بدأت حركتها في الهدوء والاستسلام فقال:

سأتركك، لكني أريد بعض التعقل.. مفهوم؟!

هزت رأسها موافقة وهي تبعد رأسها عنه فتركها وسحب حقيبتها من يدها. وقفت في مواجهته وقالت ببكاء:

- هو من طلب مني ذلك، لست قاتلة، أنا ملك جارتك وأنت تعرف سمعتي وأهلي،لكن كل ما أردته هو أن أستعيد حياتي الطبيعية، أرجوك، أقسم لك أني لست قاتلة!

أشار لها هشام بالجلوس وذهب لإحضار كوب من الماء لها وعاد ووجدها لا زالت جالسة تضع يدها على وجهها وتبكي. تركها تفرغ شحنة التوتر من داخلها حتى هدأت قليلًا وبدأ يتحدث.

- احكي لي ما حدث، ومن الذي طلب منك قتلي؟

نظرت إليه بعينين احمرتا من أثر البكاء وقالت:

- لا أدري ماذا يحدث، عقب وفاة والدك ووالدتك بدأت الكوابيس تزورني، كنت أشعر أني مراقبة في المنزل، في الشارع، في الجامعة، حتى وأنا وحدي كنت أحس بوجود شيء ما حولي، أطياف تدخل وتخرج من الغرف الخالية، وأصوات همس في أذني وكأن هناك من يتحدث، حتى إني شككت في سلامتي العقلية.

أخذت نفسًا عميقًا وتابعت:

- حاولت التجاهل في أول الأمر ولكن زاد الوضع عن حده، وبدأت الكوابيس تؤثر على جسدي، كنت أحلم أني في المقابر مثلًا وهناك أيادٍ تخرج وتخمش جسدي، وكلما حاولت الهروب منها أستيقظ وأجد بعض العلامات على جسدي بالفعل وكأنها خمشات!

لم يفهم هشام ما علاقة كل ذلك به فقال بهدوء:

أكملي.

نظرت حولها وقد بدأ الهدوء يدب في أوصالها وتابعت:

الكوابيس تكررت، وفجأة مرض والدي وأصبح قعيدًا لا يتكلم أو يتحرك، بدون أي سبب علمي أو مرضي، وأحضرنا أطباء ولكن التشخيص غير واضح، وقمنا بأشعات وفحوصات في

نفس اليوم ولكن بدون جدوى، ثم حلمت بأن والدي يجلس أمامي ويحيط به كتلة من الظلام تكبل حركته تمامًا، تقيده، استيقظت صارخة ووجدت والدي أمامي يبكي بدون صوت وهو على الكرسي المتحرك وخرج وحده خارج الغرفة رغم أن الكرسي لا يدفعه أحد!

حينها فهمت أن هناك شيئًا ما مرعب يحدث، ولا أدري لماذا أنا أو حتى أعرف سبب ما يجري، واتفقت مع شيوخ للحضور وبالفعل أتى أحدهم وقرأ بعض الرقى الشرعية وأشعل البخور وما إلى ذلك، ولكن لم يسفر الوضع عن جديد، وحين رحل وجدت أمي تنام على الأرض كما أبي، لا تتحرك!

حينها فقدت السيطرة على نفسي وبدأت في الصراخ والبكاء حتى أغشي عليّ ونمت وحلمت به!

اقترب منها هشام وسألها بخوف واضح:

- من؟!

حاولت وصفه بأيديها ولكنها توقفت وقالت بغرابة: لا أتذكر!

صمت هشام ولم يرد.

أضافت ببصر شاخص:

- لا أتذكر ملامحه جيدًا، رجل وتحيط به كتلة سوداء تتشكل من دخان، تارة تكون طويلة للغاية وتارة أخرى رفيعة، هو رجل لكن لا أدري كيف أصفه، ولكن بعض ملامحه عالقة في ذهني ولكن لا أتذكرها!

- لا مشكلة، أكملي من فضلك فقط.. ماذا طلب منك؟

سكتت لثوانٍ ونظرت إلى الأرض وأضافت: "قتلك".

تعجب هشام وإن كان يتوقع الرد، قال: "والسبب؟".

أجابت وهي تشير بيدها بعدم فهم:

- لا أعلم، طلب مني قتلك فقط، شدد على ضرورة أن تموت مع الشروق اليوم وإلا لن أستعيد أبي وأمي!

سألها بنبرة حاول أن يجعلها متماسكة: "هو طلب منك ذلك وقال هذا؟!".

أجهشت بالبكاء فجأة وقالت: الآن لن أستعيد أبي وأمي، لقد خسرتهما. ثم نهضت فجأة

وحاولت ضربه وصرخت لاعنةً إياه:

لم أفعل ما طلبه، لقد خسرت أهلي بسببك أيها اللعين، لعنة الله عليك، ليتني قتلتك. انهارت أرضًا وأضافت باكية ووضعت يدها على وجهها وكررت بصوت مختنق: ليتني قتلتك!

ماذا يحدث؟! ومن هذه التي تجلس في الأرض أمامك تبكي! ثم بصوت ساخر أضاف: نساء وأنا نائم يا هشام!

استدار هشام ونظر إلى مروان الذي استيقظ ووقف أمامهما وهو لا يدري ما يجري. ثم نظر إلى ملك ووجدها نهضت بذعر بالغ وكأنه مصدومة من وجود رجل آخر سوى هشام في المكان. مسحت عينيها وتمتمت ببعض الكلمات وخرجت بعد أن سحبت حقيبتها من على الأرض أمام نظراتهما المتعجبة.

خرجت من الشقة لكن صوتها كان يتصاعد بالبكاء حتى اختفى تدريجيًا.

تبادل الاثنان نظراتهما وجلس هشام وحكى لمروان ما جرى، فيما فتح صديقه فمه مذهولًا. وبعد أن انتهى هشام كان عقله يفكر في ملك، ماذا ستفعل في مصيبتها؟ وما هذا الشيء الذي طلب منها أن تقتله؟!

***

(اقتحام)

حل الظلام سريعًا هابطًا بردائه المظلم ليغطي كل شيء، فيما توارت النجوم بخجل خلف غيوم رمادية، وما زاد الوضع قتامة أن المملكة قررت إخماد المشاعل أعلى الأسوار بقرار من الملكة المكلومة خوفًا من ضربات المسوخ تحت جنح الظلام، وإن بقيت بعض المشاعل معلقة في البيوت القريبة من السور تبعث بعض الضوء.

ولكن على الرغم من ذلك وبعد مرور وقت قليل من حلول الليل سمع الحراس دبيب أقدام تعدو بسرعة مقتربة من الأسوار، ولكن ليس من البوابة الرئيسية بل من الشرقية.

كان الوضع مع أوب متضارب المشاعر. استند على الفأس ووضع رأسه الجديدي الذي يغطيه الصدأ على الأرض وذقنه على العصا الخشبية المستديرة، مفكرًا فيما يحدث وسر الجيش الذي يحاصر المملكة ومصيره هو وأمه وأهله إن سقطوا في أيديهم.

لكنه لم يكن خائفًا، بل كان مترقبًا أكثر وكأنه طرد خوفه من بعد خروجه من البيت وتركه أمه. على سيرتها اعتدل وبدأ الخوف هذه المرة يضرب حصون ثباته؛ لأنه يعلم أن أصعب أنواع الخوف هو أن تخشى على أحبائك من الأذى.

دقائق مرت عليه وحوله شباب بعضهم من سنه وآخرون أكبر عمرًا بعتاد وأسلحة مختلفة غالبيتها بدائية، بعضهم نال منجلًا للحصاد مقوس الهيئة، وآخرون حصلوا على سيوف تكاد أن تنكسر إن ضُرب بها عنق شخص من ضعفها. أخذ ينظر حوله ولا شيء يحدث حتى سمع صوت الدبيب فجأة.

خطوات راكضة وكأنها تسارع الزمن للوصول إلى هدفها، متجهة إلى البوابة في جنح الظلام وكأنهم ظلال الموت كما كانت جدته تحكي عنهم. اعتدل بسرعة ووقف وجد جميع من حوله اعتدلوا ونظروا من أعلى السور إلى البوابة أمامهم، ولكن الظلام الحالك لم يدع لهم سبيلًا لمعرفة هيئة. حاول أن يدقق نظره إلى الأسفل لكن لم يجد سوى ما يشبه أجساد رمادية أخف من الأسود الحالك وقفت أمام البوابة الخشبية الضخمة.

أشار أوب بيده إلى قائد الحرس وقال بصوت مرتجف: "سيدي، هل ترى؟!".

دقق القائد بدوره وامتقع وجهه وأعاد النظر إلى أوب ونادى أحد الحراس لإحضار مشعلًا له وخلال ثوانٍ كان واقفًا يصوب المشعل إلى الأسفل بمد ذراعه إلى أقصى درجة ممكنة، ولكنه رغم ذلك لم يرَ أي شيء واضح.

قبل أن يهم برفع ذراعه علا صراخه!

كانت صرخة شخص يموت من الألم وتزامن مع صوت لحم يتمزق، ثم تراجع القائد بظهره إلى الخلف، وسقط على الأرض يتلوى وزاد من الصراخ وأمسك ذراعه الأيمن الذي تمزق تمامًا من عند مفصل الكتف، وكأن هناك من قفز بمخالبه وقطع لحمه.

قبل أن يستوعب أحد ما حدث تعالى صوت صفير حاد هز المكان ثم طرق متتالٍ بقوة على البوابة الخشبية بشكل يدل عن محاولة اقتحام ستنجح بعد دقائق بانت جلية من اهتزاز الباب.

وكأن هناك من يقفز ويلقي بثقله ويدفع الباب!

لم يضيع أوب وقته بل انتهز فرصة سقوط المشعل، ونظر بسرعة أسفل السور ليشاهدهم. على ضوء المشعل المحتضر أبصر مئات الكائنات القصيرة، أجسامها من الشعر الرمادي بذراعين طويلين تنتهي بمخالب رفيعة ملتفة حول نفسها وقدمان طويلان مثلهما وعين واحدة طويلة تتوسط جبهتهم وفم واسع بأسنان صغيرة مدببة للغاية، وكأنها أسنان شبت على اللحوم النيئة، كانوا حول المشعل ينظرون إليه بغضب ولا أحد منهم يقترب من نيرانه حتى خبت!

أفقدت الصدمة أوب أي محاولة للتماسك، فتراجع بسرعة إلى الخلف ونظر حوله ووجد بعض الحراس يحاولون تضميد القائد الذي فقد وعيه من الألم، فيما وقف آخرون خلف البوابة بظهورهم وجذوع ضخمة من الخشب لمنع انهياره.

الجميع لا يعلمون هيئة العدو، وإن علموا سيولون الأدبار بحثًا عن نجاة أصبحت مستحيلة من وجهة نظر أوب بعد أن شاهدهم. هكذا فكر فقرر أن يتصرف بسرعة وقد فهم الخدعة.

المسوخ حاصروا المملكة من جميع الجهات إلا تلك البوابة؛ لأنها هي منفذهم للدخول، وضعوا كل الجيوش في المواجهة خديعةً ثم يهاجمون بالمخلوقات التي تحيا في الظلام.

أخذ يفكر وهو ينظر حوله. البوابة بدأت في الانهيار وكادت أن تسقط، والصراخ تعالى من الرجال خوفًا من الموت، والغيوم بدأت تنقشع ليشهد القمر المكتمل على المعركة وكأنه أقسم ألا تفوته، وتصاعد الصفير من المسوخ وكأنهم يدعون الممالك كلها للشهادة على سقوط تلك الأرض التي رفضت الاستسلام.

ركض وقد قرر ما سيفعل. عليه أن يحذر الحراس على باقي البوابات أولًا للحضور إلى هنا؛ لأن المسافة بين البوابة والأخرى أكثر من ربع ساعة وحتى يصل إليهم ثم يعودون ستكون المملكة قد سقطت. عليه البحث عن حصان بسرعة.

دار بعينيه أثناء ركضه ووجد فرس قائد الحرس مربوطًا في عامود من الناحية الأخرى من البوابة، عليه المرور من أمام الحراس والحصول على الحصان ثم الهرب، وهكذا سيجازف بسيف يقطع عنقه لأنه جبان ولا يستحق الحياة. كانت هذه مخاوفه.

"لا يهم" تمتم بالكلمة وركض من أمام الحراس والبوابة تقترب من الانهيار التام وبدأت قطع خشبية من أعلاها تنكسر كاشفة عن الظلام خلفها، حتى وصل إلى الحصان وقفز فوقه. التفت إليه أحد الحراس غاضبًا وجرى تجاهه، لكنه تجاهل ذلك وضرب بطن الحصان بقوة فصهل وفك الحبل منطلقًا إلى البوابة الرئيسية، فيما مر سيف الحارس الغاضب من جانبه وأدمى ذراعه اليسرى بجرح طفيف.

ركض وحاول تفادي المواطنين والحراس في طريقه، مر من سوق المملكة الذي تحول إلى ساحة مليئة بالحجارة لمواجهة المسوخ، ثم دخل إلى طريق مختصر عبر البحيرة، ومنها يمينًا إلى حدود المملكة والسور العالي مواصلًا طريقه على ضوء ضعيف من المشاعل نافسه فيها ضوء القمر حتى وصل بعد دقائق إلى البوابة الرئيسية.

لا وقت لديه، هكذا فكر. أخذ يصرخ بصوت عالٍ متلعثم: "المسوخ تهاجم من البوابة الشرقية، كنت هناك، المسوخ هناك الآن وسيقتحمون. دمروا البوابة والقائد قطعوا ذراعه، أجسامهم رمادية وبعين واحدة، عليكم التحرك بسرعة!".

نظر الحراس إلى بعضهم البعض ثم إلى الأعلى، حيث الملكة فيبا التي وقفت أعلى السور بجانب الرماة وظلت تحملق في أوب ولا تدري ماذا تفعل!!

كل ما شغل تفكيرها خياران، هل تخاطر بالذهاب إلى هناك وترك البوابة الرئيسية؟ أم تظل هنا وترسل بعض القوات إلى هناك؟ ولكن إن حدث ذلك وخسروا ستسقط المملكة ويفاجئها المسوخ من الخلف. سيناريوهات عديدة دارت في ذهنها حتى حسمت أمرها بالقول آمرة:

- اذهبوا، اذهبوا الآن لحماية البوابة الشرقية، الكل يذهب والبوابة الرئيسية لن يستطيعوا أن يتخطوها فهي عالية عليهم، والرماة سيمطرونهم بوابل من الأسهم قبل أن يفكروا في الاقتحام.

حسم قول الملكة تردد الجنود فركضوا بسرعة وخيولهم تصهل منطلقين إلى البوابة التي اقترب سقوطها.

ظل أوب في مكانه، لا يدري هل يظل هنا حاميًا البوابة الرئيسية أم يذهب معهم، ولكنه قرر خيارًا ثالثًا أن يتجه إلى بيته لحماية أمه. بالفعل لكز حصانه واستدار به عائدًا إلى بيته.

نهل الحصان الأرض حتى توقف أوب عند إحدى نقاط الحراسة، حيث وجد سيفًا طويلًا على الأرض، التقطته ووضعه على حجره واستكمل الطريق.

طرق الباب بسرعة ونظر حوله مترقبًا وجود أحد الحراس وإعدامه بتهمة الهروب، لكن لحسن حظه لم يجد سوى الصمت المطبق بعد أن اختبأت النساء في البيوت مع أطفالها متحصنين في جدران لن تمنع عنهم الموت حين يأتي. زاد في طرقه فلم ترد أمه.

خاف أن ينادي عليها فيسمعه أحد. استكمل الطرق على الباب ودعا الإله أن تكون بخير ودخل المنزل، ولكن أكثر من دقيقة مرت بدون رد.

ركل الباب فلم يُفتح، استدار إلى نافذة غرفته التي يتركها دومًا مفتوحة ويتسلل منها ليلًا لمقابلة أصدقائه ووجدها كما يتركها دومًا.

قفز بسرعة إلى الداخل بلياقة ونادى على أمه لكن لم يجد استجابة.

فتش المنزل عنها ولم يجدها فعلم ما فعلت. ذهبت إلى إحدى البوابات للدفاع عن المملكة!

"لماذا يا أمي، لماذا؟!" رددها داخله وهو يشعر بالخزي من نفسه؛ لأنه ترك المعركة فيما ذهبت إليها أمه. فكر في أنه عليه الآن أن يجدها؛ لأنها بالتأكيد ذهبت إلى البوابة الشرقية.

خرج بسرعة وقفز على ظهر الحصان متجهًا إلى البوابة التي ستشهد معركة الموت.

ركض متواصل وكأنه يسارع الزمن، الثانية قد تفرق في حياته، الآن هو بأم وبعد لحظة سيكون يتيمًا إن لم يسرع. وكأن الخاطرة المؤلمة دفعت الحماسة إلى الحصان وجعلته يسرع أكثر، قفز، تخطى الحجارة، دار يمينًا ويسارًا سالكًا الطرق المختصة حتى اقترب من الوصول، وتنامى إلى مسامعه أصوات صراخ حاد يصم الآذان، صراخ معذبين تتمزق أجسادهم.

رفع سيفه ودخل إلى المنحنى الأخير الذي سيقوده إلى البوابة وبمجرد أن تخطاها أطلق صرخة مدوية!

***

(ملك)

ردد المكان صوت بكاء مكتوم تصاعد من ملك التي صعدت إلى شقتها في الطابق الرابع بعد فشلها، ولا تدري ماذا سيحل بأهلها أو ما الذي زج بها في هذا الجحيم. وصلت إلى شقتها وأخرجت المفتاح ودخلت ومن داخلها تدعو الله أن يكون والدها ووالدتها نائمين، فلهذا السبب تحديدًا ذهبت لتقتل هشام مبكرًا وهي أصلًا من داخلها تعلم أنها ستفشل في ذلك، ولكنها رغم ذلك فعلت مُجبرة وليست مُخيرة. كل ما فكرت فيه أن هؤلاء أهلها وكل ما لها في العالم بأسره، لكن الآن أصبحت متيقنة أنها فشلت وستنال عقابًا شنيعًا لن تتخيله!

ألقت حقيبتها وذهبت بسرعة إلى غرفة والديها وفتحت الباب واطمأنت على وجودهما نائمين على السرير، ثم استدارت إلى غرفة الركنة ودخلت ولكن صوتًا قادمًا من غرفة الصالون جعلها تتوقف. كان صوت والدها وهو يئن وكأنه يُصلى في الجحيم!

عادت بسرعة وفتحت غرفة نوم والديها لكنها لم تجد سوى الأغطية!

شهقت بخوف فهما كانا منذ ثوانٍ على السرير فأين ذهبا؟ فكرت مصدومة، وزاد عقلها تحليله، إذن الصوت في الصالون هو والدها فعلًا!

اتجهت بخطوات مثقلة متوقعة أي شيء قد تجده، وهو ما كان.

والدها نائم على ظهره على طاولة الصالون ذات الأرجل المذهبة ويعلوها الرخام الوردي ويقلب جسده يمينًا ويسارًا بألم واضح، أما أمها جلست أمامه على كرسيها المتحرك وفي يدها نفس السكين الذي كان في حقيبتها وحاولت به قتل هشام.

سكين المطبخ الطويل!

توقفت أمام باب الصالون المفتوح وهي تبسمل. التفتت إليها والدتها وقالت بصوت هادئ للغاية ووالدها مستسلم تمامًا وتتدلى قدماه من الطاولة الصغيرة ولكن صدره عارٍ:

- هل تعلمين يا ملك أني كنت طبيبة تشريح سابقة، كنت أهوى هذه المهنة، حتى إني حين توقفت عن العمل لأجلك ولرعايتك لم أحزن.

زادت نبرتها بغضب وصرخت ونظرت لابنتها بكراهية:

- لكنك لم تقدري ما فعلتِ ولم تنفذي ما يمكنك عمله لإنقاذنا!

هدأ صوت الأم ثانية وداعبت صدر زوجها رضوان الذي بدأ يستسلم أمام نصل السكين:

- حتى والدك لم يبخل عنك بأي شيء، كل ما كنتِ تريدين فعله كان يلبيه، كل ما تطلبينه

كانت أوامر بالنسبة إليه، ولكن في النهاية كنتِ قاسية.. قاسية للغاية يا ملاكي، قاسية وتخليتِ عنا بسهولة.. ألهذه الدرجة كان الأمر صعبًا. كان المطلوب قتله فقط. قتله في شقته قبل أن يبدأ تحركاته. هكذا البشر لا يؤتمنون على فعل. لولا أنه لا يقدر على طلب ذلك من الآخرين لفعل!

انهارت ملك وركعت على الأرض وبكت بحرقة:

حاولت، لم أنجح لأنه كان يعلم، عرف أني سأقتله، أقسم لكما أني حاولت!

زادت الأم بتبرتها المستفزة:

- المحاولة لا تعني النجاح، كان يمكنك أن تفعليها مساء أمس، لماذا كنتِ تماطلين لساعات، هل تظنين أن السيد كان يمزح؟!

ثم بدأت غرس النصل ببطء بالغ في بطن زوجها. وشق صراخ ملك السكوت وزحفت راكعة على الأرض حتى وصلت إلى يد أمها وحاولت نزع السكين منها، لكنها تلقت لطمة قوية منها أطاحت بها إلى الخلف وصوت والدها في أذنيها بوهن:

- اتركيها، أتوسل إليك أن تتركيها، افعلوا بي ما شئتم ولكن هي لا.

دارت رأس ملك من الضربة، وحاولت النهوض بضعف وسمعت صوت والدها يزيد ويترجى أن تعيش.

أتت الصدمة برد جاء بصوت ذكوري قوي مخيف من فم أمها.

رد من كلمة واحدة أتبعته بفعل جعل قلبها يتوقف بل ينتفض، ولو كان للقلب أن يتحدث لصرخ من هول ما رأى.. قالت: "لك هذا" ثم رفعت السكين وأولجته بأكمله في صدره حتى شق صوت وصول النصل إلى الرخام أذنيها.

تحجرت مشاعر ملك فجأة واستدارت لها أمها ورفعت السكين ونظرت إليه بغضب:

- أنتِ السبب!

ثم نحرت نفسها!

حينها لم يقدر الجهاز العصبي للشابة العشرينية على تحمل المزيد، انهارت تمامًا ولم تدري بنفسها إلا وهي ذاهبة بآلية غريبة ناحية الشباك.

فتحته وضرب الهواء البارد وجهها ولا تزال الدموع متحجرة في عينيها تأبى الخروج. استدارت للمرة الأخيرة ونظرت إلى الدماء التي أغرقت المكان، وقبل أن تترك نفسها

للسقوط من الأعلى وجدت والدها ووالدتها يدخلون غرفة الصالون سالمين ينظرون إليها بفزع ويصرخون!

أغمضت عينيها للمرة الأخيرة وجسدها يسقط، وآخر ما دار في ذهنها: هل تعرضت لوهم أم كان حقيقيًا؟ لا تدري ولكنها تريد أن تنسى ما شاهدته للأبد، وستفعل بعد ثوانٍ!

***

(القادم)

تعالت أصوات ضحكات عالية رجت المكان وزادت حركة الحمم الحمراء اللاهبة جنونًا، فيما دخل شخص بهيئة بشرية شعره طويل حالك السواد المكان، وركعت أمامه مخلوقات مخيفة على الأرض، تصاعد حولها دخان أسود كما نفوس الموجودين.

"بدأ التحرر أخيرًا". قالها ودار بجسده راقصًا أمامهم كأنه راقص باليه، ثم جلس على كرسي فوق صخور سوداء بالقاعة الضخمة:

دقائق، ساعات، اقترب الموعد، صاحب الهيبة والدهاء قادم، أنا، صاحب السطوة والراكع أسفل أقدامه الضعفاء.

ثم أشار إلى أتباعه الراكعين على الأرض وتابع وصوته يزداد علوًا وجنونًا:

"ضعفاء مثلكم". أتبع جملته بضحكة ساخرة طويلة ترددت في القاعة، واعتدل فجأة ونهض ووضع يده حول ظهره الذي يغطيه جلد سميك أسود، ونظر حوله ثم إلى الأعلى وقال بغرور واضح:

سأترك هذا السجن أخيرًا، لديّ خطط عديدة، أولها الانتقام من هؤلاء الذين ظنوا أنهم أفضل مني، الدماء سالت والتضحيات في مكان المختار ستسهل خروجي.

وتابع بنبرة مجنونة: سأفرض حكمي على الجميع، ثم أشار بيده نافيًا وتابع:

ليس جميع البشر فقط، وزاد صوته علوًا وكأنه يصرخ متحديًا: بل الجميع، جميع المخلوقات.

هدأ صوته ثانية والجميع صامتون، يعلمون أسلوبه وألفوه منذ آلاف السنين، فهذا السجن أجبرهم على أن يكونوا معه ويتحملون غضبه وجنونه، ولكن هذه المرة يعرفون أنها مختلفة؛ لأن دعوات تحريره من سجنه كثيرة والتضحيات تتم بشكل لم يحدث قبل، وخاصةً التضحية الأخيرة، وهو ما يعني أنه بمجرد أن تختفي كلمات الحماية الموضوعة على السجن- والتي بدأت تبهت بالفعل- سيمكنهم الخروج ببساطة والانطلاق إلى الأرض.

أريد دعوة الجميع، أريد إرسال الكثير من الرسائل والعلامات بأني قادم، اقترب موعد خروجي، أريد احتفالات في جميع طبقات الأرض، جيوش تستعد بإشارة مني أن تتحرك، أريد للخوف أن ينتشر في الكون بأكمله، وأن يتردد اسمي، قشمين، وأشار إلى صدره "اسمي أنا سيكون في كل مكان، أريد للجنود أن يعودوا لنشر الذعر بين البشر.

ثم أردف وهو يصرخ وعيناه تشتعل نارًا من الحقد والغضب: "أريد السلطة والتعويض".

***

(نصر مؤقت)

شاهد أوب مئات المسوخ ذات الأعين الواحدة تثب على أقدامها وتنشب مخالبها الطويلة لتنتزع أعناق الرجال. رأى في لحظات وصوله بسالة الشجعان وسيوف الأبطال تحاول باستماتة أن تمنع مرور الوحوش، أعناق على الأرض، وأشلاء هنا وهناك، وصفير المخلوقات يدوي ودخول المزيد منها عبر البوابة التي تحطمت على الأرض.

وجد أمامه أحد المخلوقات فجأة. قفز أمامه وحاول استهداف عنق أوب لكنه رفع سيفه سريعًا وأغمده في صدر الكائن وسحبه بسرعة، فسقط المسخ على الأرض يتلوى وأطلق صفيرًا طويلًا.

دهسه بالحصان وذهب بسرعة ضاربًا يمينًا ويسارًا أعناق المخلوقات حوله، حتى قفز عليه أحدهم وضرب عنق حصانه الذي أطلق صهيلًا مريعًا وانفجرت الدماء منه كالشلال لا تتوقف ثم سقط أرضًا، أما أوب فقفز من فوقه أرضًا قبل أن يقع عليه الحيوان بثقله فيدهسه.

بمجرد سقوط أوب هاجمته أحد المخلوقات. رفع سيفه وقطع ذراع المسخ الطويلة الممدودة وتراجع إلى الخلف، لكن هاجمه مخلوق آخر وقبل أن يرفع سيفه صادًا الهجوم ضربه المخلوق بمخالبه الرفيعة ليسقط السيف أرضًا وحينها أصبح معزول السلاح.

اقترب المخلوق وعلى وجهه ذي الفم الواسع نظرة انتصار، فيما زاد أوب من تراجعه إلى الخلف حتى اصطدم بالجدار خلفه.

المسخ يقترب أكثر ونبضات قلب أوب تتصاعد، العرق يغمره، البرودة تسري في أوصاله وكأنه موت يزحف منتظرًا قبض روحه المقدسة.

لفح وجهه شيء ساخن. نظر إلى يمينه ووجد أحد المشاعل المعلقة في الجدران، أمسكه ولوح به أمامه للدفاع عن نفسه ضد المسخ، ويبدو أن هذا نجح؛ لأن المخلوق أطلق صفيرًا وحمل وجهه أمارات الغضب. أخذت الجرأة أوب وجعلته يتقدم إلى الأمام أكثر ودفع المشعل الملتهب أكثر وأكثر باتجاه المخلوق الذي تراجع إلى الخلف بخوف واضح.

"تخاف من النار أليس كذلك؟ أم الضوء؟! لهذا تظهرون ليلًا فقط!!" قالها أوب للمخلوق فقابله المسخ بصفير غاضب وهو يكشف عن أسنانه المدببة.

استكمل أوب بتحدٍ: "الضوء، النار، تحرق العين الواحدة لديكم".

أنهى جملته وأطاح أكثر بالمشعل وصرخ حوله بصوت عالٍ للجنود:

- النار هي الحل، واجهوهم بالمشاعل، الحل في النار.

التقط بعض الجنود الجملة وبدءوا يركضون إلى الجدران لالتقاط المشاعل والدفاع عن أنفسهم، حتى إن عازمين تشاجرا على مشعل واحد وكاد أحدهما الآخر ليحصل عليه وينقذ نفسه.

انقلب الوضع خلال ثوانٍ، يد بمشعل تُبعد المخلوقات وأخرى بسيف تضرب أعناقهم وصدورهم ذات الشعر الزعادي، وكأن المسوخ فهمت ما حدث، أطلقوا جميعًا صوت صفير حاد يشق السماء وبدءوا الهروب زحفًا من البوابة مرة أخرى.

***

(رداء الموت)

علم هشام ما حدث لجارته ملك بعد أن جاءت الشرطة قبل ربع ساعة لتحقق في حادثة انتحارها. صعد وشاهد والدها ووالدتها يقسمان أنهما لا يعلمان كيف حدث كل ذلك، وقالا: إن رضوان مرض فجأة واستيقظ على صوت بكاء ابنته ملك في غرفة الصالون وخرج وتحامل على نفسه ووجد صحته أصبحت أفضل لكنه وجدها ترمي نفسها من النافذة.

صعد هشام لتقديم العزاء لهما ووسط بكاء وعويل الأم، تركهما وهما يدخلان الشقة يجران أذيال الألم الذي يمزقهما لإنهاء إجراءات الدفن والعزاء.

لا يدري ما حدث، ولكن انتحارها بالتأكيد له سبب ربما لأنها فشلت في قتله، ولكن والدها كان بصحة شبه جيدة، تنهد وهو يفكر "ياه، لو كانت انتظرت قليلًا". لكنه لم يكن يعلم ما تعرضت له والوهم الشيطاني الذي دخلت فيه.

وصل إلى شقته ودس المفتاح وفتح الباب ومع دفعه له أظلمت الدنيا تمامًا أمام عينيه، وكاد أن يسقط ولكنه تماسك. ضرب ضوء أبيض مرة أخرى بصره وسمع صوت أنين يتصاعد بصوت عالٍ في المكان!

فتح عينيه مذهولًا ووجد أمامه ما يشبه غابة واسعة بها عشرات الأشخاص الراقدين على الأرض أمام البيوت البدائية، ويمر بينهم شخص يرتدي عباءة سوداء تغطي ملامحه تمامًا ووجهه، لا يسير بل يبدو وكأنه يطير متفحصًا المكان.

مر بين الأشخاص الذين تصاعد أنينهم بشكل أكبر وخفت صوتهم فجأة وتيبست أجسادهم، فيما نظر نووهم الجالسون إلى الشخص ذي الرداء، والذي أشار بيده إلى الأعلى كدلالة على صعود الروح.

مشهد لم يجد له تفسيرًا أو سببًا لمشاهدته، ولكن مع التفاتة ذي الرداء الأسود إليه اقشعر جسده. شعر هشام أنه ينظر إلى الموت ذاته. انقباضة قوية أمسكت بقلبه ورعشة سوداء شملت جسده حتى إنه لم يدرِ ما يفعل أو يقول.

ثوانٍ من الصمت ثم قال هشام وهو يبلع ريقه: "من أنت وما الذي جاء بي إلى هنا؟!".

جاءه الرد بصوت لم يتخيل أن يصدر من بشري، عميق، وكأنه يأتي من أعماق الأرض، حروفه واضحة، لكن جامدة، ولو كانت للكلمات روح لقال إنها ميتة مثل ناطقها. قال: تريد الراحة أنت. لكن هل تأمن لراحة في أرض يحكمها الموت؟!

تعجب هشام من الرد، وقال:

هل الموت يحكم هنا؟

اقترب منه الرجل فجأة وكأنه يطير ولا يسير على قدمين، وتصاعدت منه رائحة غريبة أحرقت جيوب هشام الأنفية، وكأن مصدرها جثث تحللت وتختفي أسفل ملابس ذي الرداء الذي أضاف بنبرة متعجبة واقترب أكثر من هشام وشم ملابسه:

هنا الموت فقط، مرضى، جرحى، راغبون في الخلاص والتطهير، ثم صمت وهو يستكمل شم جسد هشام، وتابع:

- هارب أنت من براثن الموت، واجهت الشر لكن رغم ذلك لم يأتِ أوانك بعد، تريد الراحة ولكنك لا تعلم أن براحتك سيحكم الموت.

قابل هشام قول الرجل بشد جسده في اعتداد، ورد بصوت حمل بعض الحسم الممزوج بالخوف ولكنه حاول أن يجعله قويًا:

- "أتعنى ألا يأتي الموت الآن، كل ما أريده هو الخروج من هنا!".

تصاعد صوت أنين عالٍ لسيدة تتألم قاطع حديثهما.

ذهب الرجل ذو الرداء الأسود وأشار بيده فغرق وجهها في عرق مفاجئ وبلعت ريقها ونظرت لهما في استنجاد.

أنقذها يا هذا، أليس هذا دورك؟!

سأل هشام الرجل ومد يده إلى جسده، واستدار له ذو الرداء الأسود وليته ما فعل!

أظلمت الدنيا تمامًا أمام هشام، وجد نفسه في نفس المكان وتنمو حوله النباتات بسرعة بالغة، ثم أتى طوفان كاسح مر أمامه وأزاح كل شيء، وتبعته ثلوج تكونت في المكان فاكتسى بالأبيض، ثم ذابت فتحولت إلى مياه جرفت كل شيء، وخرجت منه نباتات وأشجار ثم جبال تكونت، ووسط كل ذلك الرجل يقف مكانه ثابتًا لا تتغير ملامحه أو هيئته حتى وجده يجلس على طاولة حجرية أمام عدة أشخاص بعضهم يغطي جسده بعباءة ثم اختفى كل شيء بغتة!

انتفض جسد هشام وفتح عينيه على اتساعها وتراجع مصعوقًا. استدار له الرجل ذو العباءة السوداء وقال: "هل فهمت؟!".

تمتم هشام: "أنت الموت!".

تجاهله الرجل واستدار وواجه السيدة التي تئن ثم مسح بيديه أمامها فهمدت حركتها

تمامًا واستكانت بعد أن لفظت روحها.

قال الرجل بنبرة هادئة متجاهلًا الإجابة: "لم يأتِ أوانك بعد يا هشام. أنت تريد أثري، العباءة وقطعة من الحجر الساقط، ولكنك لا تستحقه بعد، أمامك الكثير لتكون مؤهلًا له. ولكني أعلم أنك المختار فلا أحد يراني إلا من يقف على حافة الموت بين العالمين.. لا يراني إلا من خاض بداية الرحلة. أنت تقف على الحافة يا هشام وأشد ما أخشاه أن تسقط فلا يبقى سوى الموت لعالمك.

اقترب الرجل من هشام أكثر وعادت رائحة الموت تضرب أنفه أكثر:

- أليس كذلك أيها البشري؟!

ظل هشام ناظرًا إلى الرجل وحاول أن يفهم ما يقصده الرجل وقال:

لا أعلم ماذا تقصد بأثرك أو ما تقول!

نظر هشام حوله متعجبًا وتابع بصوت منخفض ينم عن تفكير يدور في عقله:

- جئت هنا فقط ولا أدري ماذا بعد؟!

أشار ذو الرداء الأسود حوله بذراعين عظميتين انكشفتا من أسفل الرداء وبدون أن يستدير قال:

أنت الآن شاهدت مستقبل هؤلاء، مستقبلي أنا نفسي، والتفت إلى هشام "مستقبلكم كبشر، أنت تعلمه بالتأكيد ولكن ما زال أمامك الكثير لتعرفه أيضًا، لتعرف دورك".

تمتم هشام بخوف واضح: من أنت؟!

التفت إليه الرجل وأسقط الرداء وظهر من أسفله هيكل عظمي مليء بنقوش محفورة على العظام البيضاء وقال بصوته العميق:

- ستعلم، ولكني لست كما تتخيل أيها البشري، لست الموت، بل باعثه، أنا الحارس الأسود، أحد الحراس، جندي من جنود الموت، كلما خطت قدماي يوجد هلاك وفناء أو ربما رحمة وخلاص، الهادف إلى خلاص البشر وإنقاذهم!

لم يفهم هشام غالبية كلام ذي الوجه العظمي ودلت ملامح وجهه على ذلك. سأل:

"لا أفهم. أي حراس وما دورك؟!".

لم يُجِب الحارس الأسود على هشام بل قال:

- هل تريد قطعة من الحجر الساقط؟

هز هشام رأسه بالإيجاب وقال معرقلا الإجابة: نعم!

أصحبني 3 رحلات، إن فهمت كان ملكًا لك حتى ينتهي دورك وهو ما تحتاجه فيها، لكن إن خسرت ستصبح تابعي للأبد.. موافق؟!

شل عقل هشام وهو لا يدري هل يوافق ويجازف أم يرفض وينتهي الأمر، ولكنه من داخله يعلم أن الحصول على الحجر هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية. فكر بسرعة وقاطعه صوت الرجل الذي ازداد إغراء وانخفاضًا وكأنه بائع يدفع مستهلكًا للشراء منه:

- موافق؟

حسم هشام أمره ورد:

- نعم!

اصحبني إذن، ولك في الموت حياة!

اختفى المكان بغتة ووجد هشام نفسه مع صاحب الرداء الأسود يسيران في صحراء قاحلة ليلًا. البرق الأحمر ضرب السماء، وعوت الذئاب واقتربت ثم ركضت خوفًا منهما وكأنهما مبعوثا الموت ذاته.

إلى أين نحن ذاهبان؟ ألقى هشام السؤال والتفت إلى الحارس الأسود الذي سار بجانبه وكأنه يطير فوق الرمال الباردة.

أتته الإجابة:

متسرع أنت، تريد الإجابات رغم أنها لن تفيد، تبحث عن المعرفة وأنت خائف منها، تسير مع جندي من جنود الموت وتسأل عن وجهتك!

صمت هشام تمامًا بعد الإجابة، وظلا سائرين، فيما ازداد الجو برودة جعلت جسده البشري يئن وشعر بعظامه وكأنها تتفتت وأسنانه ترتطم ببعضها محتجة على ما يجري.

"نقترب". قالها الحارس الأسود وأشار بيده التي تخفيها الرداء وتظهر من أسفلها أظافره العظمية الطويلة إلى ما يبدو أنه مخيم لمتجولين يشعلون النيران في حطب أمام خيامهم، وهناك سيارات ذات دفع رباعي تقف بالقرب من المكان.

لم يستوعب هشام الموقف. بعد أن كان في الماضي أصبح الآن هناك مستقبل وسيارات.

التفت إلى ذي الوجه العظمي وهتف متعجبًا:

- كيف!

أجابته ضحكة رنانة:

- من قال لك إنك في الماضي، أنت في رحلة قصيرة في نفس زمنك، في حاضرك، في أرضك.

سأل هشام:

- ولكن!

توقف الرجل ذو العباءة ونظر إلى هشام بهدوء وقال:

- السحر الذي فتت الحجر الساقط قادك إلي أنا؛ لأن القطعة معي، ولكن ما يدور عندي أنا من أسيطر عليه فقط وأتحكم فيه وليس شيء آخر. أنت الآن تحت قوانين الحارس الأسود، هل فهمت؟

نظر إليه هشام ولم يتكلم، فيما واصل الحارس الأسود سيره حتى وصلا إلى المخيم، ولكن ذا الرداء لم يتوقف عنده بس استمر في طريقه حتى وصل إلى خيمة معينة يتصاعد منها ضوء أحمر بسيط وخيالات غريبة من الداخل وكأنها معركة جنسية حامية الوطيس بين رجل وامرأة!

التفت الحارس الأسود إلى هشام ونظر إليه نظرة وكأنها ساخرة وخلع العباءة عن جسده تمامًا وأسقطها على الرمال أسفله وظهر تحتها جسده العظمي الأبيض المليء بالأوشام ووضع يده اليسرى على الخيمة وأخذ يدور حولها وكأنه يرسم عليه شيئًا ما، ثم تعالى صوت الصراخ من الداخل فجأة وسعال حاد لرجل حاول أن يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة امتزجت بصوت صراخ آخر لامرأة ثم صوت رجال ونساء أتوا من الخيام المجاورة، وكل ذلك وهشام في مكانه مذهول لا يعرف ما يجري!

***

(هجوم جديد)

التقطت آذان الملكة فيبا صوت الصفير الأخير. نظرت حولها بخوف وقبضت على سيفها الرفيع وكأنها تستمد منه القوة لتواجه خوفها من سقوط المملكة، كما أنها تخشى خسارة أرواح الآلاف من البشر.

سمعت صراخًا مفاجئًا من الحراس ثم صوت طقطقة عالية ورأت نيران مستعرة شبت أسفل الأسوار وأمام البوابة الرئيسية!

نيران ضخمة كشفت عن الآلاف من المسوخ أمام الأسوار حاولوا تسلق الجدران، ركضوا ثم قفزوا فوق بعضهم البعض على أمل الوصول إلى حد السور الذي يناهز طوله 3 أمتار.

صرخت في الرماة بسرعة بالإطلاق لتنهمر مئات الأسهم إلى الأسفل اخترقت الأجساد والدروع، وتتصاعد صرخات مختلفة من حناجر مخلوقات جوف الأرض، فيما بدأت محاولات تدمير البوابة الرئيسية بعد أن أضعفتها النيران.

فهمت الملكة الخدعة متأخرًا. هاجموا من البوابة الشرقية بالمسوخ فقط حتى يتم سحب القوات من هنا ثم الهجوم بعد إشارة المخلوقات التي قال عنها الشاب- تقصد أوب.

رفعت سيفها وأمرت بصراخ حماسي: "أطلقوا مجددًا". انطلقت مئات الأسهم ثانية وضربت أجساد المقتحمين. أما هي نزلت سريعًا بقفزات تنم عن رشاقة رغم سنها الذي تجاوز الثلاثين حتى وصلت إلى البوابة الرئيسية ورفعت سيفها أمام وجهها وهي تتمتم في دعاء للآلهة حتى تحمي المملكة.

بمجرد أن شاهدها الحراس تجمعوا حولها بالعشرات ووقف في مواجهة الباب أكثر من 10 فرسان شاهرين رماحهم وسيوفهم مستعدين للذود عن المملكة والملكة. لم تمر دقيقة حتى بدأ الصراخ من الرماة أعلى السور من الجهة اليمنى بعد أن نجحت إحدى المخلوقات في الوصول.

نظرت فيبا إلى تلك الجهة ووجدت أجساد الرماة تتطاير يمينًا ويسارًا ومن أعلى السور على الأرض، أما المهاجم فكان مخلوقًا بشعًا لم ترَ مثله في حياتها. عينان حمراوان كالدم، وفم رفيع للغاية، وجسد نحيل وله ذيل يتلوى وفي يده مطرقة سوداء رفيعة للغاية يخترق بها أجساد الحراس، يصدر فحيحًا كلما ضرب.

"اضربوه بالأسهم" أمرت الملكة وتمالك بعض الرماة أنفسهم وأطلقوا السهام الرفيعة واخترقت جسد المخلوق الذي أصدر فحيحًا وتلوى أعلى ذيله يمينًا ويسارًا في جنون وألم

حتى سقط جثة هامدة.

اعتدلت وصرخت ثانية وأشارت إلى الجهة التي صعد منها المخلوق "سدوا الثغرة".

وزع الرماة أنفسهم على السور مجددًا وأطلقوا سهامهم بشكل متواصل، وسط خوف واضح بسبب اقتراب نفاد الأسهم من جعبتهم.

علمت الملكة من داخلها أن المعركة خاسرة. لديها يقين بأنه طالما لم يتدخل الحراس فهذا يعني أنه القدر المرسوم لـ نيرفا الجميلة، هكذا علمها زوجها الشجاع. لكنها رغم ذلك قررت ألا تستسلم بل وقفت بدرعها الصغير وخوذتها التي تكشف عينيها ومن أسفلها شعرها المضفر وذراعها العارية التي تعلق في أعلاها سوار من الذهب والفضة على هيئة ثعبان وفي يدها السيف تترقب الهجوم الذي لم يأخذ وقتًا حتى حدث بانهيار البوابة واندفاع المسوخ.

***

(اختيار)

وجد هشام نفسه في مواجهة الرجل العظمي مرة أخرى، وفجأة اختفى المكان ووجد نفسه في مكان آخر، شارع.

لا بل زقاق ضيق للغاية في مدينة أجنبية؛ لأن هناك كلمات بالإنجليزية وسيارات بلوحات بنفس اللغة في المكان. هذا ما لاحظه هشام في البداية.

الأرض مبللة من أثر المطر، وضباب رمادي حجب الرؤية، ولكن مصابيح طويلة موزعة بعناية على مسافات متساوية فتتت بعضه وكشفت ملامح الزقاق الذي وقفت فيه فتاة شبه عارية على ناصيته، وأشارت إلى هشام بميوعة وعهر واضح. فهم أن صاحب العباءة غير مرئي لأي شخص سواه.

هشام يجيد بعض الإنجليزي وفهم ما قالته السيدة، "تعالَ هنا.. هل تريديني مقابل بعض المال؟!" شارع للدعارة، هكذا فهم.

نظر إليها هشام ولم يرد. ابتسمت بسخرية وألقت كلمة واحدة أثارت غيظه "شاذ!" ثم أشارت إلى نهاية الشارع وضحكت بسخرية وقالت:

- استمر في طريقك وستجد مرادك.

نظر هشام إلى الحارس الأسود الذي لم يعره أي اهتمام، بل سار في طريقه حتى وصل إلى الفتاة التي اقشعر جسدها فجأة وبدأت بالاستدارة حول نفسها وسبت ببذاءة وفركت كتفها العاري وكأنها بردت فجأة ثم سعلت!

سعلت بقوة!

زادت في سعالها فجأة منذ أن اقترب منها الحارس وانحنت لتقيء ما بداخل بطنها على الأرض بشكل مقزز وبعدها ركعت أرضًا ونظرت حولها باستغاثة وحاولت أن تستنجد بأي شخص ينقذها.

فكر هشام في الذهاب إليها، ولكن استدارة مفاجئة من الحارس الأسود وإشارة صارمة أوقفته في مكانه لا يدري ما يفعل.

استمرت الفتاة في السعال حتى خرج شخص ضخم الجثة أصلع ذراعه الضخم مليء بالوشم، ونظر إليها بتعجب وذهب إليها وركلها في وجهها بشكل وحشي وسبها؛ لأنها شربت الكثير من الكحول رغم أن هذه الفترة بها الكثير من الزبائن وهو بحاجة إلى مَن مثلها!

المشهد كان صادما لهشام ولا يعرف ما يعنيه، ولكن هز كيانه سؤال وجهه صاحب الرداء "هل نقتلها أم نقتله؟ من فيهما الجانب الذي يستحق؟".

نظر إليه هشام ولم يدر كيف يجيب؟ ظل ناظرًا إليهما وسعال الفتاة مستمر وكأنها تموت والرجل بجانبها لا زال يسبها حتى تنهض وتستكمل عملها.

أجاب هشام بتردد: لا أعرف!

"إذن أختار أنا"! لفظها ذو الرداء وأشار إلى الفتاة التي زاد سعالها حتى بدأت تبصق الدم من فمها، أما الرجل الضخم فتراجع مذعورًا وشاهد ما يحدث وجرى بسرعة ودخل إلى العمارة ذات الأربعة طوابق التي كان فيها، تاركًا إياها تلفظ أنفاسها مخليًا ذمته منها.

صرخ هشام بغضب في الحارس الأسود:

- توقف، هو من يستحق، فهو من جعلها تعمل عاهرة لأجل المال، القواد هو من يستحق الموت.

لم تُجِب وتتخذ القرار بسرعة. قال صاحب الوجه العظمي جملته واستمر في طريقه، فيما سكنت حركة الفتاة تمامًا وماتت.

وقف هشام لثوانٍ أمام جثة الفتاة التي تكومت وبدأ الدم يسيل من فمها، ثم نظر إلى رفيقه الأسود الذي كلما خطا إلى الزقاق أطفأت المصابيح أنوارها وكأنها ترحب به ليسود الظلام.

قرر الاستمرار بالحركة مع الحارس الأسود علّه يجد إجابة واضحة لما يحدث.

"لكل شيء سبب، حتى القاتل يكون لديه سبب لجريمته وربما كانت مقنعة، فمثلًا يقتل لأجل إنقاذ الآخرين أو يزهق الأرواح النجسة لأجل حياة أفضل لمن سواهم، وأنت كبشري لن تعرف ذلك، وإن عرفت فلك حدود لا يمكن لك أن تحيد عنها بعقلك المحدود لتستوعب الأفعال الغريبة".

سمع هشام الجملة ولم يرد. زاد الحارس الأسود بعد أن وقف أمام أحد البيوت ونظر إلى الأعلى ورفع يده العظمية وأدارها وكأنه يكسر شيئًا ما:

- أمامنا رحلة أخرى، وبعدها ستفهم كل شيء. وزاد ساخرًا: لكن علينا الانتهاء سريعًا؛ لأن الظلال أصبحوا معنا الآن!

لم يكمل الرجل العبارة حتى تعالى صوت صراخ من نفس العقار لمجموعة من الرجال

بشكل غريب، ثم ساد الصمت. تلفت هشام حوله بخوف وسأل: ماذا تقصد بالظلال؟!

استدار الحارس الأسود إليه واقترب منه فجأة وأمسك كتفه:

- الجميع يرصدك الآن، كل فرقة من أتباع قشمين تريد أن تنال شرف قتل المختار ليخرج السيد والظلال ضمنهم، معنا الآن يتربصون بنا، حولنا، الظلال تسكن في كل منطقة مظلمة في حياة البشر، يترصدون بهم، يراقبون حركاتهم حتى يحين موعد خروج الشر، هم يحاصرونكم في كل شبر ومنطقة لا يصلها ضوء ونور.

نظر هشام حوله ثانية ولفت نظره أن البقع المظلمة في الشارع بها خيالات تقصر وتطول بشكل غريب وتتموج!

كاد أن يسأل سؤالًا آخر ولكن ذا الوجه العظمي أزاح عباءته من حوله وكشف كتفه وطرق عليه بقوة وتصاعد منه صوت احتكاك العظم بالعظم، ثم أشار بيده إلى البقع المظلمة وأدار قبضة يده ليتصاعد خيط من الدخان الأبيض من كتفه، سقط ثم تموج على الأرض وتلوّى مثل الثعبان، وبعدها تمدد بشكل رأسي وكأنه يصنع حاجزًا بينهما وبين الظلال.

يبدو أن الفعلة أزعجت الظلال، وظهر ذلك بسبب تصاعد صوت طرق خفيف على الحوائط حولهما. أمسك الحارس الأسود كتف هشام وقال بحسم: "هيا".

مع إنهاء الكلمة وجد هشام نفسه في معمل أو مختبر علمي ما.

رأى حوله قارورات وأدخنة خضراء وصفراء تتصاعد منها بشكل ينم عن تجارب يجريها الرجل الذي يرتدي قناع أكسجين وبالطو أبيض طبيًا.

تمتم هشام متسائلًا:

- عالم؟!

استدار إليه صاحب الرداء مُجيبًا:

- نعم، عالم كبير، نابغة في الطب بل قد يحصل على نوبل يومًا!

سأل هشام وهو متخوف من الإجابة:

- وماذا ستفعل هنا، إنه عالم، وفي الطب، إنه مستقبل العالم كله لإنقاذ البشرية من الأوبئة والأمراض التي تحدث!

قابلته نظرة استهزاء من رفيقه ذي الرداء الأسود الذي تحرك باتجاه العالم المنهمك في تسجيل بعض الملاحظات في مسجل يمسكه في يده بعناية. ارتعشت يد الطبيب فجأة حين

اقترب منه الحارس الأسود وسقط المسجل من يده وبدأ يمسك صدره وكأنه أصيب بنوبة قلبية!

فكر هشام: "هل يتدخل؟!".

رأى الحارس الأسود ينظر إلى العالم الذي انحنى وسعل بقوة وبدأ ضرب صدره ويجاهد للتنفس. لم يدر هشام بنفسه إلا وهو يقفز على صاحب الرداء الأسود وهو يستل خنجره من حزامه. استدار نحوه الحارس الأسود بعينين حمراوين بشكل مخيف ورفع يده العظمية ووجه إلى هشام الغاضب لطمة قوية بذراعه.

واجه هشام اللطمة برفع خنجره مدافعًا عن نفسه، وبالفعل صدت اليد العظمية وتردد صوت رنين غريب في المكان، ثم استغل هشام الموقف ودار بسرعة حول صاحب الرداء ووضع يده بالخنجر أسفل رأسه العظمية وهو يمسك رقبته بيده الأخرى.

قال ذو الوجه العظمي بهدوء بالغ وكأنه لا يهمه ما حدث:

- قلت لك: لا تقاطعني ما دمت لا تعلم.

رد هشام بغضب وجده يتصاعد في نفسه فجأة وكأن جسده يشتعل:

- لا تقتله، كفى قتلًا، هذا عالم اتركه وشأنه!

استمر صاحب الرداء في هدوئه وقال:

هل تعلم أنك أول من يهدد الحارس الأسود؟! اكتشفت قوة الخنجر بشكل جيد، الخنجر المطلسم بدم ابن الشيطان، السلاح الوحيد القادر على قتل جميع المخلوقات من نسل الملعون!

ظهر الذهول في صوت هشام وهو يقول:

- هل أنت من نسله؟!

أجابه الرجل بصوت محتد لم يرَ له هشام داعيًا:

ليس أنا، بل أثره، الرداء الأسود كان ملكًا له وهو يحوّل من يرتديه إلى مخلوق آخر حتى يكون قادرًا على تنفيذ المهمة، وكما قلت لك، لكل شيء دور في الحياة لا يمكن لأحد أن ينفذه غيره، ولكنك رغم ذلك لا تقدر على قتلي بالخنجر؛ لأن الحارس الأسود موسوم بالعلم والمعرفة وعظامي شاهدة على ذلك.

لم دفع خنجر هشام من أسفل رقبته العظمية وطار بعيدًا مصدرًا دويًا عند سقوطه على

الأرض، ثم اقترب العظمي من العالم وربت على رأسه وسط ذهول هشام، وكأنه يعتذر للرجل عن ما سيفعله، وبعدها انتفض جسد البشري وهمدت حركته تمامًا!

***

(البوابة الرئيسية)

ظل أوب لا يستوعب ما حدث من هروب للمسوخ، فيما ربت عليه بعض الحراس بنظرة هي مزيج من ألم فقدان بعض الأصدقاء في المعركة وبين الفخر في إجبار المخلوقات على الهروب.

نظر حوله باحثًا عن أمه فلم يجدها، فأخذ يتنقل بين الجثث علّه يجدها بينهم، ولكنها لم تكن بينهم فاطمأن قلبه مؤقتًا وإن حمل غصة مريرة؛ لأنه لم يعثر عليها.

سمع صوت ركض حصان دفعه للالتفات بسرعة ووجد أحد الجنود يصرخ وهو ينطلق بحصانه عائدًا من حيث أتى:

- "يهاجمون على البوابة الرئيسية".

سقط قلب أوب وبحث بعينيه عن أي حصان يساعده في الوصول إلى البوابة بسرعة ولم يجد بعد أن حصل الحراس الآخرون عليهم واتجهوا بسرعة إلى حيث الملكة.

لم يجد بدًا من الركض بأقصى سرعة لديه وفي يده المشعل وفي الأخرى سيفه الذي لا زال يقطر بمادة لزجة من أثر دماء المسوخ.

***

(المعرفة)

وقف هشام ومن داخله بكى بحرقة؛ لأنه لم يتخيل أن يشاهد كمية الموت والدماء هذه، بل كانت أقصى تصوراته أن هناك جنًا وبشرًا وفضاءً فسيحًا وليس ما رآه منذ أن ماتت والدته.

اقترب منه صاحب الوجه العظمي وقاطع أفكاره وقال بجمود:

انتهينا، رحلتنا انتهت، ولكن أجب لي عن سؤالين، لماذا حاولت إنقاذ الرجل الآن؟!

أجاب هشام بغضب مكتوم وانحنى ملتقطًا خنجره من الأرض ووضعه بين بنطاله والحزام من الخلف:

- إنه عالم وأنت تقول إنه نابغة فلماذا قتلته؟! ولماذا قتلت الفتاة ومن قبلهما الرجل والسيدة في الخيمة؟! أنت تسير للقتل، لا أعلم مهمتك أو رسالتك أو حتى من هم الحراس الذين تتحدث عنهم، ولكنك بهذا الشكل سفاح!

لست كذلك، أنت كنت تظن أني الموت ولكني لست كذلك!

أجاب هشام بسرعة:

- أنت قاتل!

- قاتل نعم، ولكني كما قلت لك، لا أقتل إلا لرسالة، لولاي لفنيت الأرض قبل آلاف السنين، ولولا ما أفعل ما ظللت أنت وجنسك أحياء!

تعجب هشام من الإجابة:

- ماذا تعني؟!

- أنا الموت للموت نفسه، منذ أن سلكت طريقي وأصبحت جنديًا مهمته القتل لمنع المزيد من القتل، أتخلص من الذين يهددون البشر بالفناء، من أقتله يكون حاملًا لفيروسات أو أمراض إن تفشت محت الآلاف بل ملايين البشر قبل أن يكتشفوا علاجًا لها.

السيدة في الخيمة لم تكن بشرية، بل كل ما تريده هو أن يكون في جسدها ماء رجل تقدر عن طريقه صنع سلالة من جنسها تسود بعد حين، ولأن جسد البشر ليس كما باقي المخلوقات فهي نقلت إلى الرجل فيروسًا صغيرًا للغاية يصيب الذكور بالعقم وينتشر باللعاب أو اللمس، وهؤلاء الناس يأكلون ويشربون باجتماعية ليل نهار وحياتهم مترابطة، وإن انتشر المرض بينهم لن يكتشفوه إلا بعد سنوات، وإن وصل إلى الآخرين فلن يتحدث الرجال خوفًا

من الفضيحة.

روح واحدة مقابل حياة ستتوقف لسنوات، هي معادلة صعبة، ولكن القرار فيها يكون حاسمًا مثلما أفعل، أما الفتاة فكانت حاملة لبكتريا جديدة من الهربس تسبب تآكل الجلد والانتشار في الجسد كاملًا خلال ساعات. بكتريا قادرة على تشويه البشر والأجنة وهي عاهرة فلك أن تتخيل العدوى التي كانت ستحدث لعشرات الرجال والنساء.

أما الرجال في العقار وهم شواذ، وبغض النظر عن أن ما يفعلون محرم في جميع الأديان السماوية إلا أنهم كانوا حاملين لفيروس جديد ينتشر في الجهاز الهضمي ويقضي على الإنسان خلال 24 ساعة، وهذا ينتقل بالتنفس.

الفيروس تكوّن وتشكل في جسد واحد منهم حين تناول حيوانًا دمويًا كنوع من التحدي مع أصدقائه وتفاعلت جينات الحيوان مع جسد الرجل والكحول الذي يتعاطاه وصنع فيروسًا خطيرًا بداخله حتى أصبح قنبلة بشرية موقوتة، ولهذا قتلت جميع من كان في الشقة معه قبل انتشار المرض.

زاد الحارس الأسود وأنفاس هشام تتلاحق من هول ما يسمع:

أما العالم، كان يجهز للقاح جديد يقضي به على أحد الأمراض المتوطنة في إفريقيا، ولكن شركة الدواء العالمية كانت مخادعة ولن تنفذ تجارب سريرة كافية وتترك اللقاح لفترة لبيان آثاره الجانبية، بل أرسلته مباشرة لبيعه في الدول الفقيرة بالقارة السمراء، ولا يعلمون أن من ضمن أعراضه أنه يوقف عمل الجهاز المناعي للجسد مع الوقت ويتركهم عرضة لكافة أنواع الأمراض والأوبئة، الرجل سيكون سببًا في هلاك ملايين البشر خلال سنوات بدون قصد.

صدم هشام من الإجابات، ورد بسرعة:

- كان يمكن شفاء كل هؤلاء بدلًا من قتلهم، أو حتى قتل المصدر!

- قتلت المصدر بالفعل، الفكرة كلها في إعمال العقل حين تشتتك العاطفة، فلو كانت نواميس الكون تسير بالعاطفة لما انتهت حضارات لأجل صعود حضارات أخرى، ولما فنيت أكوان وأجناس لصالح استمرار الحياة.

عليك أن تعرف أنه طالما كان هناك خروج عن الطبيعة فلابد وأن يصاحبها شر أو عقاب حتى ولو طال الوقت، فلكل شيء حساب وثمن.

سكت هشام لا يدري ما يقول. تابع الحارس الأسود:

أعلم جيدًا مهمتك وحاجتك إلى قطعة الحجر الساقط، وكنا ننتظر رحلتك منذ سنوات لا

يمكنك تصورها، أعلم من داخلي أنك المختار؛ لأن القوة تحركك ولو بدون أن تعلم أو تستعد، بداخلك رؤية مبهمة تقودك إلى الصواب، وللصواب أنا أفضل.

وخلع الرداء وأضاف: هذا سيصحبك وقت ما تحتاجه، لن يفارقك وإن كان خفيًا لك، وبقوة كلمات المعرفة المرسومة داخله ستفهم مهمته، وحينها عليك أن تترك أثرًا ليتذكرك المستقبل.

لم يفهم هشام مقصد الحارس الأسود، لكن علا صوت صاحب الرداء وأضاف:

- أنا الحارس الأسود، أحد جنود الموت، ميزان حياة البشر، أمنحك قطعة الحجر الساقط إلى الأبد ملكًا لك، أعطيك ردائي بقوته، ثم يعود لي أنا مالكه الأول والأخير بعد الخلاص.

أراد هشام أن يشكره لكن وجد وجه الحارس الأسود اقترب منه فجأة والرداء ارتفع من على هيكله الأبيض وسقط على وجهه وغطاه تمامًا ثم أظلمت الدنيا أمامه.

فتح عينيه ووجد نفسه أمام الباب وفي يده الرداء الأسود الذي كان باردًا للغاية ورائحته عفنة بعض الشيء.

نظر فيه ووجده مصنوعًا من الجلد والقماش وبه فص أسود مطرز بعناية بالغة في جزئه العلوي، أما من داخله يوجد كلمات محفورة بالرمادي لا يدري معناها، ولكن لا يهم؛ فالأهم أنه حصل عليه، فقط عليه أن يجمع باقي الحجر الساقط قبل خروج قشمين.

***

(فيبا)

بمجرد سقوط البوابة الرئيسية تصاعدت أصوات غريبة من المخلوقات التي اندفعت بسرعة متخطية الحطام الخشبي. مخلوقات مختلفة الهيئة، بعضهم مثل المسخ الذي تسلق السور وآخرون بأجساد بيضاء تمامًا وقرن صغير للغاية في الجبهة، لكن هيكلهم كما البشر، ومخلوقات أخرى ترتدي خوذات حديدية تخفي ملامحهم ودروعًا من الحديد لا يظهر منها غير الركبة وما أسفلها، وفي يد كل منهم سيف أو منجلٍ أو بلطة.

كان أمامهم ثوانٍ ويصلون إلى الملكة فيبا التي وقفت بنظرة متحدية وقالت بصوت عالٍ حماسي للجنود حولها:

- هذه الأرض مملكتنا، لها أرواحنا مثل ما فعل الأجداد، هذه الأرض للبشر يرثها أبناء الإنس ويعمرها أبناء الحياة، عليها سنموت وتشهد عليها رمالها أننا لم نتخلَّ عنها أمام الظلام.

ورفعت سلاحها للأعلى وزادت بحماسة أكبر مع اقتراب المسوخ منها:

- هذه أرضنا فلا تتركوها إلا وهي شاهدة على بطولتكم.

مع انتهاء جملتها أصبحت المخلوقات على بعد أمتار منها وتصاعد هتاف الحراس حولها وانطلقوا من جانبيها للدفاع عن المملكة وعنها ضاربين الأعناق.

أما فيبا، تفادت ضربة من بلطة أحد المسوخ بانحناءة سريعة، ثم وجهت سيفها إلى بطنه فشجتها وتساقطت دماؤه تسبق جسده على الأرض، ثم دارت حول نفسها وشعرها الذهبي المجندل يتطاير حولها ووجهت ضربة إلى عنق آخر، وقبل أن تعتدل لمحت بطرف عينيها سيفًا حادًا اقترب من عنقها دفعها للانحناء ثانية. أسقطت نفسها على الأرض وضربت قدمي المخلوق بسيفها، وبترت ساقيه ثم نهضت ورأت جنودها يواجهون الهجوم ببسالة الأبطال.

***

(حارس المعرفة)

مرت ربع ساعة على هشام وهو لا يدري ما سيحدث بعد ذلك. معه قطعتان فقط من الحجر الساقط والثالثة مع والده وأمامه ساعات قليلة. أخرج هاتفه وضبط توقيت العد التنازلي على 4 ساعات؛ حتى يتابع الوقت أولًا بأول، وجلس في الصالة ومروان نائم في الداخل.

أشعل سيجارة وصنع فنجانًا من القهوة وتجاهل بعض الظلال التي تتلاعب حوله؛ فهو يعلم أن لا أحد يقدر على إيذائه في تلك المرحلة، وقبل أن ينتهي من قهوته سمع صوت صراخ قادم من الأعلى.

خرج بسرعة وركض على السلالم متجهًا إلى الطابق الثالث الذي تأتي منه الأصوات حيث شقة المهندس جرجس. ابنه تزوج قبل عام ويعيش مع زوجته وابنته حنان فقط.

صعد السلالم بخطوات واسعة وقبل وصوله إلى الشقة ومع قفزة على درجتين من السلم اختصارًا للوقت وجد نفسه يندفع ويسقط على وجهه وسط ثلوج بيضاء!

بصق بعض البرد الذي دخل فمه وشعر ببرودة قارسة تضرب عظامه، وبدأ الخوف يتسلل إلى جسده. رأى أمامه الثلج الأبيض يغطي كل شيء، وعلى مرمى عينيه هناك حفرة ضخمة للغاية وكأنها وادٍ سحيق.

نهض واقترب من الحافة بحذر وحاول أن يرى ولكن لم يستطع؛ بسبب الضباب الكثيف الذي حجب الرؤية وكأنه يمنع تلصص البشر على ما يحدث في الأسفل. نظر خلفه، لكنه لم يجد أي علامات أو أي شيء، بل تفاجأ بالرداء الأسود دافئًا في يده، وحينها أيقن أنها رسالة خاصة مع شعوره بضرورة النزول، فعزم أمره.

ارتدى الرداء ووجد البرودة اختفت تمامًا بشكل غريب! مس ذراعه الأيمن فوجده عظميًا!

لا يشعر بالخوف لكن الموقف لا يتخيله. نظر إلى أصابعه ووجدها عظمية كذلك.

فكر في أنه مات وتحلل جسده ولكنه يشعر الآن ويفكر بل ويتحرك!

نبتت فكرة في عقله، هل يتحول الحارس إلى عظمي بارتداء الرداء مثلما كان الحارس الأسود؟! هذا يعني أن من قابله كان بشريًا وليس كائنًا عظميًا كما كان يعتقد.

استعاد رشده بسرعة وقرر النزول حتى يتخلص من الرداء ويعود إلى جسده البشري. بحث بنظره عن أحجار تقوده إلى الأسفل لكنه لم يجد سوى صخور بارزة يمكنه النزول من

خلالها بحرص بالغ إلى الأسفل.

جعل ظهره للوادي السحيق ووجهه في الصخور وأمسك نتوءًا بارزًا ثم تحسس بأقدامه ليستند على حجر آخر ثم ترك يده وتمسك في صخرة بارزة أخرى أسفلها ليستمر لدقائق في التحسس بأقدامه ثم ترك صخرة والنزول ثم التمسك بأخرى.

كاد أن يفقد اتزانه عدة مرات ولكنه تماسك، على الرغم من أن الإنهاك بلغ منه مبلغًا كبيرًا جعله يتصبب عرقًا وتنزلق الصخور من بين يديه، لتمر دقائق أخرى والرحلة مستمرة، لولا الرداء لكان مات من البرودة ولم يتحمل جسده هذا الجهد.

مرت دقائق أخرى حتى شعر بأن قدمه تمس الأرض. تركت يده اليمنى الصخرة التي تتمسك بها وتدلي اليد اليسرى فقط ثم استند بقدميه على الأرض.

صرخ بقوة ورفع جسده بسرعة وأمسك بيديه الاثنين الصخور بعد أن انهارت الأرض تحته. كانت صخرة عريضة ليس أكثر!

شعر بخوف بسيط؛ لأنه لو سقط فقد تتحطم عظامه وتتناثر في الأسفل!

اعتدل وبحث بقدمه عن صخرة جديدة ليهبط عليها فوجدها، استمر كما السابق في النزول بحرص، لكن هذه المرة لم يستمر كثيرًا؛ لأن بعدها وجد الأرض الصلبة أسفله.

تأكد هذه المرة أنها الأرض قبل أن يهبط بقدميه عليها، وحين اطمأن نزل آمنًا واستدار مواجهًا الوادي أمامه ورأى المفاجأة!

شاهد أمامه العشرات من أشجار الفاكهة أمام صفين من البيوت الخشبية الطويلة غريبة الهيئة على الجانبين، وفي نهاية البيوت يوجد نافورة ضخمة للمياه حولها طيور غريبة!

نظر إلى الأعلى حيث الصخور لكنه لم يجد سوى الضباب الذي غطى كل شيء، لكنه لا يهبط أو يقترب من المكان نفسه.

سمع صوتًا يأتي من خلفه وكأنه يصدر من بوق استمر لعدة ثوانٍ. التفت ورأى البيوت بدأت تفتح أبوابها وخرج منها أشخاص هيئتهم متناسقة بشكل مثير للغرابة.

وكأن أجسامهم مصبوبة، دقيقة، الرجال حليقو الذقون والرؤوس، يرتدون ملابس ناصعة البياض وصنادل من الذهب الخالص، وفي يد كل منهم لوح بني اللون، وبجانب كل ذكر أنثى جسدها ممشوق عارية البطن تستر فقط عوراتها ترتدي تاجًا من الذهب يخرج من بين فراغاته وردة بيضاء صغيرة زادهن فتنةً وجمالًا!

سار هشام مسلوب الإرادة ومر بينهم، والغريب أنهم نظروا إليه باحترام وتبجيل وأحنوا رؤوسهم واستكملوا المسير وكأنهم يعرفونه أو على الأقل ينتظرون قدومه.

ظل في سيره وهو لا يدري أين يذهب حتى وصل إلى النافورة فبدأ يتفحص ما حوله. في أسفل كل بيت يوجد فراغ كبير به ألواح مثل التي يسير بها أهالي المكان، وكأنها مكتبة.

أما النافورة، كانت تدور حول نفسها وانفتحت فجأة من المنتصف بشكل هادئ. تراجع إلى الخلف مترقبًا حتى ظهر أمامه شخص خرج من وسط النافورة يبدو عليه الهيبة والوقار بعينين مكحلتين وعصا بيضاء في يده.

"وصلت إلى وجهتك أيها المختار" نطق الرجل الكلمات واقترب من هشام الذي تراجع إلى الخلف، وسأل:

- أين أنا؟!

هز الرجل رأسه محييًا هشام وأشار حوله وقال:

أنت في مدينة الألف اسم، المدينة المنسية وسط الضباب، شامبالا حامية العلوم والمعرفة على مر العصور. وأشار حوله وكأنه يدفع هشام للنظر وقال:

هنا لا ماضي أو حاضر أو مستقبل، ولا يصل إلا المختارون. واستكمل بنبرة هادئة:

مثلك يا هشام.

عقد هشام حاجبيه عندما سمع اسمه ولم يرد. أضاف الرجل:

لا تتعجب، نحن من ندعو المختارين للدخول، فلا سلطة لأحد لدخول المدينة إلا لنا، في المدينة لكل مختار مهمة وتاريخ عليه الحفاظ عليه. ثم أشار إلى المنازل غريبة الهيئة واستطرد:

كل مختار لديه بلد يحافظ على تاريخها ومعرفتها ولغتها وكل ما يخصها أولًا بأول، يضع كل ذلك في لوحة ويضمها إلى تراثها.

واستكمل بفخر واضح:

- نحن نشبه أرشيف العالم ولكن منذ نشأة الفكر والعلم، نحافظ على كل شيء في سجلاتنا الأبدية إلى حين المعركة الكبرى التي ستغير شكل الكوكب وتعيد الماضي السحيق ليصبح حاضر البشر.

لم يفهم هشام الكلمة فسأل الرجل بفضول:

ماذا تعني، كيف يكون الماضي هو المستقبل؟!

رفع الرجل يديه إلى السماء الصافية فوقه وأدار يده وكأنها عجلة وشرح:

هكذا دورة الزمن، تطور لا مثيل يتبعه ظلام، تطور ثم ظلام، وما بين هذا وذلك هناك معرفة نحافظ عليها لتساعد في تبديد الظلام حين يحل.

هز هشام رأسه وقال بنفاد صبر بسبب عدم وضوح حديث الرجل:

لا أفهم أي شيء، أنتم هنا تحتفظون بالعلم والمعرفة لكل الحضارات والبلدان حتى يحين ما تقول عليه الظلام فتساعدون العالم على النهوض مرة أخرى.. هل تفكيري صواب؟!

نظر إليه الرجل بثبات ولم يُجِب وإن أكمل حديثه وكأنه لا يعير لسؤال هشام أي اهتمام:

- نحتفظ هنا بكل أشكال المعرفة والعلوم، وهذا نتاج آلاف السنوات من حفظ سجلات الحضارات ودراسة أخطائها ومميزاتها ونقاط القوة والضعف لكل منها.

قاطعه هشام متعجبًا:

ولماذا؟! ما الجدوى من ذلك؟! وزاد محتدًا: لا تقل لي حتى تدخلون حين يحل الظلام، فطالما معكم المعرفة فلماذا يحل الظلام بالأساس؟!

تغيرت ملامح الرجل وكأنه لم يتوقع ردة فعل هشام، ولكنه سرعان ما سيطر على نفسه وقال:

العلم في يد الجهل سلاح قاتل، ضع خنجرًا في يد همجي وستجده يهاجمك لقتلك، أما لو وضعت له صنارة ليصطاد ثم علمته طهو السمك وبعدها صنع الآنية والأسلحة وتطورها فهذا سيسهل المهمة حين يصبح العلم الأكبر في يده، سيجعله يجيد استخدامه.

رد هشام بتحدٍ وصوته يرتفع ما جعل بعض المارة يلتفتون إليه:

- هذا غباء، طالما هناك علم فيجب أن يصبح متاحًا للجميع.

قاطعه الرجل في تلك اللحظة وقال بحدة:

- تقصد العلم الذي لديكم؟! علم الخنجر الذي قتل والبارود الذي انفجر ثم النووي الذي أباد.. أم علم الأسلحة البيولوجية والمختبرات المخفية في أنحاء العالم لصنع سلاح يجعل دولًا تسود على حساب أخرى؟! هل تريدنا أن نُظهر المعرفة الكفيلة بصنع حضارة لا تضاهيها حضارة فنجد بعدها العالم بأكمله يريد تدميرنا والحصول على تلك المعرفة؟!

نظر هشام باستغراب إلى الرجل، فعلى الرغم من أن حديثه صادم ويحمل أنانية واضحة ولكنه صحيح، فلو عرف العالم مصدر قوة لن يتركه إلا بعد الحصول عليه، كالمنافسة القاتلة في أندية كرة القدم، فكيف ستكون في منافسة معرفة خبايا علم وحضارة التاريخ نفسه؟!

هل تعلم لماذا تم اختيارك يا هشام؟! ألقى الرجل السؤال وأجاب هشام:

- لا!

رد الرجل:

كنت أعلم أنك المختار لأني حارس المعرفة، أعرف أنك من ستعيد الوضع إلى طبيعته وتنهي المهمة التي لم تنته بعد، أنت المختار والدليل أنك هنا وحصلت على قطع الحجر الساقط، هذا المكان لا يختار سدى، بل له مواصفات معينة تدفعه للاختيار حتى إنه قد لا يختار أي شخص لآلاف السنين، أنت بداخلك شيء ما لا أحد أدرى منك بسره، حين يختارك القدر اعلم أن هناك رسالة عليك القيام بها، فقط كن مؤمنا بذاتك.

استمع هشام إلى الرجل ثم ابتسم، تعجب الرجل وإن بادله الابتسامة:

- لماذا تضحك؟!

زادت ابتسامة هشام ورد:

- لو سمعك أي شخص الآن لاتهمك بأن حديثك تنمية بشرية وتريد مني الانضمام إلى كورس!

زادت ابتسامة الرجل ولم يعقب وإن أشار إلى هشام للدخول إلى بيت ضخم وصلا إليه أثناء سيرهما.

زادت خطاهما متجهين نحو البيت ودخلا إلى مكان واسع للغاية وغريب؛ بسبب وجود نجمات خماسية وسداسية وسباعية معلقة في بعض الزوايا. توقف هشام أمام تمثال في الواجهة ظل ناظرًا إليه ويحاول منع جسده من الارتجاف.

كان تمثالا لرجل جالس وعلى معدته ثعبان يتلوى وكأنه أمعاؤه، وخلف ظهره جناحان، أما وجهه فوجه تيس، وأعلاه قرنان يتوسطهما عصا تنتهي بشعلة.

شعر بعدم الراحة في المكان. لكن صوت الرجل ونبرته الهادئة جعلته ينتظر ما سيحدث:

بالفعل، أنا مختص بحفظ سجلات الحضارات القديمة، أسياد الماضي الذين كان البشر يطلقون عليهم آلهة، ظهروا في عصور الظلام وسادوا ثم انتهت مرحلتهم ولكن تظل سيرتهم

خالدة.

أشار هشام إلى التمثال وقال بنبرة مرتعشة:

لكن، هذا الشيطان!

ضحك الرجل هذه المرة ورد:

لا لا، دعنا نضع الأسماء في سجلاتها الصحيحة، عبادة بافوميت تعود إلى السومريين وحضارة بابل العظيمة، وكان في مصر باسم خنوم، واسمه المتداول الآن في بلادكم هو عنز المنديس، حتى كلمة بافوميت تعني باليونانية الحكمة والمعرفة، ليس الشيطان لا تقلق، لكن الشيطان يشبهه، ينتظر ما ستفعل بفارغ الصبر حتى يعوض خسارته الأولى.

لم يستوعب هشام ما قاله الرجل ولكنه اتجه معه حتى وصلا إلى منضدة بيضاء فوقها كتاب غلافه بني غريب.

أشار الرجل إلى هشام بالجلوس فجلس وأمسك الكتاب وقلبه في يده وقال:

- هذا هو الكتاب الأول، كتاب أصحاب المعرفة وأسياد الحضارة وصانعيها القادمين من خلف البحار، الذين نالوا المعرفة وأرادوا أن ينشروها إلى العالم مخالفين ناموس الطبيعة والكون فكلفهم الأمر فناء حضارتهم بأكملها.

سأل هشام:

ماذا حدث لهم؟!

أجاب الرجل:

- قلت لك سابقًا، إن لكل علم أوانًا يتوقف فيه ثم نعود إلى البداية فتصنع حضارات تسود وتبقى حتى يأتي أوان توقفها فتفنى، هي دائرة يدور فيها الكون ولا يقطعها خط، ولكن يعارضها مخلوقات لا يجب أن تظهر الآن فهذا ليس أوانها، وهي تسعى بشتى الطرق للسيادة وكادت أن تسود سابقًا لكنها خسرت، ولهذا كان لزامًا أن تأتي بصفتك المختارة، هذا كان دور الحراس، دورنا، والآن دورك.

تمتم هشام متسائلًا ونظر إلى الكتاب مشدودًا:

- وما دوري؟!

أن تنال معرفة الكتاب؛ لأنه الحامل لمعرفة الماضي والحاضر والمستقبل، وكلماته لا تضاهيها قوة، كما أنه المكمل لقوة الحراس، وما سيجعلك تنتهي من تجميع الحجر الساقط

الذي لم يكن من ضمن مسار الحياة أن يحصل عليه بشر ولكن حدث ذلك وعلينا أن نعيد المسار إلى طبيعته.

سأل هشام الرجل:

ماذا تقصد؟ أي مسار. ووضع يده على رأسه وأضاف: لا أفهم أي شيء!

أجاب الرجل واقترب من هشام:

مسار الحياة يسير في خط مستقيم، وهناك بعض الخطوط التي تقاطعت معه، وهناك حراس مختارون لمنع حدوث ذلك مهما طال الوقت، وضمن مسار الحياة الطبيعي أن يموت قشمين.

تعجب هشام:

- ولماذا لم يَمُتْ؟!

أجابه حارس المعرفة:

- لأنه وضع تقاطعًا للمسار يمتد إلى آلاف السنين، ولكن حين يأتي الموعد ستعلم كيف تمنع ذلك.

وأضاف: هذا الكتاب يحمل معرفة كفيلة بمساعدتك في مواجهة القادم، ومعه جزء من الحجر الساقط.

ثم ابتسم الحارس وتابع وسط نظرات هشام المترقبة:

باسمي أنا، حارس المعرفة الأول، حافظ ألواح الشرق القديم، المختار في مدينة الألف اسم أضع كل المعرفة في تلك الكلمات وأمنحها لك لأجل المستقبل حتى يحين دورنا.

ثم أمسك بيد هشام فجأة ووضعها على الكتاب ومد يده الأخرى ووضعها على وجه هشام وضغط على جبهته بقوة.

تفاجأ هشام وقبل أن يفهم ما يحدث شعر بألم حاد يضرب رأسه، ثم زاد وكأن هناك نارًا تشتعل في جسده. صرخ صرخة مدوية وأظلمت الدنيا تمامًا أمامه وفي اللحظة التالية وجد قدمه تندفع على درجة السلم.

كاد أن يتعثر ويسقط لكنه تماسك وبلع ريقه وشعر بشيء بارد في يده. نظر إليه ووجده قطعة سوداء من الحجر الساقط.

وضعه في جيبه ثم طرق على باب شقة جرجس ووجده مفتوحا. أزاحه بيده ونادى على من في الداخل لكن لم يتلقَّ ردًا. قرر الدخول ثم شهق من المفاجأة التي وجدها أمامه!

***

(مواجهة)

غمر العرق جسد أوب الذي ركض حتى شعر بأنفاسه تحرق صدره. سحب نفسًا عميقًا واستمر في الجري حتى سمع صوت المعركة اقترب منه بسرعة ووجد أمامه بعض المسوخ ويواجهون الجنود ويسقطونهم صرعى.

صرخ لإخافتهم فاستداروا.

كان عددهم 3، وفي الخلف حاول الجنود صد الهجوم، ووقفت الملكة وراءهم تتصيد من يمر منهم وتتفادى الضربات.

شهر سيفه ومشعله واقترب من المسوخ الذين داروا حوله وكأنهم وحوش ضارية تستعد لافتراس غنيمتها.

صوّب المشعل تجاه أحدهم ما دفعه للتراجع إلى الخلف، فيما هجم الآخر على أوب الذي تفادى الضربة بسيفه ثم طوّح مشعله في وجه مهاجمه وضرب رأسه المشعر ليشتعل.

وكأن أجسادهم مصنوعة من الزيت! فكر أوب. ثم قرر الهجوم مجددًا؛ لأنه حتى الآن النيران هي أكثر ما يخيف تلك المخلوقات!

ضرب بمشعله مرة أخرى ولكن المسخ تفادى الضربة ووجه سيفه إلى أوب الذي تفادى الهجوم وركل الرمال الطينية على الأرض وضرب بها وجه المخلوق ثم صد هجوم الآخر وعاد إلى الأول موجهًا سيفه إلى عنقه وأطاح بها.

أثار هجوم أوب غضب المسخ الأخير وبدأ إصدار فحيح من فمه الرفيع ودار حول نفسه بسرعة وضرب البشري بذيله.

سقط أوب أرضًا وسقط المشعل بعيدًا عنه بعض الشيء. حاول أن يلتقطه ولكن المخلوق أطلق فحيحه واقترب أكثر ليضرب ضربته القاتلة.

ثواني اقتراب الموت مرت أمام عيون أوب كسنوات. تذكر طفولته ووالده المحارب الذي لطالما سمع عنه من أمه ولكنه لم يره، تذكر جدته من أمه التي كانت تصمم على أن يتعلم المبارزة حتى ينضم لحرس الملك حين يكبر، ولكنها ماتت ومات معها الحلم وإن كانت تعلم المبارزة والقتال.

تذكر أمه ووجهها الطيب العابس حين يفعل خطأ، والضاحك حين يثير سعادتها. وكأن على سيرة أمه ظهرت!

ضرب سيف عنق المخلوق قبل أن يقتل أوب، ومن خلفه ظهرت أمه بفخر وجسد المخلوق يتداعى أرضًا أمامها.

"أمي" أطلق صيحته ونهض بسرعة وأغرقها بالقبلات والأحضان، فيما ربتت على ظهره ورأسه ومسحت رأسه وقالت بحنان بالغ:

- ابني مقاتل كما أبوه، ابني هو فخري.

ثم استدارت وأشارت إلى البوابة الرئيسية التي بدأ الحراس يتساقطون أمامها، وما ساعد في صد الهجوم بعض الشيء تدخل حراس البوابة الشرقية وقالت له:

- دورك هناك وليس معي.

أمسك رأسها برفق وقبلها ثم ذهب مبتعدًا على عكس المعركة. تصرخ فيه أمه بغضب: أين تذهب؟!

التفت إليها وقال: الرجال لا يهربون من المعارك، الرجال خُلقوا لها.

ركل باب أول بيت أمامه ودخل لثوانٍ ثم خرج بسرعة وفي يده إبريق من الفخار سكبه على سيفه وأمسك المشعل وأولج النار في سلاحه وأمسكه بفخر وقال:

- ومن النار نحمي الحياة. ثم ألقى على أمه نظرة أخيرة قابلتها بابتسامة مزجت بين الخوف عليه والسعادة برجولته، وانطلق إلى البوابة الرئيسية.

***

(حنان)

الشقة تشبه تلك التي يعيش فيها هشام. صالة واسعة وغرفة ورواق يقود إلى غرف في الداخل تصاعد من إحداها صوت صراخ أنثى ضعيف، وكأن صاحبته فقدت قوتها ولم تعد قادرة على الاستغاثة.

أما الصدمة التي قابلها هشام فكانت اهتزازات الباب التي تحدث بشكل رتيب عقب صوت دقات يضرب خشبه، وكأن هناك شيئا خفيًا يحاول اقتحامه.

فور وقوفه أمام الرواق سمع صوت خطوات تركض تجاهه مرة واحدة مع توقف الطرق على الباب. تراجع بظهره ووضع الرداء الأسود على جسده بسرعة ولفه حول نفسه لحمايته من أي شيء غريب قد يتعرض له، ثم استل الخنجر بيده اليمنى وشهره أمامه ووقف متأهبًا لملاقاة القادم الخفي.

سمع أصوات الخطوات الراكضة حوله، وكأن هناك أقدامًا تجري على السقف والجدران حوله وأمامه. أصوات دورت، همست في أذنيه بكلمات لم يتبينها، فيما تعالى صوت الصراخ القادم من الغرفة في الداخل مرة أخرى بعد أن أحست صاحبته بوجود منقذ لها لما يحدث.

فكر في أنه آمن ولا شيء يمكن أن يمسه، ولكنه تذكر كلمة التابع حين قال إن بحصوله على أجزاء الحجر يصبح جسده يقع بين العالمين، أي أنه لا يوجد الآن أي ضامن أن هذه الأشياء لن تمسه أو تؤذيه.

لا يعلم من الذي يحتمي في الغرفة الداخلية؟ ولماذا لم تقتحمها المخلوقات الغريبة؟! فكر بسرعة لكنه لم يجد إجابة، وفي جميع الحالات عليه أن يدخل الآن لإنقاذ حنان والخروج بها من الشقة أولًا ثم معرفة ما يحدث. لكن كيف ينقذها؟! بالتأكيد عليه الدخول والمرور من الرواق. فور أن فكر في ذلك وكأن هناك من يقرأ أفكاره، وجد خيوطًا سوداء تشعبت في الجدران حوله وسالت على الأرض وكأن لها روحًا خاصة بها!

تحركت بلزوجة ونهضت وكأنها في حجم أطفال صغار بممصات خرجت منها!

ازداد الوضع صعوبة بعد أن عرف هشام بفعل تأثير كتاب المعرفة، ماذا تعني تلك الكائنات. علم أنها مخلوقات تعتمد على المادة لتعيش، تنتقل بين الحوائط والماديات فقط، وإن كبلته يمكنها أن تغير ماديات جسده ويسهل حبسه في الجدران معها، والحل هو تفاديها!

تصاعد الطرق على الباب ثانية بشكل أسرع وأعنف. نظر والتقطت عيناه شيئًا غريبًا. يوجد خيوط دخان تظهر مع كل طرقة على الباب الخشبي!

أغمض عينيه ثم فتحهما وشد جسده ووضع الخنجر خلف ظهره وتنفس بشكل عميق وبدأ!

ركض بسرعة. تفادى الكائن الأول من اليمين ثم دار حول نفسه إلى الشمال وقبل أن يمسه الكائن اللزج في تلك الجهة أوقف جسده وسند بيده على الحائط ودفع نفسه في الجهة الأخرى وقفز متفاديًا قطعة لزجة خرجت فجأة من أسفله وكادت أن تمسك قدمه.

تفادٍ وقفز ثم انحناء وتفادي كتلة امتدت من السقف، تبعه بانقلاب للأمام على الأرض ثم وقوف وقفز وتفادي لليمين.

تصاعدت حماسته، إنه يقترب! كاد أن يقترب! قفز وسحب الخنجر من حزامه وأطاح به أمامه وكأنه يطعن بالعرض عدوًا خفيًا. شعر بشيء جامد صد الطعنة جعل جسده ينتفض ثم ثقل مر من جانبه إلى خلفه.

أخيرًا، توقف هشام وشهر السلاح مستديرًا ومواجهًا الرواق ورأى الكائنات اللزجة التي ازداد ظهورها وكأنها تتكاثر من جميع الجهات مع صوت مخيف غاضب يتصاعد في المكان.

طرق بيده من الخلف ولا زال مواجهًا الرواق:

حنان، افتحي، أنا هشام جارك، افتحي لا تخافي!

تعالى صراخ جديد وخائف، وصوت يبحة من أثر البكاء:

- لا، لن أفتح، لا أريد الموت، ابتعدوا عني، ماذا تريدون مني، ابتعدوا أرجوكم أريد أن أعيش!

أعاد هشام الطرق على الباب وقال بهدوء:

- أقسم لكِ أني هشام، جارك، ابن الأستاذ وليد، لا تخافي، افتحي فقط وسأحميكِ وأخرجك من هنا.. أعِدك بذلك.

صمت ساد أكثر من دقيقة، تلوّت الكائنات واقتربت منه ببطء وكأنها تريد اقتناص أي شيء يقف أمامها.

فُتح الباب ودخل بسرعة ثم أغلق بسرعة، فيما تعالى صوت ركض خفي تجاههم، ثم صوت طرق واهتزاز للباب بقوة مرة أخرى لكن بغضب أكبر وصوت همس وفحيح يصم الآذان.

***

(ندبة)

ماذا يحدث! وقفت حنان بجانب الحائط وخيوط من الدموع تسيل بلا توقف من عينيها، وأضافت بصدمة وهي تصرخ بعد أن شاهدت شخصا يدخل عليها مرتديًا رداء أسود:

- من أنت؟

قالتها فخلع هشام الرداء بسرعة وهو يعطيها ظهره قبل أن تلتقط عيناها جسده العظمي فتصيبها نوبة قلبية.

اقتربت منه ببطء حذِر:

- أنت هشام حقًا! ما هذا الذي ترتديه؟! وما تلك الندبة على رقبتك؟!

قال باستغراب:

- أي ندبة؟!

اتجه إلى مرآة كبيرة موضوعة في الغرفة أدار رقبته ونظر يتفحصها.

رأى ندبة كبيرة طولية ملتفة بعض الشيء، وكأنها جرح في رقبته التئم، قرب منها إصبعه ووجدها تشع حرارة بسيطة وحوافها رمادية غريبة ومجوفة!

قاطعته الضربات على الباب المتصاعدة بشكل أكبر تنذر بانهياره في أي وقت، سأل نفسه متعجبًا بصوت عالٍ:

- لماذا لا يدفعوه فجأة فينهار؟!

قالت حنان بصوت مرتجف:

- لا أدري، ربما لأنه خشب مقدس!

استدار لها بغرابة:

- ماذا تقصدين؟!

- أحضره أبي منذ أن انتقلنا إلى هنا من الكنيسة، اشتراه وأعطاه للنجار وصنع منه الأبواب، كانت رخيصة بعض الشيء، وفي نفس الوقت قال أبي إنها قد تكون "بركة!" ويبدو أنها كذلك!

تمتم:

- الكنيسة! ثم تذكر مشهد خيط الدخان الذي يتصاعد من الأشياء الخفية كلما دقت على الباب! هل يحترقون كلما مسوه، صدفة جيدة للغاية لم يتوقع حدوثها!

لكنه سينهار في جميع الأحوال إن استمروا في الطرق عليه!

قالتها حنان بخوف واضح واقتربت من هشام الذي أخرج الخنجر ونظرت إليه الفتاة العشرينية باستغراب:

- لا لن يحدث.. سأجد حلًا لفتحه والخروج، ساعديني فقط وكفي عن الذعر لدقيقة واحدة، ثم فكر في حل لما يحدث، لا يدري كيف ولكن إحساسه يقوده هذه المرة أيضًا كما أن التسلسل يقول إن كل علامة مرتبطة بما يحدث بعدها، أي أن للمعرفة دورًا في الخروج من هذا الفخ الميت!

طالما هناك من يطرق على الباب فهذا يعني أنه جسم مادي منفصل وحر غير تلك الكائنات اللزجة التي تعيش في الحوائط والأرض، وطالما يوجد خيط من الدخان فربما يكون مسخ الكولتا.

بحسب المعرفة التي ضبت في رأسه من الكتاب، هذا المسخ أشبه بحرباء ضخمة تحلوى ولها أربعة قرون حمراء وسوداء فوق رأسها، ويدان كل واحدة منهما بها 3 أصابع فقط!

أغمض عينيه وراجع ما في رأسه بشأن هذا المخلوق "في الظلام يسود، تكبله المقدسات وتحرره الشرور، وغذاؤه الخوف وتجمده حروف السيطرة".

بدأ هشام يردد كلمات ضربت عقله فجأة ووضع يده على الباب الخشبي وشعر بحرارة تخرج من أصابعه وارتج إطار الباب بشكل بسيط ثم تصاعد صوت أنين وحشي من الخارج وهدأ الصوت تمامًا.

أمامه خلان، إما أن يفتح الباب ويجرب حظه ويرى إن كان نجح أو يفتح الباب فينتهي حظه ويموت!

يفتح أو ينتظر!

فحيح مخلوقات الحائط لا تزال تزداد. أخرج الخنجر ودسه في الباب وخلع منه قطعة خشبية حادة بقوة وسط نظرات حنان المتعجبة، ثم أدار مقبض الباب وفتحه والفتاة تصرخ: !!!!!!!!!!

ثم ساد الصمت!

بدأ تشكل الكولتا ببطء حين فتح الباب، من قدميه الصفيرتين المشعرتين اللتين يظهر بهما المخالب السوداء الملتفة الرفيعة، ثم ساقيه المقوستين وجزعه الرفيع المشعر الملتوي، ثم رأسه الذي يشبه الحرباء بقرونه.. كما كان في الصورة التي تخيلها في عقله.

كان عالقًا أمامه في الهواء وكأنه محاصر داخل كرة تدور به ببطء، فيما رسم الجمود ملامحه على وجهه وعينيه الطوليتين السوداوين تمامًا، أما الكائنات اللزجة فكانت تتحرك أمامه بشكل رتيب وكأنها تفقد الحياة ببطء وتتجه إلى الجمود هي الأخرى. تقدم وسطهم وفي يده قطعة الخشب المقدسة.

هيا بسرعة، قالها وأمسك يد حنان وجرها خلفه وفي يده الخنجر، فيما التفتت حولها بذعر غير متخيلة أن ينتهي الوضع بهذه البساطة. سألته بعدم فهم "ما هذا؟! وكيف عرفت كل ذلك، وما هؤلاء؟!".

فيما بعد، نخرج أولًا، أجابها هشام وفتح باب الشقة وخرج بسرعة نازلًا إلى الأسفل.

سألها: أين والدك وأمك؟

أجابت ونظرها لا زال متعلقًا بشقتها وهي تنزل على السلم:

في العمل، لا أدري ما حدث ولكن فجأة سمعت صوتًا يتعالى حولي وكأني في مهرجان أو سيرك، ثم بدأت أطياف مخلوقات غريبة في الظهور وخرج سائل أسود من بعض الجدران وسال على الأرض ثم اختفى، وبعدها سمعت صوت ركض حولي؛ فبدأت أصرخ وكانت الغرفة أقرب إليّ من الخروج فدخلت بسرعة واختبأت حتى جئت أنت.

maktabbah.blogspot.com

وصلا إلى الشقة وطلب منها هشام الدخول، لكنها رفضت بإحراج وقالت إنها ستذهب إلى والدتها في العمل الآن لتحكي لها ما حدث. وافقها وطلب منها ألا تحكي لأحد أنه تدخل بهذا الشكل بل تقول إن الأمر انتهى فجأة، ثم رحلت وهي تلتفت حولها بخوف واضح.

دخل بسرعة حتى يطمئن على مروان فوجده جالسًا على الكرسي أمامه. لا يتلفت حوله بل شاخصًا ببصره!

ما بك؟! قالها هشام واقترب من صديقه مبتسمًا متشوقًا أن يحكي له ما حدث ولكن جمود مروان هو ما قابله.

اعتدل وبدأ هز كتف صديقه لكن لم يتلقَّ استجابة!

مروان! نادى هشام بذعر وهو لا يدري ما حدث، ثم دفعه برفق على الكرسي ووجد جسد صديقه يسقط ببطء.

وضع يده على عروق رقبته. هناك نبض يعمل لكن ببطء.

جلس بجانبه ووضع يديه على رأسه من هول ما يتعرض له، لديه يقين من داخله أنه بمجرد الانتهاء من ما يحدث سيعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي، لكن الأمر يحتاج إلى حرص؛ لأن هناك شقة أخرى بها أسرة تسكن وهي المتبقية التي لم يحدث لها شيء بعد. أسرة لطالما كانت في حالها ولم يتعامل معهم إلا نادرًا بعد أن سكنوا قبل 12 عامًا، صابر صاحب محل المجوهرات وزوجته وابنه وابنته.

فكر في الصعود إليهم ليطمئن على أحوالهم ومعرفة إن كان حدث لهم أي شيء غريب، ولكنه تخوف من ردة فعلهم.

قرر الجلوس قليلًا أمام مروان وحاول أن يستعيد المعلومات من معرفة الكتاب، ولكن وجد ذهنه لا يتذكر شيئًا. أيقن أن المعرفة تأتي فقط في حينها حتى لا يُجن!

فكر، ربما هناك طريقة، مثل التركيز على ما يريد معرفته فقط مثلما حدث في الشقة مع حنان. حاول أن يطبق الفكرة وأخذ يسلط ذهنه على ما حدث لمروان والاحتمالات الموجودة لحدوث هذا الأمر.

أغمض عينيه وحاول التركيز فلم يفلح.. لا شيء!

اعتدل بجسده وحاول ثانية.. عقله أبيض كعقل طفل!

فكر، هل الكلمات لا تعمل بهذا الشكل؟ بالتأكيد لا، إذن هناك شيء ناقص.

في الشقة كان قريبًا من الكائنات ويراهم، ربما لو نظر إلى مروان وهو يفكر سيجد الحل!

فعل كما فكر. نظر بحدة إلى صديقه جاحظ العينين وفكر في ما حدث، وبالفعل بدأ شكل ضبابي يتكوّن في عقله، سرعان ما بدأ يتضح، كتلة رمادية اللون فقط!

"المستحوذ" ردد الكلمة التي نبتت في عقله ثم توالت الأفكار عن المخلوق.

يشل الجسد والعقل ولا يؤذي حامله، لا يخرج إلا في يوم يكتمل فيه القمر وترسم حدود حامله بعظام الموتى وتتلى عليه كلمات الطرد، ثم بدأت 4 كلمات تتردد في ذهنه ثم اختفت.

شعر بألم ضرب رأسه دفعه إلى أن يغمض عينيه بقوة وفتحها ويجد نفسه يردد نفس الكلمات وقد حفظها. دخلت عقله ببساطة!

ابتسم بثقة إلى صديقه والتقط سيجارة وخرج إلى الشرفة ونفث دخانها إلى الأعلى وأمامه قرص القمر المضيء.

اتسعت ابتسامة هشام ومن داخله يفكر، على الأقل علم الإجابة وكيف سينقذ صديقه، بل وتذكر رسالة والده حين نظر إلى القمر.

عرف كيف سيحصل على عظام الموتى وأمامه القمر المكتمل. استعاد عقله رسالة والده.. الآن وجهته أن يذهب إلى مكان دفن أبيه، وهناك لا يوجد أسهل من الحصول على عظام الموتى وربما أكثر!

(خشاع)

كان دخول أوب إلى المعركة غريبًا بسيفه المشتعل الذي أطاح به يمينًا وشمالًا. وثب فوق بعض الأحجار وأطاح بالأعناق فشاهده الجنود وركض بعضهم ليفعل مثله بعد أن شاهدوا الخوف على وجوه مخلوقات جوف الأرض.

أما فيبا فكان يشغلها أمر آخر طرأ فجأة. دخل خشاع إلى المعركة من البوابة بجسده العملاق وسيفه العريض. دخل ونظر حوله باستهزاء وسفك دماء من أمامه بوحشية.

شاهدته الملكة وقررت الثأر، اندفعت الدماء في عروقها وحمم الانتقام وأشعلت جسدها. ركضت بسرعة وقفزت على صخرة بجانب البوابة وألقت بنفسها على قاتل زوجها ودفعت السيف في صدره.

التفت إليها وصد الهجوم وقال ضاحكًا وهو يطرحها أرضًا:

- المرأة المكلومة تريد الانتقام!

سقطت وانقلبت بجسدها بسرعة ونهضت ثم استدارت لمواجهته مجددًا وقالت بمقت يقطر مع كلماتها:

"قتلك لن يشفيني أيها المسخ، بل قتل جيشك ومن أرسلك". ثم وجهت سيفها ثانية إلى عنقه لكنه تلقاه على سيفه ودفعها إلى الخلف وهاجم بدوره.

- غبية أنتِ كزوجك، تظنين أن البطولة هي الدفاع عن الأرض، رغم أن البطولة هي أن تحافظي على نفسك حية مهما حدث.

صدت هجومه وانحنت وحاولت توجيه طعنة إلى صدره.

الغبي مثلك هو من يظن أن الحياة للجبناء. ثم دارت حول نفسها برشاقة ووجهت ضربة ثانية بسيفها لكنه تلقاها. استغلت الفرصة وأخرجت خنجرًا من نطاقها وجهته إليه بسرعة وجرحت ذراعه.

نظر خشاع إلى الجرح وزام بصوت عالٍ وبصق على الأرض وانقضّ عليها بقوة.

لم تتخيل فيبا أن يثير الجرح جنون المسخ إلى هذا الحد، بل وكأنه أعطاه قوة أكبر. تلقت ضربته على سيفها ولكن من قوته سقطت على ظهرها وسقط سلاحها أرضًا.

اقترب منها خشاع وقال بغضب:

- كنت سآخذك أسيرة إلى سيدي قشمين، ولكني سأقول له إنك قتلت نفسك.

وكشر عن أنيابه وزاد بوحشية:

- سأقتلك الآن، وأمثّل بجسدك الجميل هذا، وأعلق رأسك على بوابة المملكة بجانب زوجك.

رفع سلاحه وقبل أن يضرب عنقها سمع صوت اقتراب سيف من عنقه دفعه للانحناء في آخر لحظة والتقطت عيناه سيفًا مشتعلًا يمر من فوق رأسه.

استدار بغضب ووجد أمامه أوب الذي تدخل في اللحظة المناسبة وأنقذ الملكة.

تفحص خشاع المنقذ الشاب وقال بغضب عارم:

- لا تبدو مثل جنود المملكة يا هذا لكنك سريع بما يكفي، ولهذا سأقتلك بسرعة.

ابتعد عن الملكة الآن. قالها أوب آمرًا واقترب أكثر وأشار بسيفه المشتعل منذرًا.

ضحك خشاع ورد بصوت أعلى من صليل السيوف حوله:

- هذه النيران لن تقتلني، قد تقتل مخلوقات جوف الأرض؛ لأن أجسادها مشبعة بالكبريت والمواد القابلة للاحتراق، ولكني لست مثلهم، أنا أقوى ولهذا أسود وأقود.

حاول أوب الرد بشكل يخيف المسخ، ولكنه لم يجد كلمات. صرخ بغضب وسدد ضربة إلى خشاع لكنه تفاداها ببساطة بسيفه.

أعطى هجوم أوب الفرصة للملكة أن تنهض، التقطت سيفها ووقفت بجانب أوب ورفعت السلاح استعدادًا للهجوم.

الغريب أن جميع المخلوقات لم تتدخل لمساعدة خشاع، وكأنه من غروره أمرهم بعدم التدخل في أي معركة يخوضها.

مروا من حوله وهاجموا باقي جنود المملكة دون أي اعتبار للملكة أو أوب اللذَين دارا حول قائد المسوخ ووجهوا له الضربات بسرعة. صد بعضها وأعاد بضربات أقوى. استمر الوضع لأكثر من دقيقة ما بين صد ورد حتى سمع أوب صوت أفقده صوابه. أمه!

كانت تصرخ خلفه. نظر بسرعة ووجدها ترتدي خوذة أحد الجنود وتحاول صد هجوم أحد المسوخ عليها. في نفس اللحظة عاجله خشاع بضربة قوية دفعته إلى الوراء لكن هاجمت فيبا من جهتها وأعطت لأوب فرصة للنهوض.

نظر إلى أمه وهو على الأرض.

كيف سينقذها وهو يواجه قائد المسوخ؟! كيف سيصل إليها والمخلوق ذو القرن على جبهته يستعد لقتلها وهي بعيدة عنه؟! هل يتخلى عن الملكة؟!

ثوانٍ كأيام. عقله لا يستوعب الاختيار، صرخت روحه بغضب أن يتحرك بسرعة لينقذ أمه أما عقله فترجاه أن يكمل معركة المصير؛ لأن فيبا وحدها لن تستطيع مواجهة المخلوق وإن سقطت ستنتهي المملكة!

وكأن القدر أراد أن يحسم الجدل. في الثانية التالية رفع المسخ السيف وهبط به على أمه لينفذ عبر صدرها وهي على الأرض.

رجت صرخة أوب المكان. نظر إليه خشاع بتعجب ثم استدار إلى الجهة التي ينظر إليها الشاب ففهم أن القتيلة أمه. وكذلك فعلت الملكة التي شعرت بألمه؛ لأنها شهدته قبله حين مات زوجها.

صرخ بقوة ونهض وأطاح بسيفه وحاول قتل خشاع الذي لم يتوقع أن يتماسك الشاب بهذه السرعة ولكنه صد هجومه.

تدخلت الملكة وحاصرت قائد المسوخ من الجهة الأخرى وأخذت تسدد الضربات. شعر خشاع أن الكفة لن تستمر في صالحه.

سرى الغضب في أوصال أوب والملكة، والدافع لديهما نار ستكويه إن لم يتخلص من أحد منهما بسرعة. هكذا فكر المسخ فصد هجوم أوب ثم استدار بسيفه وسدد بأقصى قوة لديه ضربة للملكة تلقتها بسيفها، وشعرت وكأن زلزالًا ضرب جسدها لكنها أمسكت بسيفه بيديها الاثنتين وتلقت الضربة الثانية من خشاع بثبات.

انتهز أوب الفرصة وقفز إلى الأعلى بسرعة وهبط بسيفه على المسخ الذي رفع سيفه بسرعة ليتلقى الهجوم. صرخ الشاب "الآن". فهمت فيبا الخدعة وألقت بنفسها إلى الأمام وهي تصوب سيفها إلى بطن المسخ الذي أصبح مكشوفًا ليتلقى ضربة أوب.

في الثانية التالية ساد الصمت.

ركع المسخ على ركبتيه وسيف الملكة الرفيع يخرج من ظهره وحنجرته لا تتوقف عن الحشرجة.

توقفت المسوخ عن الهجوم ونظروا إلى قائدهم. بالنسبة إليهم المعركة انتهت بخسارتهم بشكل غير متوقع؛ لأن هذا المخلوق الذي يصارع الموت أمامهم أقواهم وكان سيذا لهم بدلًا

عن رفيسول الخاسرا

تعالت صيحات النصر من جنود نيرفا وركض أوب إلى جثة أمه يبكي بحرقة على فقدانها، فيما وقفت الملكة بشموخ أمام خشاع وسحبت سيفها بقوة جعلته يطلق صرخة وهو يغالب ألا يسقط أرضًا أمام البشرية التي قالت بصوت عالٍ وهي تستدير حول نفسها ليرى جنودها المشهد "لأجل الملك البطل" وقطعت رأسه.

***

(المقبرة)

عكس قرص القمر الفضي ضوءه وكشف عن ظل رجل تسلل وحاول فتح بوابة حديدية زيتية اللون في المقابر المحاطة بالطوب الأحمر أعلاها والرخام الأبيض من الأسفل في شكل يبعث الراحة. حمل على كتفه جسدا آدميا مستكينا تمامًا، لو شاهده أي شخص الآن لظنه قاتلًا يحاول فتح مقبرة لدفن ضحيته.

هشام، الذي وصل إلى مقابر 6 أكتوبر التي دُفن فيها والده ليحاول معرفة السر، استغل الليل والهدوء في هذه البقعة حتى يحاول أيضًا إنقاذ مروان رغم أنه لا يعلم كيف سيفتح المقبرة أو يُخرج أي عظام ليتم طقوسه.

وضع جسد صديقه أرضًا وسند ظهره على الحائط وعالج القفل الذي يغلق المقبرة والذي استسلم بعد ثوانٍ وأصدر تكة تنم عن النجاح في فتحه. أزاح هشام الباب الحديدي القصير إلى الداخل وعلى كتفه صديقه.

على الرغم من القشعريرة التي انتابت جسده من هيبة الموت إلا أن هشام اتجه بخطوات ثقيلة بسبب مروان إلى غرفة في نهاية المكان وعلى ضوء الهاتف فتحها ونظر حوله بخوف بعد أن نبتت بذور مخاوف الطفولة من المقابر.

الجميع يخشى الموت حتى لو كان معه القوة والمعرفة؛ لأنه الدليل الوحيد على أن كل شيء فانٍ، ولا يستمر حتى الأنفاس التي تتسارع للحصول على حياة إضافية ليوم أو عام أو قرن.

داخل الغرفة الفارغة إلا من كرسي وباب يقود إلى الأسفل حيث الجثمان المدفون، وضع هشام جسد صديقه ثم أسند الهاتف المفتوح على الكشاف ليضيء له المكان وتفحص المقبرة ببصره باحثًا عن شيء يفتح به القبر المغلق المجاور لقبر والده.

هنا يسكن أحد أقربائه، عليه فقط أن يحصل على بعض عظامه ويضعه حول جسد مروان ثم يتلو كلمات الخروج حتى يعود صديقه سالمًا ويطرد المستحوذ.

على الرغم من أنه يعلم من داخله أنه مخطئ في هذه الفعلة، ولكن لا بديل أمامه سواها، فلن يضير الشاه سلخها بعد ذبحها في جميع الأحوال، فهذا ميت ولن يمانع في أن يكون سببًا في نجاة أحد الأحياء.

التفكير بعملية أعطى له بعض الراحة. أزاح بالفعل حجرًا كان أعلى الباب وكأنه يمنع الموتى مثلًا من الخروج، ثم حمل الهاتف ووجه ضوءه أمامه وأنار له المكان كاشفًا عن 5 درجات

(المقبرة)

عكس قرص القمر الفضي ضوءه وكشف عن ظل رجل تسلل وحاول فتح بوابة حديدية زيتية اللون في المقابر المحاطة بالطوب الأحمر أعلاها والرخام الأبيض من الأسفل في شكل يبعث الراحة. حمل على كتفه جسدا آدميا مستكينا تمامًا، لو شاهده أي شخص الآن لظنه قاتلًا يحاول فتح مقبرة لدفن ضحيته.

هشام، الذي وصل إلى مقابر 6 أكتوبر التي دفن فيها والده ليحاول معرفة السر، استغل الليل والهدوء في هذه البقعة حتى يحاول أيضًا إنقاذ مروان رغم أنه لا يعلم كيف سيفتح المقبرة أو يُخرج أي عظام ليتم طقوسه.

وضع جسد صديقه أرضًا وسند ظهره على الحائط وعالج القفل الذي يغلق المقبرة والذي استسلم بعد ثوانٍ وأصدر تكة تنم عن النجاح في فتحه. أزاح هشام الباب الحديدي القصير إلى الداخل وعلى كتفه صديقه.

على الرغم من القشعريرة التي انتابت جسده من هيبة الموت إلا أن هشام اتجه بخطوات ثقيلة بسبب مروان إلى غرفة في نهاية المكان وعلى ضوء الهاتف فتحها ونظر حوله بخوف بعد أن نبتت بذور مخاوف الطفولة من المقابر.

الجميع يخشى الموت حتى لو كان معه القوة والمعرفة؛ لأنه الدليل الوحيد على أن كل شيء فانٍ، ولا يستمر حتى الأنفاس التي تتسارع للحصول على حياة إضافية ليوم أو عام أو قرن.

داخل الغرفة الفارغة إلا من كرسي وباب يقود إلى الأسفل حيث الجثمان المدفون، وضع هشام جسد صديقه ثم أسند الهاتف المفتوح على الكشاف ليضيء له المكان وتفحص المقبرة ببصره باحثًا عن شيء يفتح به القبر المغلق المجاور لقبر والده.

هنا يسكن أحد أقربائه، عليه فقط أن يحصل على بعض عظامه ويضعه حول جسد مروان ثم يتلو كلمات الخروج حتى يعود صديقه سالمًا ويطرد المستحوذ.

على الرغم من أنه يعلم من داخله أنه مخطئ في هذه الفعلة، ولكن لا بديل أمامه سواها، فلن يضير الشاه سلخها بعد ذبحها في جميع الأحوال، فهذا ميت ولن يمانع في أن يكون سببًا في نجاة أحد الأحياء.

التفكير بعملية أعطى له بعض الراحة. أزاح بالفعل حجرًا كان أعلى الباب وكأنه يمنع الموتى مثلًا من الخروج، ثم حمل الهاتف ووجه ضوءه أمامه وأنار له المكان كاشفًا عن 5 درجات

سلم هبطها بسرعة حتى وصل إلى ممر ضيق وفتحة في الحائط من الرخام عليها بقايا كفن تآكل غالبيته وعظام بيضاء أثارت خوفه، ولكنه حصل عليها بسرعة بعد أن ارتدى في يده قفازًا طبيًا ثم عاد إلى صديقه في الأعلى ليجده اختفى!

(انسحاب)

انتهى كل شيء كما بدأ. انسحبت المخلوقات على الرغم من أنها الأكثر قوة وعددًا، ولكن بالنسبة إليهم خسارة القائد تعني خسارة المعركة. لكنهم تركوا خلفهم مئات القتلى ودمارًا هائلًا حل بالمملكة وألمًا يحاصر أسوارها.

وسط محاولات إصلاح بوابات المملكة، جلس أوب على الأرض وآثار البكاء تبدو على عينيه، فيما واصلت الملكة إلقاء الأوامر لتحصين المملكة في أسرع وقت؛ لأنها تعلم أن المسوخ ستعاود الهجوم بعد اختيار قائد جديد.

كان الأمر أشبه بخلية نحل لا تتوقف، أخشاب تحمل على الأكتاف، وجثث تُجر على القماش لدفنها بشكل لائق، وأبواق تعلو صوتها بنغمة الحداد التي لم يسمعها السكان منذ وفاة الملك السابق قبل 20 عامًا.

وسط كل ذلك تعالى صوت أحد الحراس أعلى السور: "هناك كتيبة من البشر قادمة".

اتجهت فيبا بسرعة إلى خارج الأسوار حتى تقابل القادمين الذين كان يتقدمهم الحارس الأسود.

منذ أن شاهدته بعباءته السوداء التي تخفي وجهه حتى عرفت أن القدر في صالحهم هذه المرة ولكن كيف؟!

***

(الأب)

"مروان" ردد هشام اسم صديقه بخوف وصوت خافت، وكأنه يرتعب من فكرة إيقاظ الموتى على صوته لكنه لم يتلقَّ إجابة. لا يوجد أحد في الغرفة سواه. خرج بسرعة ونظر حوله لكن لم يجد أي شيء.

تفحص بضوء الهاتف الأرض الطينية والرملية ووجد آثار وكأنها أحافير لحيوان رسمت علامات عليها. تتبعها ووجدها تقوده إلى الداخل أكثر، حيث صفوف طويلة من المقابر.

وجد أمامه جسدًا منكبًا على الأرض وفوقه شخص يعطي له ظهره المنحني بقوة وكأنه يعاني من عيب خلقي ويصدر صوتًا مخيفًا وهو يتقافز حول الجسم!

كان يقفز ويدور وكأنه حيوان ضخم وجسد مروان أسفله، ثم توقف فجأة ومد يده أمام وجه مروان وقربها من فمه وكأنه يسحب منه شيئًا ما، وهو ما بدا واضحًا بوجود خيط من اللون الأبيض الساطع يخرج من جانب فم مروان متجهًا إلى يد الكائن!

لم ينتظر هشام بل ركض بسرعة إلى المخلوق الغريب وسحب خنجره وصرخ بغضب:

- ابتعد عنه حالًا وإلا قتلتك!

التفت الكائن وتلاقت عيناه بعيني هشام الذي توقف مصدومًا:

أبي!

بصوت أجش لا يمت بصلة لصوت والده قال:

- أنا آسف!

جسده غريب، وكأنه تحول إلى مسخ، رأسه تحتفظ بنفس الملامح القديمة ولكن نبت له قرنان صغيران للغاية لونهما أحمر قانٍ فوق رأسه، وبرزت عيناه وكأنهما تصارعان للخروج من وجهه، وأسنان مدببة وناب ان ساقطان خارج شفتيه منذرَين بتمزيق من أمامهما، أما جسده فكان عاريًا يكسوه الشعر، كان مسخًا حقيقيًا!

كيف؟!

قالها هشام بنبرة مرتعشة خائفة. أتاه الرد من والده الذي وقف على قدمين يخرج منهما مخالب في نهايتهما وظهره منحنٍ إلى الأمام:

- ضريبة المعرفة، حاولت إنقاذ الجميع ولكن خالفت مسار الحياة.

ثم تشكل جسده ثانية إلى شكل أبيه، وعاد كما كان جسده بشريًا!

تراجع هشام بخوف وهو يشاهد والده يعود إلى هيئته الطبيعية:

ما أنت؟!

اقترب وليد من هشام ببطء وقال بنبرة حزينة:

- أنا من أعطيتك الحياة لتواجه الموت، وحين أتى دورك خفت عليك فقررت أن أحل محلك ولكني فشلت.

أنزل هشام الخنجر وقال متعجبًا:

- لا أفهم أي شيء! هل تعلم ما يحدث وموضوع قشمين وكل ذلك؟!

ظل والده ناظرًا إليه ولم يرد، ولكنه نظر حوله وأخذ نفسًا عميقًا من الهواء البارد حوله:

- خسارة أن ينتهي كل ذلك ويسيطر الموت على الحياة. حتى خطئي كان ضمن مسار القدر ومرسومًا وسرت عليه بدون أن أعرف.

اقترب هشام أكثر من والده وقال:

- كيف لم تمت؟! وكيف تتحدث عن كل ذلك؟!

ابتسم وليد وقال:

- لأني الحارس الأسود!

***

(المختار الأول)

جلست الملكة داخل قاعة الحكم على الطاولة التي تتوسط المكان وأمامها خريطة للمملكة، وشرحت للحارس الأسود ما جرى.

هاجمونا من البوابة الشرقية ثم الرئيسية، وبعدها قتلنا قائدهم خشاع فانسحبوا.

ظل الحارس صامتًا وفكر لدقائق ثم نظر إلى الملكة وقال:

- أريد الشاب الذي واجه قائد المسوخ.

خلال أقل من ربع ساعة كان أوب جالسًا على نفس الطاولة مع الحارس الأسود وفيبا.

كيف طرأت لك فكرة النيران لمواجهتهم؟! سأل الحارس أوب فحكى الشاب ما حدث وقال: "توقعت ذلك بسبب خوفهم من النار".

نظر إليه الحارس الأسود ثم إلى الملكة وقال بتعجب:

"كان من المفترض أن أحضر وأجد المملكة سقطت عن بكرة أبيها بحسب المسار المكتوب!".

اقشعر جسد فيبا من قول الحارس وسألت بخوف: "هل قال القدر إننا سنسقط؟!".

لم يرد الحارس الأسود، ولكنه تمتم بصوت خفيت: "النبوءة فقط هي القادرة على تعديل مسار الحياة لأجل المستقبل وإنقاذ الأرض!".

قربت الملكة رأسها من الحارس وسألت لتسمع ما يقول جيدًا: لم أفهم!

تابع الحارس وهو ينظر إلى أوب:

"أنت المختار لتحقيق النبوءة، القادم من الموت لأجل الحياة.. هنا كان الموت سيسود ولكنك أتيت لأجل بداية تصحيح مسار الحياة!".

تشكلت ابتسامة تدل على عدم الفهم على وجه أوب، وسأل: "لا أفهم، اعذرني!".

اقترب الحارس الأسود بوجهه من أوب وقال شارحًا وعيون فيبا تلاحقه لتفهم:

تقول النبوءة: إن قبل المعركة الكبرى سيظهر المختار ويحوّل الموت إلى حياة ويحطم السلسلة الأولى من المسار، حينها سيغير القدر مساره حتى تستمر الحياة، المختار سيكون حارسًا يقودنا عبر الزمان حتى النصر، وسيصنع من نفسه تضحية كبرى سيعلمها حين يأتي الوقت حتى تُحسم الحرب".

بلع أوب ريقه وهو يقول بتعجب: تقصدني أنا؟!

اعتدل الحارس في جلسته وسط ذهول الملكة من قوله:

لا أحد غيرك كسر سلسلة المسار، سيلزمك تضحية من الحارس الذي يرافقك لتكون محله. ثم ابتسم وأردف: أنا.

تدخلت فيبا وقاطعت الحديث: لا أفهم، هل سيكون حارسًا جديدًا؟! وما دورك أنت؟!

نهض الحارس وأخرج سكينًا من عباءته وكشف عن ذراعيه وظهرت عظام بيضاء؛ ما دفع أوب والملكة إلى الشهق بصوت مرتفع وهما ينظران بخوف إلى الحارس الذي رفع غطاء رأسه وظهر من أسفله وجه عظمي.

تحدث وقال بهدوء لا يناسب تعبيرات وجوههم الخائفة:

لأجل الحياة أهبك الموت، ثم بدأ يخط بالسكين على عظام يده رموزا هي مزيج من الشموس الصغيرة والأسهم ودوائر صغيرة داخلها علامات.

واقترب من أوب الذي تسمّر من المفاجأة وتابع: لأجل الحياة أختارك بديلًا، أختارك أن تكون حارسًا للموت والقدر.. الحارس الأسود حتى ينتهي الزمان.

قبل أن يستوعب أوب ما يقال، دفع الحارس خنجره إلى صدر الشاب فأطلق صرخة عالية وشعر بالخنجر مزق صدره. انهمرت الدماء وأغرقت الطاولة، فيما نهضت الملكة صارخة واستلت سيفها خوفًا وإن لم تتدخل.

اقترب الحارس الأسود من أوب وتمتم بكلمات غريبة ورفع رداءه عن جسده العظمي وغطى به الشاب الذي همدت حركته.

ثوانٍ واهتز المكان وهبت رياح ساخنة لفحت وجه الملكة، ثم تحرك الرداء الأسود الذي غطى أوب وبدا وكأن الشاب أسفله عاد من الموت ونهض والرداء يغطيه، فيما انهار الحارس العظمي على الأرض لتتناثر عظامه بصوت مخيف!

***

(رحلة عبر السنين)

ظل هشام مصدومًا بعد قول والده. "كيف؟!" طرح سؤاله وجلس على الأرض لا يستوعب ما يسمع ويرى.

اقترب والده أكثر وربت على كتف ابنه بحنان وقال:

- قبل حبس قشمين في سجنه، تم اختياري الحارس الأسود الجديد بعد أن منحني الأول قوته بحسب نبوءة، كان دوري مرسومًا أن تستمر حياتي حتى يقترب وقت خروج قشمين وإنهاء المهمة التي تم اختياري لها.

قال لي حينها حارس المعرفة الأول: إن هناك علامات تسبق خروج الشر، وحينها يجب أن أضع نطفتي ليكون نسلي هو الخلاص، وبالفعل ظهرت علامات واخترت أمك زوجة لي، وكان يفترض أن أتركك ليستمر مسار الحياة كما المخطط له، ولكني كلما رأيتك تكبر أمامي ضعفت إرادتي في الرحيل، وكلما ضحكت أو لعبت بكيت من داخلي وأصبح لدي يقين أني لن أقدر على وضعك في هذه الحرب؛ ولهذا مكثت معكم وحاولت بشتى الطرق تعلم المعرفة الكافية لأحصل على أجزاء الحجر الساقط بنفسي وقتل قشمين.

رفع هشام رأسه وسأل والده:

- وماذا حدث بعدها؟!

أجاب وليد:

- كنت أقوم بدوري طوال آلاف السنين، الحراس أعمارهم مديدة، أنقذت البشر مرات لا تحصى حتى يظل مسار الحياة كما هو، ثم حاولت أن أجمع أجزاء الحجر الساقط وحدي، خضت مواجهات حتى حصلت على الخاتم.

صمت لثوانٍ وأضاف آسفًا:

- بعد أن حصلت على الخاتم اكتشفت أنه مطلسم بكلمات الحماية الأخيرة لمنع خروج قشمين، كنت أظن أني أنقذ البشر، ولكني على العكس سرّعت من خروجه وتحرير الشر. الخاتم كان هو قوة حارسي المعرفة والنور لمنع خروج قشمين.

وتهدج صوته وكأنه سيبكي:

- وأنا من حررته!

نهض هشام ببطء ونظر إلى والده وقال محاولًا أن يستوعب ما يسمع:

- لكن ما فعلته أيضًا كان ضمن مسار الحياة، أليس كذلك؟!

نظر إليه والده وقال بابتسامة مريرة:

- نعم، يبدو أن مسار الحياة هو أن أحصل على الخاتم وأكون سببًا في اقتراب وقت خروج لقشمين، ثم تخوض أنت الرحلة لاستكمال البقية.

تسارعت ضربات قلب هشام:

أي أن القطعة الأخيرة من الحجر الساقط معك؟!

قال وليد وهو يخرج لسانه ويشير إليه:

هنا!

تفاجأ هشام بوجود الخاتم معلقًا في لسان والده!

كيف؟! سأل هشام وهو لا يتخيل كيفية دخوله لأنه يبدو وكأنه يقسم اللسان إلى جزئين!

- لا أعلم، قال وليد وأضاف: بعد الحصول عليه اكتشفت أنه داخل لساني ولا أستطيع إخراجه.

أنت من اصطحبني في رحلة الحصول على الحجر الساقط؟! أنت الحارس الأسود نفسه؟!

هز والده رأسه بالإيجاب:

نعم، أتممت دوري كما هو، أرتدي الرداء فأتحول إلى الحارس الأسود وأنفذ مهمتي ثم أعود بشريًا كما كنت. يظهر فقط الرداء حتى أرتديه في الوقت الذي يختاره هو وحينها يصطحبني إلى المكان المراد لتنفيذ مهمتي وبعدها أعود ثانية كما كنت بشريًا.

أشار هشام إلى مروان الممدد على الأرض وقال: لكنك كنت مسخًا الآن!

- لدي قدرات أخرى تعلمتها على مر السنين، منها التشكل على هيئة كائنات تابعة لي والحصول على قوتها لدقائق، ومنها مخلوقات قادرة على استخلاص المعرفة من أجساد البشر ومعرفة ذكرياتهم وما حدث معهم، وهذا كان التشكل الذي شاهدته.

وتابع بنبرة محذرة:

- مروان سقط في فخ المستحوذ، وهذا الكيان نقل لقشمين كل ما حدث أولًا بأول؛ أي أن عالم جوف الأرض بأكمله الآن يشاهد ما يحدث بيننا، والأدهى أنهم يريدون قطعة الحجر الخاصة بي وأنا هنا في أمان؛ لأن غرفة الدفن التي كنت فيها لأيام مليئة بطلاسم وتعاويذ

تحميني من أي محاولة للحصول على الخاتم.

كل ما أفعله هو أني أجلس وحين أرى الرداء أمامي أرتديه ثم أنفذ مهمتي على مر الزمان والمكان وأعود ثانية إلى القبر والانتظار إلى أن تأتي بعد أن تفهم الرسالة التي تركتها لك.

كم تبقى؟ ألقى هشام سؤاله إلى والده الذي قال ببطء وخوف واضح:

ساعة. الآن بدأت الثغرة في الفتح وخرجت بعض مخلوقات جوف الأرض، وبعدها سينهار السجن ويخرج قشمين.

أتم جملته وتحول كل شيء بغتة إلى جحيم مستعر!

زُجت الأرض فجأة، وخرجت ألسنة لهب زرقاء من بعض القبور حولهم، ثم انفجرت الرمال والأتربة من أسفلهم وخرجت منها أيدٍ عظمية استندت على التربة ونهضت بأجسام متآكلة وعظمية!

***

(مساران)

حل ظلام حالك على أوب ثم وجد نفسه فجأة أمام مجموعة من الرجال المتشحين بالسواد غير واضحة معالمهم. كانوا يقفون أمام ما يبدو أنه مذبح من الرخام وخلفهم رسم محفور على الصخر لشمس بخيوط أشعة متفاوتة طولها، وفي الأسفل رؤوس بشر صارخة.

الرسم وكأنه لشيء حي حتى كاد أن يسمع صوت صراخهم!

تعالت أصوات ترانيم حوله امتزجت بدقات وكأنها لحن منفرد زاد من جمال الغناء، وبعدها التف الرجال حول الطاولة. عددهم 5 مختلف طولهم وعرض أجسامهم، والغريب أنه لم يكن خائفًا منهم.

وجد نفسه يتحرك باتجاههم، وأصوات فحيح تعالت من حوله وخيالات ركضت فجأة وكلما نظر لم يجد شيئًا، وهو ما أثار بعض الخوف داخله. زاد من سرعته للذهاب إلى الرجال الذين لم يتحرك أحد منهم بل كانوا ينتظرون وصوله.

المذبح له درجات صعدها بسرعة ومد يديه إلى الأمام، لكنه تعثر فجأة في درجة لم يتبينها، ولكنه يكاد يقسم من داخله أنها لم تكن موجودة!

سقط أرضًا ونظر خلفه ووجد وجوهًا مخيفة تنظر إليه، رأس ماعز بقرنين من اللون الأحمر وفم مفتوح يسيل منه الدم، وطائر بجانبه يرفرف بجناحيه برفق، ولكن هيئته بشعة هي مزيج من الخفاش النباتي الذي كان يراه في حدائق المملكة ووجه الكلب!

انضم إلينا يا أوب. سمع الصوت يتردد خلفه وكأن المسخ ذا وجه الماعز هو من يتحدث.

انضم إلينا تنل الخلاص والحياة، انضم إلى السيد الذي أخطأ يومًا فكان عقابه مريرًا وأقسم على الانتقام. كن أحد جنودي المخلصين تنل كل ما أردت.

امتزج صوت آخر بصوت المسخ.

"اختر مصيرك يا صاحب النبوءة، الحياة أو الموت، أن تكون حارسًا لمسار الحياة أو رسولًا للموت".

لم يستوعب عقل أوب ما يحدث، ولكنه شعر بطاقة قوية في جسده، شعر وكأنه أصبح لا يقدر عليه أحد، وكأن الخوف تلاشى من قلبه فجأة وأصبح سيدًا للعالم.

- هي فتنة القوة، احذر منها يا أوب.

الصوت الآخر يرد:

- تجاهلهم أيها الشاب القوي، أنت لا مثيل لك الآن وستكون قائدًا لجنودي.

- ابحث في داخلك يا أوب عن الحياة لا الموت، تذكر وجوه المحبين وتضحية الرجال.

- الرجال بحاجة إلى من يقودهم، أنت صاحب القوة الآن، هل تتذكر أمك؟! يمكنك أن تعيدها من الجانب الآخر، هل تتذكر أباك؟! ستشير بإصبعك ويحضر أمامك معافى، سيكون لك السلطة على الأحياء والأموات أيها الشاب القوي.

بعثت الجملة الأخيرة من المسخ بعض الأمل في أوب جعلته يتراجع خطوة إلى الدرجة الأدنى.

تعالى صوت أشخاص المذبح بنبرة محذرة:

- لا أحد يقدر على إحياء الموتى يا أوب، الموت رسول مقدس لا يمكن لبشري أن يواجهه، لا تلتفت لصاحب الفتنة فالقبور مليئة بمن ساروا خلفه آملين في الخلاص.

تردد أوب ثانية وصعد الدرجة، ومن خلفه تعالى صوت ذي وجه الماعز بغضب:

أنت الحارس المختار، الذي لا يفنى باعث الموت الرابط بين عوالم الأحياء والموتى، لا تنضم إلى ضعفاء، مكانك هنا.

ثم دوت طقطقة نيران مستعرة ونظر أوب إلى المسخ فوجد خلفه نيرانًا تشتعل وعينا الماعز تبعث لهبًا وزادت رفرفة الطير الشيطاني خلفه: كن معي وإلا ستندم، أنا الأقوى، الأجدر، القادر على دحر الجميع، أنا صاحب الفكر والخديعة، أنا المختار الذي سقط لأجل خطأ فنلت العقاب وأنتم أيها الملاعين تخطئون ولكم التوبة!

أنا المختاااااااار. أطلق صرخته الأخيرة وزاد خوف أوب الذي صعد بسرعة حتى وقف أمام المذبح والتف حوله الرجال ووجد جسده يرتفع إلى الأعلى وكأن هناك من يحمله، ثم نزل ببطء على طاولة الرخام وأغمض عينيه ومن خلفه لا زال ذو وجه الماعز يتوعد بالانتقام ثم اختفى كل شيء بغتة!

(مواجهة في المقابر)

دوّى صوت الرعد فجأة، واتجه لسان من البرق أو ربما من النار تجاه هشام من الأعلى فقفز بسرعة ونظر إلى والده وشاهده، ركض في الاتجاه الآخر محتميًا مما يجري.

وجد الرداء الأسود على جسده أعلى الجاكيت المضاد للأمطار الذي يرتديه؛ فركض مختبئًا في غرفة الدفن وأغلق خلفه الباب، ثم أخرج خنجره وأشهره ووقف مترقبًا.

اهتز الباب فجأة وتصاعد صوت الطرقات. أسند هشام ظهره عليه وأغمض عينيه وحاول تنظيم أنفاسه والتفكير. معه الخنجر والرداء والمعرفة، لكنه لا يعلم ماذا سيواجه إن فُتح الباب، كما أن فرصته معدومة إن ظل في مكانه والوقت يمر!

أمسك الباب وأزاح جسده بسرعة وأطاح بخنجره في الجسد العظمي الذي وجده أمامه فانهار العظم على الأرض وتفادى يد محللة حاولت القبض على عنقه العظمي بعد أن تحول إلى الحارس الأسود، وانحنى أرضًا وضرب بالخنجر جسدًا بدأ في التحلل ليعلو صوت فحيح غاضب.

نهض بسرعة والتقط بعض العظام من الأرض وركض بسرعة إلى مروان ونظر حوله وشاهد الجثث المتحللة والعظام تتكوّن لتصنع هياكل قاتلة تتجه إليه ببطء.

وضع بعض العظام على حدود جسد صديقه وتلا الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب، وخلال ثوانٍ انتفض جسد مروان فجأة ورفع رأسه وصرخ بقوة كادت أن تقطع أحباله الصوتية ثم ارتطم بالأرض ثانية وهمدت حركته!

الجثث تقترب، ورأى هشام في ظلام المقابر عيونًا حمراء تنظر إليه بترقب لا يعلم لمن، ولكنها بالتأكيد ليست في صفه، فيما ارتجت الأرض من أسفله بقوة وخرج منها أجساد دُفنت قبل ساعات بأكفانها البيضاء تتحرك بثقل قادمة إليه.

الوضع لن ينتهي على خير، ترددت الجملة داخله، وشاهد حوله أكثر من 10 جثث مكتملة ومتحللة وهياكل، وما زاد سوءًا أنه رأى العيون الحمراء المختبئة في أحواش المقابر تحركت من حوله وتجمعت أمام البوابة الرئيسية وظهرت على ضوء القمر المكتمل.. كلاب!

إن تخطى الجثث لن يتخطى الكلاب التي يبدو أنها اختارت الطرف الأقوى الذي اقترب خروجه.. اختارت قشمين!

ضرب بخنجره جثة بكفن أبيض اقتربت منه؛ ما دفعها للتراجع وظهر فيها خط من الدم بعد ساعات من تجلط الدورة الدموية.

من داخله يعلم جيدًا أن الروح لم تدب في هذه الجثث، بل إن هناك قوى ما تحركها فقط، ولكنها تظل قاتلة رغم ذلك. عليه الهدوء حتى يخرج حيًا من المعركة. نظر إلى الجثث وفكر في طريقة مواجهتها فلم يجد في عقله أي شيء يصلح، وكأن أصحاب الكلمات لم يتوقعوا مواجهة شيء كهذا!

فكر في الاستعانة بالرداء، يمكنه الاقتراب من الذئاب ثم توجيه بعض كلمات الموت ليصيبها بأي مرض يفتك بها أو يعطلها قبل أن تلتهمه بأنيابها!

لن تموت!

سمع الصوت تردد حولها فانتفض!

دار حول نفسه وصرخ بغضب:

من يتحدث؟!

أنا القادم، صاحب المسرح الأرضي ومالكه الجديد، السيد الأعظم الذي سينال جائزته الكبرى حين يحل، أرسلت لك كلابي أيها الضعيف، انظر إلى أنيابها، هل ترى الموت يقطر منهم ويزيدها جمالًا، استمع إلى عوائها الذي يرجف وصراخها الذي يميت الوليد حين ينبض بالحياة، هل تقدر على مواجهته؟ اعوي وازبدي يا كلاب جوف الأرض، أطربي الكون بألحان الموت. اليوم لن يتكرر!

انتهت جملته ورفعت الكلاب عقيرتها ورأسها إلى السماء تعوي بشكل لم يز مثله، وزاد الصوت الذي يتردد حوله، فيما وجه هشام ضربة إلى جسد متحلل آخر:

- رداؤك لن يفيد، لن يجدي معي، لن يخرجك من لعبتي، قدم لي هداياك وروحك الملعونة تنل الراحة، ثم همس الصوت حوله بشكل واضح منذرًا دافعًا إياه للاستسلام: هيا!!!.. اقترب الوقت يا صغيري لا تجعلني أنتظر أكثر!

عرف هشام أن قشمين يريده أن يقدم له أجزاء الحجر الساقط ويستسلم لكنه بالتأكيد لن يفعل هذا.

دار حول نفسه مجددًا وضرب المزيد من الجثث المتحركة، ويبدو أنه سيستمر في ذلك إلى الأبد أو حتى تتدخل الكلاب؛ لأن العظام تعود وتتكون كما كانت. طرأ في عقله سؤال، ما الذي يمنع قشمين من الحصول على أجزاء الحجر الآن وقتله؟! هل لأن تجسده لم يعد كاملًا بعد؟! بالتأكيد هذه هي الإجابة!

بدأ في اتباع إستراتيجية أخرى، ووجه سحر الرداء إلى الجثث وبدأت فقاقيع تنتشر في الجسد الميت والتهمته بسرعة، وسال منها سائل لزج عفن عطلها بعض الشيء، ولكن هذا لن يجدي معه أيضًا!

سمع صوت عواء حوله ونباح قوي تردد. توقف مترقبًا وداخله أمل ألا يكون عدوًا جديدًا له. شاهد أجسامًا سوداء تقفز وتعتلي أسوار المقابر حوله!

ذئاب!

4 ذئاب ضخمة سوداء بعيون حمراء ملتهبة غاضبة، توقفت مترقبة، فيما عوت الكلاب بشكل أكثر وحشية وتقافزت بغضب، ثم ركضت واعتلت الأسوار لتدور معركة حامية بينهم.

اهرب! سمع الصوت يتردد في ذهنه. نظر إلى بوابة المقبرة وإلى جسد مروان الذي بدأ يتحرك ببطء بشكل ينم عن قرب عودته إلى وعيه.

اتركه وسنحضره! أعاد الصوت دك حصون عقله فاستوعب هذه الذئاب في صفه، ربما تابعة لرفيسول الذي سيتحرر هو الآخر من السجن بالتزامن مع قشمين.

وضع هشام الرداء على رأسه وحجب عنه بعض أصوات تمزيق اللحم مع الرعد الغاضب ثم ركض بسرعة وضرب يمينًا ويسارًا بالخنجر مسددًا إياه إلى الجثث والهياكل حتى وصل إلى البوابة ونظر خلفه.

وجد أحد الذئاب تشم صديقه وتلعق وجهه، ثم نظر إليه وعوى بقوة وكأنه يدعوه للرحيل الآن. خرج بسرعة ومن قلبه يتمنى أن ينجحوا في إنقاذ مروان وكان الصوت الأخير الذي سمعه هو توعد قشمين له: "سنلتقي وحينها سأجعلك تخسر كل ما تحب، حتى نفسك".

رد هشام بتحدٍ وهو يركض مبتعدًا: "أعدك أن تنتظر سقوطي طويلًا، صدقني سأعلمك الصبر!".

***

(أدوار محددة)

"حتى يحين الوقت" ترددت الجملة في عقل أوب الذي فتح عينيه فجأة ووجد نفسه أمام الحراس الذين التفوا حوله ونظروا إليه باحترام.

تأمل وجوههم ومد أحدهم يده إلى أوب الذي التقطها ونهض ببطء وتفحص ما حوله من أنقاض وركام.

هنا بدأ كل شيء وسينتهي. قالها حارس المعرفة بابتسامة هادئة فلم يعلق أوب.

تحسس جسده ووجد ألمًا في جانبه الأيسر ونظر متسائلًا إليهم فقال حارس النور: "من اليوم اختلفت حياتك، نلت قوة من الحراس زادت قوتك التي حصلت عليها من الحارس الأسود الذي ضحى بروحه للمختار الأول. لك أنت".

سأل أوب: "هل لكم أرواح؟".

أجاب حارس النور:

الجميع له روح، لكن الحراس لا تُقبض روحهم إلا بأمر من الإله ولهدف لا يمكن أن يتحقق إلا بدون تلك التضحية، نعيش أعمارًا مديدة، نحرس مسار الحياة ونمنع أي محاولات لتغيير القدر، حتى حصولك على القوة كان منتظرًا، ولكن بقي لك دور لا يمكن أن نكشفه لك، ولكن حين يأتي الوقت ستعرف ما ستفعل، دورك ليس في الحرب ضد قشمين، بل الحصول على المعرفة. ستكون زاهدًا في الحياة مجبرًا إلى أن تضع نطفتك في امرأة حين يقترب الوقت.

قاطعه أوب باستغراب: سأعيش للأبد؟!

تدخل حارس المعرفة:

لا أحد يعيش للأبد، لكل منا دور ستفنى حياته حين ينهيه، وأنت ستستمر في دورك حتى يحين وقتك وتقدم تضحيتك لأجل الخلاص، لأجل عودة المسار الصحيح.

نظر أوب حوله ونضّ وقال بحسم:

لا أفهم ولكني أعلم رسالتي وسأتمها، هكذا دورنا نحن الحراس.

ابتسم الحراس والتفتوا حول أوب الذي لم يفهم ما سيحدث ثم أمسكوا يد بعضهم البعض والشاب بردائه الأسود وسطهم ثم رفعوا رؤوسهم فجأة إلى السماء وبدءوا ترديد طقوس سرعان ما انتهوا منها بظهور دائرة من الضوء أحاطت أوب الذي شعر بألم حارق في عظامه ثم اختفى كل شيء.

واختفى أوب تمامًا.

***

(هروب)

رحلة الهروب كانت صعبة. قلب هشام كاد يتوقف عدة مرات كلما نظر خلفه مترقبًا هجومًا من أي شيء.

ظل كذلك حتى وصل إلى الخارج وركب أول سيارة أمامه تقوده إلى المنزل.

مايكروباص به سائق ورجل يجلس بجانبه وسيدة بعباءة سوداء يرتسم الزمن على وجهها عبر تجاعيد تؤكد سنها الكبير.

دفع الأجرة وجلس يفكر فيما يحدث له، تغير كثيرًا في أيام معدودات، لم يكن يظن أنه سيصبح هذا الشخص، جبنه تحول إلى شجاعة، تردده انعكس بتحدٍ، حتى ثقته بنفسه أصبحت قوية بعد أن كان ضعيفًا أمام أي شيء قد يحدث له.

انتبه لحركة مريبة للسائق الذي ينظر إلى المرآة الجانبية لسيارته بشكل غريب وكأنه يتابع شيئًا ما.

- هل هناك شيء؟ سأل هشام فنظر السائق إلى مرآته التي تتوسط المايكروباص ورد:

- غريبة، أول مرة أرى دخانًا أسود يطير!

سمع هشام الجملة وانقبض قلبه. دخان أسود بالتأكيد هناك شيء ما يطارده.

اهتزت السيارة فجأة، وقطع تفكير هشام صراخ السائق الغاضب:

- هو يوم نحس!

حاول السائق أن يدير المايكروباص لكنه لم يستجب. طلب من هشام والجالس بجانبه أن ينزلا لدفعها علّها تعمل؛ فوافق هشام على مضض وهو ينظر حوله باحثًا عن الدخان الأسود الذي تحدث عنه السائق لكن لم يجده.

تفحص المكان حوله لكنه لم يجد أي منزل أو شيء. هم على الطريق قبل بوابات حدائق الأهرام، وهناك لافتة فقط صدئة، وحوله ظلام يكسر أنوار السيارات القليلة التي تمر بسرعة غير عابئة بشيء.

أين الدخان الأسود؟! قالها هشام وهو ينظر للسائق من الشباك الذي يجاور كرسيه فنظر إليه الرجل بحيرة وقال:

- ادفع السيارة ودعنا فيما نحن فيه!

عاد هشام إلى خلف السيارة وبدأ يدفعها بقوة وبجانبه الرجل الذي كان جالسا جوار السائق. بدأت السيارة تتحرك ببطء واستجاب محركها لقوة البشر ثم دارت. اتجه هشام إلى الباب وفتحه وكاد أن يصعد درجة المايكروباص ولكن فجأة اختفى كل شيء!

***

(ما قبل المعركة)

هدأ الوضع بعد اختفاء أوب، ووقف الحراس في صف واحد وهم يستعدون للمعركة مع قشمين.

بالتأكيد عرف أن هناك حارسًا جديدًا لمسار الحياة، مما يعني أن خطته التي وضعها للسيطرة على الممالك فشلت ولن تتم إلا بالقضاء على الحراس، وهو ما يستدعي حشد جيشه من أصحاب القسم في جوف الأرض للحرب هنا، في المملكة التي شهدت الشمس الساقطة.

وحده حارس المعرفة هو الذي يعلم نتيجة المعركة مع قشمين، لكنه رغم ذلك لم يستسلم لأن وجود حارس مسار الحياة الذي لا يظهر إلا في ظروف محددة يعني أن هناك إمكانية لتغيير القدر المرسوم، وهذا أيضًا قدر، ولكنه قدر جديد يجب تنفيذه وبدقة وعلى مدار آلاف السنين حتى يربح البشر.

***

(هيردوس أغريبا)

وجد هشام فجأة، خلف عامود ضخم من الرخام في قاعة تجمع بين الضخامة والفخامة، زينتها نقوش جمالية غريبة، يقف أمامه رجل جلس على كرسي آية في الفخامة، لكن هشام لا يستطيع رؤية ملامحه جيدًا بسبب زاوية وقوفه.

ثوانٍ ودخل حارس وانحنى باحترام وقال:

مولاي الملك هيردوس أغريبا، المستشار المبجل حيرام أبيود يأذن للدخول.

أشار إليه هيردوس بالموافقة. لم تمر ثوانٍ حتى دخل شخص على وجهه أمارات المكر والدهاء. بأنفه المعقوف ونحوله الغريب، قال بلهجة منمقة لا تخلو من النفاق وهو ينحني باحترام هو الآخر:

مولاي.

- ماذا خلفك يا حيرام؟

اعتدل حيرام في وقفته وقال بنبرة محرضة:

- أتباع يسوع ينمون ويزيدون يومًا بعد يوم، يستميل بأعماله وتعاليمه قلوب الكثير من الشعب اليهودي الحكيم، ونحن لم نستطع له مقاومة رغم ما أنزلناه من تعذيب واضطهاد.

قال الملك هيردوس بغضب واضح لم يستطع إخفاءه:

وما رؤيتك أيها المستشار؟

وزاد بمقت:

ألست مستشارًا لي؟! قل لي ما أفعله للقضاء على هؤلاء الملاعين!

اقترب حيرام وكأنه حرباء تتسحب على البلاط الملكي:

- تلك القوة التي تقود يسوع وأتباعه خفية، فلا يمكن مواجهتها إلا بقوة خفية مثلها، أرتئي أن ننشئ جمعية ذات قوة أعظم منها تضم القوة اليهودية المهددة ولا يعلم بوجودها ومنشئها وأعمالها إلا من كان داخلًا فيها، ولن ندع أحدًا يعرف أننا أنشأناها إلا المؤسسين الذين تختارهم جلالتك، أما قراراتهم السرية فلن يعرفها إلا من يكون عضوًا عاملًا فيها.

وتعالى صوته بثقة محاولًا جذب انتباه الملك أكثر وأكثر:

- سيكون مركز الجمعية هنا، ولكن سننشئ لها فروعًا في كل سائر النواحي قبل أن ينتشر

فيها المبشرون بتعاليم يسوع وشرائعه، وبهذا نلاشي تلك القوة التي تهدد كياننا.

نظر إليه الملك مليًا ويحك ذقنه الطويلة التي تخفي نصف ملامح وجهه وفكر في كلام مستشاره. يعلم أنها فرصة لمحاربة المسيح كما أن وجود الجمعية هنا في قصره سيكون له قوة إضافية أمام العالم أجمع الذي طالما كان يحلم بالسيطرة عليه.

نظر إلى حيرام بثقة وقال:

أوافق، ولكن أريد أن ينضم لنا فيها مستشارو موآب لافي.

اختفى المشهد من أمام هشام الذي وجد نفسه في قاعة مغلقة وأمامه جلس 9 من الرجال وأمامهم الملك الذي بدأ كلامه بالترحيب بهم فيما أسماه "محفل أورشليم"، ثم نهض كل واحد منهم وألقى قسمًا غريبًا.

تفحص هشام بنظره المكان ووجد بعض الأشياء الغريبة، كوس (زاوية النجار) وبوصلة، وجاروف، وميزانين، ومطرقة. جميعها مصنوعة من الخشب!

شعر بتنميل في أطرافه من التوتر. إنه يشاهد الآن تأسيس الماسونية التي كان لطالما ظنها هراء!

قاطع تفكيره صوت الملك الذي قال للحضور بصوت حماسي:

- دعونا نبتهج، دعونا نبدأ الزحف على طريق الانتصار، دعونا نأخذ خطواتنا الثلاثة الأولى، دعونا نضرب بهذه المطرقة المنتصرة برمز الموت لعدونا، رمز تأسيس مبادئنا المحترمة بأننا سنصلح بمسامير الأخوة والاتحاد، دعونا كلنا نصرخ بالفرح: إلى الأمام، إلى النصر!

وتابع بصوت فخور بانتصاره:

- من الآن فصاعدًا سيكون اسم المؤسسين أبناء الأرملة فمن يُتم أخينا حيرام من أبيه في الطفولة وعدم معرفته بأحد غير أمه الأرملة أتقدم لجمعيتنا بطلب الموافقة على ذلك، سيسمى كل عضو للجمعية نفسه ابنًا للأرملة حتى نهاية الزمان؛ لأننا نعتقد أن جمعيتنا ستعيش حتى نهاية الزمان.

تعالت صيحات الموافقة من الحضور ثم اختفى كل شيء، ووجد هشام نفسه في نفس القاعة لكنه خلف منصة سوداء من الخشب أمامها مسارات محفورة على الأرض تقود إلى المنصة ترتسم في وسطها دائرة ضخمة وداخلها مربع على كل زاوية منه شمعدان من الشمع الأسود مطفأ.

شم رائحة غريبة وكأنها لدم، وقبل أن ينهض يستطلع المكان سمع صوت خطوات قادمة من الخارج. عاد بسرعة بجسده خلف المنصة ورأى الملك وحيرام الذي يحمل في يده شعلة يدخلان من باب القاعة الضخم بدون حديث أو كلام ثم اتجها إلى المربع وأشعل المستشار الشموع، فيما وقف الملك في منتصف المربع.

ثوانٍ ثم دخل رجل ضخم الجثة يبدو أنه أحد الحرس وهو يحمل في يده لفافة من الخيش ضخمة بعض الشيء ووضعها أمام الملك وحيرام ثم خرج من فوره. يبدأ المستشار في تلاوة بعض الكلمات ثم أخرج سكينًا من الذهب وجرح معصمه وبدأ الدم السيل وانهمرت بعض القطرات على الأرضية ثم غير المستشار وضعية السكين ومد الملك يده بدوره وجرحها حيرام ثم جلس الاثنان على الأرض يتوسطهما الجسد الغريب في الخيش.

لم يتخذ الاثنان أي ردة فعل حتى بدأ صوت ذبذبة يتصاعد في المكان وكأنه إشارة ليفتح حيرام لفافة الخيش وظهر داخلها جسد لطفل رضيع يبدو وكأنه لم يتمّ الشهرين، وقبل أن يفهم هشام ما يحدث رفع حيرام السكين عاليًا وهو يتلفظ بكلمات غير واضحة ثم هبط بالسلاح على جسد الرضيع الذي تناثرت دماؤه حولهما بشكل مقزز ثم وصل سائل الحياة الأحمر إلى المسار على الأرض، وحينها نهض المستشار وبدأ يمرر بأصابعه على دم الرضيع المغدور في المسار محددًا المربع الذي يجلسان فيه، وأخيرًا عاد إلى جلسته وأغمض عينيه وردد كلمات بنبرة سريعة.

وضع هشام يده على فمه قبل أن يشهق من المشهد فوجد ما يعيق ذراعه. الرداء الأسود!

لا يتذكر متى ارتداه، ولكن وجوده جعل بعض الطمأنة تدخل إلى نفسه؛ لأنه يعلم جيدًا أنها تلازمه دومًا ولكنها تظهر فقط في الوقت الذي يحتاجها فيه.

أعاد نظره إلى الملك وحيرام ووجدهما يرتلان الكلمات وأغمض كل منهما عينيه وتراجعا إلى حدود الدائرة التي تبتلع المربع تاركين إياه بعد أن بدأ يظهر في منتصفه دوامة غريبة من النيران الزرقاء البسيطة وفي داخلها وجه لا تتضح معالمه تحدث بصوت جهور اقشعر له جسد هشام:

فخور بكما، لكما مني النصح والتوجيه حتى يحين الحضور العظيم ويخرج السيد ليقودكم إلى النصر، لا تأمنا لغير المختارين، انشرا الفتنة فهي وقود استمراركما، هيئا الأرض لحضوره، واجعلا الخوف سيدًا والمجون دينًا، انثرا بذور الفساد تحصدا ضعفاء يتبعونكما، لا تأمنا لمال غيركما وإن كان من دينكما، قيدا العلم بأسوار الجماعة، وكبلا المستقبل بخيوط لا يتحكم فيها سواكما.

أحنى كل منهما رأسه بتبجيل وقالا في نفس اللحظة:

- سنفعل أيها السيد العظيم.

زادت النيران في جنونها لتتحول إلى الأحمر الملتهب الممزوج بالأزرق، ثم زاد الصوت بغضب ومقت غريب:

- إنه هنا!

نظر حيرام إلى الملك بدون فهم وقبل أن يسأل أي منهما اختفت النيران مرة واحدة.

ظل كل منهما في مكانه للحظات وهما ينظران إلى بعضها البعض ثم نهضا ووقفا في مقابل بعضهما لتوانٍ في زاوية صعب على هشام رؤيتهما فيها بدقة ثم خرجا بعدها دون أن يتبادلا كلمة واحدة.

قبل أن يخرجا تمامًا من المكان لمح هشام في يد الملك هيردوس سوارًا غريبًا ذهبي اللون به فص أسود أشبه بقطع الحجر الساقط فعلم أن دوره هو الحصول عليه، لكن ما كان يدور في عقله سؤال آخر: "كيف يُسرق سوار من ملك؟!".

نهض ومط جسده وفكر في طريقة، لكنه وجد نفسه في غرفة نوم واسعة للغاية، مظلمة إلا من شمعة في نهايتها قرب نافذة تطل على ظلام الليل والقمر يزين المكان بشكل خجول انعكس ضوؤه على جسد الملك هيردوس الذي يرقد على السرير مرتديًا ملابس حريرية سوداء، وبجانبه كأس من الخمر الأحمر لم ينتهِ نصفه، وجارية سمراء عارية جسدها تفترش المكان بجانبه.

اقترب منه بهدوء وعدل من وضع عباءته ورأى يد الملك ممدة خارج الغطاء الأسود من الريش وبها السوار. الآن أصبح الوضع أكثر صعوبة لأنه لن يقدر على نزعه بدون أن يستيقظ!

اقترب من الجسد المسجّى بحذر أكثر، ولكنه توقف حين بدأت الفتاة بجواره في الاستدارة والتململ على السرير الوثير. أحنى رأسه وجسده ببطء ومد قدمه، واحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى يد الملك وقبل أن يمد يده ويحاول نزع السوار فُتح الباب فجأة!

***

(قشمين والحجر الساقط)

اصطفت آلاف المخلوقات على الجهة الأخرى من المياه الملعونة التي تطلّ على المملكة المنكوبة، يتقدمهم قشمين على ظهر حيوان مخيف مزيج من الضبع وأجنحة النسر الضخمة بأطراف حديدية حادة كفيلة بقتل أي مخلوق، فيما وقف بجانبه قادة جيشه؛ اثنان من البشر واثنان من المسوخ بهيئتهما الشيطانية.

كان وجه أحدهما مليئا بندبات طويلة وعرضية محفورة في جلده الثخين، واختاره قشمين لأن قبيلة هذا المخلوق معروفة بالوحشية والقوة وجلدهم الذي لا يخترقه سهم أو سيف إلا بضربة قوية للغاية وقد تكون كافية لجرحه فقط.

أما المخلوق الآخر فكان بفم عريض، وفي ظهره تخرج بعض الممصات الرفيعة للغاية وكأنه إخطبوط بري، وكل ممص فيهم قادر على قتل رجل بالغ بضربة منه؛ لأن جسد المسخ يفرز سمومًا فتاكة.

المشكلة أمام قشمين هي عبور المياه الملعونة والمليئة بآلاف الجثث التي قتلت أصحابها الشمس الساقطة. جيشه لن يكون قادرًا على السباحة وليس أمامه سوى السير بمحازاة المياه حتى الوصول إلى النقطة الوحيدة الضيقة التي تصل بين الضفتين وهذه المنطقة تحديدًا يخشاها؛ لأنها الموقع الذي عثر فيه على الحجر الساقط.

فكر، أن تلك المنطقة يوجد طاقة قوية للغاية شعر بها حين أرسل حراسه لجلب الحجر، بعث أكثر من ألف جندي وعاد 3 فقط والباقي قُتل بشكل غير مفهوم، ولكن الناجين تحدثوا عن قوى غير طبيعية في المكان وألاعيب ملعونة يعرف أن سحر الحراس خلقها؛ لأنهم أرادوا منع وصول إلى شخص إلى موقع الحجر.

استمر في السير ولا زال عقله يفكر، لا بديل أمامه سوى أن يذهب عبر تلك النقطة، ولكن عليه أن يضحي أولًا بالمخلوقات الأضعف وتكون في المقدمة لاستقبال أي هجوم من الحراس الذين يعلم أنهم في المكان، وأيضًا لدراسة إمكانات تلك القوى.

رفع يده اليمنى إلى الأعلى وأشار إلى محازاة المياه ثم تحرك بمخلوقه الوحشي ذو الحوافر السوداء الضخمة، وخلفه جيشه يتحرك برتابة ونظام.

خلال الرحلة التي استمرت أكثر من 4 ساعات كان يفكر فيما يشعر به منذ أن حصل على الحجر الساقط، كان قبلها ملكًا عاديًا لا يريد سطوة أو سيطرة، ولكنه تحول بعد ذلك إلى مخلوق لا يخاف وكل ما يريده هو التدمير وإركاع البشر والحراس.

تذكر الأحلام الغريبة التي كان يرى نفسه فيها داخل شكل بيضاوي أسود يحاول التحرر فلا يفلح ثم الصوت الذي يدوّي في أذنيه بهسيس مخيف "أنت ملكي، وسنحكم سويًا" الأحلام تكررت كثيرًا، وكلما حاول في البداية أن يتخلص من الحجر الساقط بوضعه في خزانة المملكة راودته الأحلام بصوت غاضب يأمره بتحرير الحجر. "القوة لا تُحبس" هكذا كان يأمره الصوت فينهض ويصرخ ويأمر بإحضار "الأسود".

ظل على نفس الوضع لأشهر حتى بدأ يألف تغير روحه وجسده، بدأ يشعر بالقوة تزداد داخله، أصبح قاسيًا وتغير جسده بشكل أكبر وزاد الظلام داخله حتى إنه أتى إليه أحد يشكوه من قوي أمر بإعدامه؛ لأنه لا يريد ضعفاء في مملكته!

حتى زوجته قتلها!

قطع رأسها لأنها حاولت تحذيره من الحجر وطلبت التخلص منه لكنه لم ينفذ.

قتلها لأنها خائنة وبعثت رسالة إلى مملكة الوادي تحذر من التغيرات في شخصية قشمين وكشفت لهم أنه جلب الحجر الساقط. من حينها وهو يصارع الزمن للحصول على القوة الكاملة من الحجر وطرأت له فكرة أن يحضر جميع السحرة ويضحي بأرواحهم ويحصل على قوتهم وهو ما فعله في نفس الوقت الذي جاء فيه حارس جوف الأرض ليحاربه ويأخذ منه الحجر.

من حسن حظه أنه هزم رفيسول في المعركة الفردية التي دعاه إليها، استعان بالسحر مقابل القوة الجسمانية لحارس جوف الأرض ثم حبسه في سجن لن يُفتح إلا بعد آلاف السنين حين تضعف جدرانه من أثر الزمن.

استمر جيش قشمين واقترب من النقطة المختارة لدخول المملكة المنكوبة، وهو لا يزال يفكر. كان حبس رفيسول مكسبًا؛ لأن قشمين يعلم جيدًا بحكم المعرفة التي حصل عليها أن قوة الحجر الساقط فقط هي الكفيلة بقتله أو قوة أخرى مضادة لها وهي قوة الحارس الأعظم وهو حارس تحدثت عنه أساطير ماضية، ويقال إنه يجمع قوة جميع الحراس.

عرف قشمين من داخله أن دخوله في حرب مع الحراس ستنتهي إما بفوزه الكاسح أو خسارته، وحينها أقصى ما يمكنهم فعله هو حبسه؛ لأن طاقة الحجر الساقط تحميه. يمكن حبسه فقط وحينها سيخرج ولو طال الزمان. لكنه رغم ذلك لن يسمح للقدر أن يقف بجانبهم. يمكنه الانتصار عليهم ببعض الجهد والمشقة ثم حبسهم في مكان آخر حتى لا يجتمعوا مع رفيسول وتجتمع قواهم ضده.

***

(حيرام)

استدار هشام بسرعة وانتفض من الخوف وتسارعت دقات قلبه بعد أن وجد أمامه حيرام وحوله أكثر من 6 جنود شاهرين سيوف الموت، وقبل أن يستوعب ما حدث شاهد الملك اعتدل في نومه وجلس أمامه ونظر أمامه بسخرية.

قال حيرام بنبرته الماكرة وهو يجز على أسنانه:

- أنت من حذرنا منه السيد. وتابع باشمئزاز: فتى ضعيف!

لم يرد هشام بعد أن ألجمت الصدمة لسانه، لكنه حاول التماسك ومقابلة حديث حيرام بنظرة متحدية.

اقترب المستشار أكثر من هشام ورفع عصا كان يمسكها في يده وقال متسائلًا:

- هل تبحث عن هذه؟!

تمعن هشام في العصا. في أعلاها جزء الحجر الساقط!

أعاد النظر إلى سوار الملك، فيما أضاف حيرام بانتصار وكأنه أسقط فريسته في فخ لا فكاك منه:

علمت أنك قادم، حذرنا السيد من ضياع هذا الكنز منذ وصوله إلينا؛ ولهذا صنعت منه شبيهًا ووضعته في سوار الملك.

وتابع بفخر:

سيدي تعمد أن يظهر سواره وهو خارج من المذبح العظيم حتى تراه إن كنت تشاهدنا وتأتي ثم نوقع بك.

ثم نظر إلى الملك وقال بمجاملة مفضوحة:

أليس الملك عبقريًا؟!

ابتسم الملك بزهو بالغ، فيما استيقظت الجارية بجواره مذعورة من المشهد ونظر إليها المستشار باشمئزاز دفعها لالتقاط ملابسها الملقاة على الأرض بجوار السرير وخرجت بسرعة وانحنت بإجلال أمام الملك الذي تابعها بنظرات ساخنة حتى خرجت ثم عاد بنظره إلى هشام وقال بنبرة آمرة إلى الجنود:

- القوه في السجن حتى أنظر في أمره ونعلم سره.

تراجع هشام بظهره لا يدري ما يفعل. هل يقاوم أم يستسلم؟ وقبل أن يفكر شعر بالندبة خلف عنقه تزداد حرارة ما جعل صرخة تخرج منه وانحنى على الأرض من الألم وأمسك عنقه بشدة وسط نظرات متعجبة وذعر من الملك جعله يتراجع إلى الجانب الآخر من السرير.

صرخ الملك في الجنود بخوف:

اقبضوا عليه الآن.

تحرك الجنود من فورهم وقبل اقترابهم من هشام شعر بجسده يزداد حرارة. مد يده وأخرج الخنجر من خلف ظهره وشهره في وجوههم.

توقف الألم ولكنه شعر وكأن جسده عبارة عن طاقة خالصة جعلته ينقض على الملك وقفز على السرير بخطوة واحدة وأمسك عنقه ووضع الخنجر أسفله وصرخ فيهم مهددًا:

- ألقوا الأسلحة فورًا!

لم يفهم أحد منهم ما قاله هشام؛ لأنه تحدث بالعربية ولكنهم فهموا أنه سيقتل ملكهم إن تحرك أحد. نظروا إلى حيرام الذي كان ذهنه مشغولًا في معادلة من نوع آخر، لن يسمح لهشام بقتل الملك؛ لأن المنظمة لا زالت في بدايتها، وإن مات مؤسسها ماتت في مهدها، خاصةً وأنه لم يعلن بعدُ عن آلية اختيار من يخلفه، أما إن ترك هشام ففي جميع الأحوال هو محاصر، ومهما طال الوقت لن يستطيع الهرب من المكان المكتظ بالحرس.

هشام بدوره كان يفكر في شيء آخر. يعلم أنه سيعود إلى زمنه في حالة واحدة فقط وهي أن يحصل على العصا وهي تجربة اكتسبها بعد الحصول على أجزاء الحجر الساقط. لكن في الوقت نفسه من داخله يريد أن يقتل الملك؛ لأن تنظيمه سيكون أساس كل الكوارث المستقبلية، وإن فعل سيجد السيوف المشهورة تمزق جسده لأنه قتل ملكهم!

العباءة!

فكر فيها ونظر إليهم لتقابله عيون مترقبة لردة فعله.

ابتسم بسخرية إلى حيرام الذي لم يجد سببًا لابتسامة هشام، ثم ردد كلمات محفوظة دفع بها بعض الأمراض القاتلة إلى جسد الملك، ثم فكر في طريقة للوصول إلى المستشار قبل أن يضربه سيف قاتل.

الأفضل أن يساوم. هكذا استنتج.

- أعطني العصا وإلا قتلته! قالها وقرب الخنجر أكثر من عنق الملك الذي نظر برجاء إلى

مستشاره لإنقاذ حياته لكن حيرام لا يدري هل يفعلها أم لا.

في المقابل، لم يترك هشام فرصة لحيرام لمزيد من التفكير؛ لأنه بدأ دس الخنجر بشكل أقوى وسال خيط رفيع من الدم من عنق الملك.

نظر الحراس إلى بعضهم البعض وإلى حيرام الذي يعلم أن الملك وبني إسرائيل لن يسامحوه إن ترك الملك يُقتل مقابل عصا!

- ها هي!

مد المستشار يده إلى الأمام بالعصا، ولكن طلب من هشام أن يلقيها على السرير ففعل حيرام بغيظ.

اقترب هشام من العصا وجر الملك من عنقه بالخنجر، وقبل أن يمد يده للحصول عليها بدأ يردد كلمات المرض مرة أخرى وشعر وكأن العباءة ترتجف على جسده وارتجف جسد الملك معها، ثم هدأ الوضع وسط نظرات مذعورة من حيرام الذي لم يفهم ما يحدث.

نظر إليهم هشام بسخرية وقال بالعربية:

- هزمتكم الآن وسنهزمكم في المستقبل، تذكر ذلك جيدًا. ثم لمس العصا ودفع الملك بقوة إلى السرير جعلته يسقط فوقه طريحًا.

وتابع وهو يبصق عليهم: سأجعل ملككم يعيش أسوأ كوابيسه مع المرض. مع لمس الحجر الساقط أعلى العصا اختفى كل شيء تمامًا، وشعر هشام بحرارة في جسده تزيد ووجد نفسه ممسكًا باب المايكروباص.

الأرض تدور من حوله وصوت السائق دوّى في أذنه بقلق:

- هل أنت بخير يا أستاذ؟!

استوعب الوضع بسرعة واستكمل صعود المايكروباص ولهث بسرعة من التوتر: أنا بخير.. دارت الأرض فقط تحتي ولكني بخير!

***

(حرب السحرة)

استمر دخول جيش قشمين أكثر من ساعة حتى وقفت الصفوف، وفي مقدمتهم المخلوقات الأضعف بينهم والذين بدءوا التحرك إلى الأمام برتابة وبطء بأمر من الملك.

المنطقة مستوية تمامًا، وأثر الرماد الأسود على الجدران واضح من النيران التي حدثت بعد سقوط الحجر. وعلى بُعد كيلو مترات يوجد منازل بطابق واحد ووسطها أنقاض معبد الإله ثم جبل ضخم في النهاية خلفه الأسوار التي تفصل المكان عن مملكة الوادي، أي أن قشمين لو انتصر على الحراس هنا سيدمر الأسوار ثم يهاجم المملكة الأخيرة، وبعدها يعود إلى نيرفا ويقضي عليها وبهذا تسقط جميع ممالك الوادي في قبضة يده. هذه كانت خطته.

ارتسمت ابتسامة واثقة على فمه وتحرك ببطء وهو يسرح في خطته الناجحة، حتى اقترب من البيوت وبدأت صفوف المخلوقات في الانضمام إلى بعضها البعض للمرور.

في منتصف الطريق هبت رياح ساخنة فجأة أثارت الذعر بين الصفوف ولفحت جانب وجه قشمين الذي جز على أسنانه بغضب؛ لأنه يعلم أن الهواء الساخن يعني أن هناك طاقة كبيرة تستعد للحضور!

لم تمر ثوانٍ حتى بدأت الأرض تتشقق بسرعة وخرجت أيادٍ من الشقوق أمسكت أقدام الجنود وأسقطت بعضهم بين الصخور بسرعة. تعالى الصراخ وتصاعد صوت استلال السيوف والأسلحة، فيما صرخ قشمين وهو يشاهد أحد قادة جيشه البشري يسقط: "إلى جوانب البيوت، أطلقوا السهام على الأرض".

تعالى صوت فحيح غاضب مع ضرب الأسهم على الأيادي المشعرة السوداء التي خرجت من الأرض، ثم بدأت تتراجع وهدأ المكان لدقائق.

نظر قشمين حوله ووجد أنه خسر العشرات في ضربة واحدة، ثم نظر إلى البيوت ولمح بعض الظلال تتحرك بسرعة بينها وتختفي.

صرخ في جيشه: "تفرقوا وفتشوا البيوت".

ركضت مخلوقات جوف الأرض بسرعة كل 10 مسوخ كانوا سويًا لتفتيش البيوت وتصاعد صوت صراخ بعض أشباه البشر المختبئين وهم يُقتلون على أيدي مخلوقات قشمين، ثم تعالى صراخ آخر من جنود الملك؛ ما دفع قشمين للطيران بالمخلوق الذي يمتطيه إلى أعلى البيوت. نظر من سقف المنازل المكسورة ورأى ظلالًا غريبة تحيط بمخلوقاته وتعصرها بقوة ثم تتركها جثة هامدة.

أمر جنوده وهو لا زال يحوم حول المكان: أشعلوا النار في البيوت وتجمعوا في المنتصف.

دقائق وبدأت نيران مستعرة تأكل في البيوت، فيما ابتسم قشمين واثقًا وهو يعلم أن سحر الظلال لا يقابله إلا النيران، سحر مظلم كفيل بصنع طاقة تمتص الحياة من الأحياء.

استمرت النيران في التهام المنازل وتصاعدت رائحة شواء مقززة في المكان مع أدخنة حجبت الشمس، ثم ظهرت كرة ضخمة من النيران اقتربت بسرعة من المسوخ الذين تجمعوا في المنتصف فتفرقوا وهم يتفادون لهيبها ولكنهم سقطوا في فخ من نوع آخر!

من ذهب إلى الجانبين للاحتماء تفاجأ بظهور دوائر سوداء على الجدران انطلقت منها رؤوس سوداء بشعة ضخمة تضحك بصوت مخيف انقضت على الرؤوس والأذرع واقتلعتها بسرعة، ثم عادت إلى الجدران واختفت الدوائر ثم ظهرت ثانية وخرجت الرؤوس تقتلع أجزاء المسوخ. هكذا عدة مرات. تظهر ثم تختفي حتى أطلق قشمين صرخة غاضبة عالية وانقض بالحيوان الذي يعتليه وضرب بجناحيه الجدران لتتساقط بصوت مدوٍ، وقتل في طريقه العشرات من مسوخ جيشه ولكنه لم يبالِ.

مرت كرة النار حتى وصلت إلى حافة المياه الملعونة ثم اختفت وكأنها لم تكن!

"الملاعين، كانت وهمًا" قالها قشمين بغضب لا حد له وهبط بحيوانه المفترس وسط جيشه وأمرهم بالاستعداد لأي مفاجآت قد تحدث.

أمامهم دقائق فقط من السير حتى يخرج من موقع الحجر الساقط وينتهي تأثير القوى الغريبة التي تركها الحراس، وعليه أن يفعل ذلك سريعًا قبل أن ينال المزيد من الخسائر.

***

(الزوريان)

انطلق السائق بالمايكروباص، فيما فتح هشام قبضة يده اليسرى ونظر فيها ووجد قطعة الحجر الساقط ولكنه لم يجد العصا. وكأن مسار الحياة يفاجئه مجددًا!

ارتج المايكروباص ثانية بشكل مفاجئ ثم انقلب كل شيء بغتة!

شعر الجميع بارتطام ضخم في الجهة اليسرى للسيارة، وصرخ السائق فجأة وحاول أن يسيطر على المايكروباص؛ حتى لا ينقلب من قوة الدفعة، وتعالى الصراخ من الرجل الجالس بجانبه والسيدة المسنة معه والتي ازرقّ وجهها من الخوف وكأنها ستصاب بنوبة قلبية.

توقف السائق وسط أصوات التنبيه التي تعالت من السيارات المارة بجانبه، وتوقف البعض للشجار مع السائق معتقدين أنه جُن، لكن هشام كان يعلم أنه بريء؛ لأن هناك شيئًا بالفعل اصطدم بالسيارة من الجانب وكاد أن يقلبها.

نظر خلفه ووجد ظلًا أسود ضخمًا أشبه بقرد متوحش وقف وراء المايكروباص يستعد للانقضاض مرة أخرى عليه وقلبه. رآه هشام بعد أن أصبح قادرًا على رؤية مخلوقات جوف الأرض بسبب حصوله على الأحجار.

المخلوق أمامه يطلق عليه "الزوريان" وهو يعيش في جوف الأرض الثالثة، عدواني وشرس، محب للتدمير، ويعيش ضمن قبائل تتكون من عشرات المخلوقات مثله ويتغذى على الجيف.

بالتأكيد تحرر ضمن الجيش الذي بدأ الخروج تمهيدًا لفك سجن قشمين.

طرأ الحل في عقله. يجب أن يرى المخلوق ما يخيفه وتُتلى عليه كلمات تجعله يفقد طاقة التدمير ويصبح وديعًا، وبعدها سيعود من تلقاء نفسه يسكن في المناطق المظلمة أو إلى جوف الأرض.

تحسس هشام جسده باحثًا عن الرداء لتجربة أن يتحول إلى مخلوق آخر كما فعل والده ولكن لم يجده!

عليه التصرف بسرعة، بحث في عقله عن ما يخيف هذا المخلوق فوجد الضوء!

الزوريان لا يظهر إلا في الظلام ويخاف من الأنوار، ولهذا جُنّ جنونه من ضوء السيارات التي مرت حوله. أخرج الخنجر وألقى عليه بعض الطلاسم وهو يضع حافته الحادة على شفتيه، ثم جرح إصبعه جرحًا صغيرًا بالكاد أخرج قطرات من الدم ثم وجه السلاح تجاه

المخلوق.

ظهرت فجأة كرة مضيئة في المكان انفجرت بضوء باهر أغشت الأبصار امتزجت بصراخ البشر الخائفين ثم اختفت فجأة.

دقق هشام في المكان باحثا عن المخلوق لكن لم يجد له أي أثر اطمأن ونزل بسرعة من السيارة وتخطى الزحام الذي حدث بسبب الحادث الغريب حتى وصل إلى سيارة أخرى ركبها بسرعة عائدا إلى بيته.

***

(رمال الموت)

اقترب خروج قشمين ومن تبقى معه من المنطقة الملعونة، وأشار الملك بيده إلى جيشه ليتوقف بعد أن شاهد أمامه رمالًا صفراء ناعمة تفترش المكان وعليهم المرور عبرها إجبارًا.

شعر من داخله أن هناك خديعة ما، لكنه لا يقدر على التوقف، أمر بإشهار الأسلحة قبل المرور مع إمساك كل مخلوق بطرف مسخ آخر؛ حتى لا تبتلعهم الرمال. بالتأكيد الخدعة تخص ابتلاع الرمال لأنه قابل سابقًا رمالًا كهذه وشاهدها تبتلع رجالًا فجأة.

اقتربت المسوخ ببطء وهم يزمجرون في غضب يترقبون براثن الموت التي ستنطلق لتقتنص أرواحهم، ومدوا أقدامهم في الرمال التي وصلت إلى ركبتهم تقريبًا ثم تحركوا بصعوبة وسطها. تبقى منهم أكثر من ألف مخلوق بقليل. مروا ببطء بالغ وهم يحسبون كل خطوة إلى الأمام، وقشمين يراقبهم ينتظر أن تقع كارثة ما، ولكن لم يحدث أي شيء، ولكن لماذا؟! تعجب من داخله وهو يفكر.

"انتظروا" قالها بصوت عالٍ. التفتت المخلوقات إليه وأشار إليهم وصرخ بغضب: "ارجعوا الآن، تراجعوا بسرعة". قبل أن يستوعب أحد منهم ما قال، ارتفعت الرمال فجأة إلى الأعلى بسرعة ثم سقطت عليهم بقوة بالغة وكأنها أسهم متطايرة اخترقت العيون والأجساد ودفنت أسفلها المخلوقات إلا عشرات كانوا في نهاية الصف وتراجعوا بأمر قشمين في اللحظة الأخيرة!

عاااااااااااااااااااااااا!!.. صرخ قشمين وجحيم الغضب يحرقه من الداخل بعد أن رأى جيشه ينهار أمام ناظريه قبل أن يواجه الحراس. تدمر كل شيء بخديعة وضعوها للتخلص من جيشه قبل أن يصل إليهم، يريدون أن يواجهوه بمفرده، وهو ما سيحدث لأن العشرات فقط هم من تبقوا من آلاف جيشه. عشرات لن يقدروا على التصدي للحراس أو حتى البشر!

أمر الثلة المتبقية من جيشه بالحضور والالتفاف حوله في دائرة، فيما أمر المسخ ذو الجلد الثخين أن يقترب أمامه ويقف منحني الرأس ففعل دون تردد. أخرج قشمين سيفه فجأة وقطع رأس قائد جيشه الأخير، ثم أمسك رأسه وأغرق جسده بالدماء، فيما بدأت المخلوقات المتبقية في الصراخ ومحاولة الهرب إلا أن الحيوان الذي يمتطيه قشمين ضرب بأجنحته القاتلة لتتناثر الأشلاء والملك يتمتم بطلاسم الحماية من سحر الحراس حتى تحركت الرمال أمامه وتموجت واهتزت وكأن هناك مخلوقات تسير أسفلها إلى أن هدأ كل شيء.

نظر قشمين حوله ولم يجد أحدًا سوى مخلوقات جريحة على الأرض نظر إليهم وقال

بغضب: "ضعفاااااااء" ثم أخرج سيفه وبدأ قطع رؤوس جنوده الجرحى ليخرج شحنة الغضب داخله حتى هدأ بعد دقائق. ركع على الأرض وبدأ يلهث بصوت مسموع لبعض الوقت ثم رفع رأسه ونظر إلى الجهة الأخرى من الرمال ووجد أمامه الحراس.

***

(صابر)

سكن الظلام جنبات الشارع، إلا من بعض الضوء الهادئ الذي بعثه القمر ليبين ملامح المكان الذي امتزج فيه أصالة المعمار القديم بالحديث. أمام هشام بضع دقائق من السير ويصل إلى بيته، استغلهم في تدبر حاله وما وصل إليه. هو الذي كان يخاف دائمًا من المواجهة وكان ضعيف الشخصية كثيرًا، تغيرت حياته وصار إنسانًا آخر لا يهاب إلا الله.

شعر بألم حارق في رقبته من الخلف مكان الندبة التي وجدها ظهرت مرة واحدة فتحسسها بيده ووجدها حارة، وكأن هذا الجزء من جسده أصابته الحمى دون باقي البدن. ندبة طويلة محفورة شعر بها ولا يدري سرها بعد، ولكنه سيعلم بالتأكيد فلكل شيء سبب.

تبقت ثوانٍ ويصل إلى بيته ويصعد ليرى هذه الندبة، ولكنه يتمنى ألا يجد المزيد من المفاجآت في انتظاره، وفي الوقت نفسه يأمل أن يجد مروان موجودًا في الأعلى ونجحت ذئاب رفيسول في إنقاذه.

مع خطواته شعر بهواء ساخن حوله دفعه للتوقف.. فكر في الركض إلى البيت الذي أصبح أمام بصره، ولكنه لا يريد أن يوتر نفسه بأي حركة قد تجعله يسقط في فخ أوهام صنيعة عقله.

شعر أن هناك من يراقبه. نظر خلفه لكنه لم يجد أي شيء، مجرد أضواء السيارات المارة في الطريق بالجهة الأخرى. أحس أن هناك من ينظر إليه مباشرة أمامه التفت بسرعة لكن لم يجد أي شيء أيضًا!

بدأ التوتر يسقط قلاع ثباته حتى إنه بدأ الالتفات حول نفسه مع شعور يزداد بأن هناك آلاف الأعين تتلصص عليه الآن، تتحرش بعقله، تحيط به، أصبح يعرف أن هناك مئات الكائنات غير المرئية تعيش حول البشر، لكنه هذه المرة يحس أنه محاصر منهم تمامًا.

maktabbah.blogspot.com

لا يعلم لماذا لم يرَ المخلوقات هذه المرة؟! ربما لأنها ليست من جوف الأرض بل من عالمنا نفسه ولكنها خفية. توقع هشام هذا وبدأ يتلو كلمات الكشف، وبالفعل ظهرت بعض الأشكال الباهتة حوله ثم زادت هيئتها وضوحًا.

رأى مئات الكائنات تحاصره، مسوخ تتقافز حوله على أربع بأعين واحدة، تدور حوله وكأنها تتشممه، تقترب منه ثم تبتعد وكأنها ضباع محمومة تتفحص فريستها قبل الفتك بها.

ضباع تنتظر أمرًا ما ربما لقتله أو تشويهه. هكذا ظن.

سار ببطء وأخرج خنجره بحرص بالغ فربما كان هناك من يقف في الشرفة أو نافذة ويراه

وهو يسير بهذا السلاح ويقدم بلاغًا إلى الشرطة فيسقط في شرك جديد هو في غنى عنه.

يبدو أن الكائنات تعلم جيدًا قوة السلاح؛ لأنها بدأت تفك من حوله دائرة الحصار.

اقترب أكثر من البيت ووجد أمامه مسخًا ضخمًا يقف على أربع نظر إليه بتحدٍ، جسده أبيض تمامًا وأعلى رأسه 3 خصلات من الشعر الطويل، وصدره عريض مليء بالعضلات، وأقدامه مخلبية مليئة بالشعر الأسود الشبيه بشعر الضباع!

وقف ونظر إليه بتحدٍ. اقترب منه هشام أكثر وأظهر خنجره علّه يُخيف به المسخ، ولكن يبدو أنه لا يخاف؛ لأنه بدأ يكشف عن أنيابه الحادة بوجهه الشبيه بالبشر وعينيه الطوليتين.

تسارعت خطواته واقترب هشام أكثر من المخلوق ورفع الخنجر، ولكنه توقف فجأة حين سمع صوتًا يأتي من خلفه.. صوت والده!

"توقف يا هشام".. دوي الصوت في عقله. استدار ووجد والده واقفًا أمامه والظلام يحيط به وبقية المخلوقات وكأنها تحرسه. قال بذهول: "أبي!".

أخفض خنجره قليلًا من الصدمة وقابله رد أبيه الآمر:

لا وقت يا هشام، عليك الحصول على القطعة الأخيرة من الحجر الساقط. هؤلاء أتباعي وانشقوا عن قشمين ويسكنون عالمنا، وسيحرسون المكان حتى تنتهي مهمتك.

أعاد هشام نظره إلى المخلوقات والمسخ الأبيض الذي تنحى جانبًا، فيما دخل وخلفه والده إلى مدخل البيت وضغط زر الإضاءة وانبعث ضوء أصفر من مصباح معلق في المنتصف وأمامه كان شخص يتمنى أن يراه؛ مروان.

انفرجت أسارير هشام واتجه إلى مروان بسرعة واحتضنه، لكنه بمجرد ملامسة جسد صديقه تعجب؛ لأنه كان بدون حميمية أو مشاعر!

كان مروان بارذا في المشاعر تمامًا. تركه هشام ونظر إليه ووجد عينيه تحملان بريقًا غريبًا، ثم أشار صديقه إلى باب الشقة المواجه له، نفس الشقة التي أغلقها والده قبل أسبوعين!

ماذا فيها يا مروان؟ وماذا بك؟! هل أنت بخير؟ سأله هشام واتجه والده إلى الشقة التي أشار إليها صديق ابنه ووجد الباب مفتوحًا.

نظر وليد إلى ابنه وقال: هل فتحت الباب قبل رحيلك؟ أخرج هشام خنجره وأجاب بحسم: "لا" ثم دفع الباب وتصاعد صريره ووجد أمامه في الداخل ما جعل روحه تنفض!

صابر صاحب محل المجوهرات. كان جالسًا على كرسي من الخشب ممزق جسده وعلى وجهه دماء وأسفله علامات متقاطعة، مزيج من المربعات والدوائر مقسمة وداخلها كلمات ورموز، ومادة زيتية سوداء ترسم حدودها!

مقتول!

طلاسم الخروج، يعلم ذلك لأن المعرفة الآن بدأت تظهر في عقله أولًا بأول كلما واجه شيئًا غريبًا.

هذه طلاسم تضحية بالروح لتسهيل خروج قشمين. قالها والده وتلفت هشام حوله لكن لا يوجد في الشقة سوى الصالة التي بها صابر وغرفتين؛ واحدة منهما مغلقة بالقفل، ويعلم أن بداخلها أثاثًا قديمًا، وأخرى بابها شبه مفتوح أمامه!

اتجه إليها وأشار إلى والده بالانتظار؛ فهو لا يريد المجازفة بإصابته بأذى ودفع الباب ودخل.

وجد هشام نفسه في قاعة حوائطها ملساء بيضاء لونها تبعث الراحة على النفس، وفي الأعلى هناك بعض المصابيح غريبة الهيئة التي تبدو مثل الحشرات، لكنها مواد جيلاتينية تتحرك ببطء في السقف وتبعث أضواء تنير المكان!

ما هذا؟!

سمع هشام صوت والده خلفه فالتفت بخوف؛ لأنها المرة الأولى التي يجد أحدًا معه وهو يحصل على الحجر!

- لا أعلم يا أبي، ولكن كيف دخلت معي؟!

رد وليد:

- لا أعرف لكن بالتأكيد هناك سبب لذلك!

نظر هشام حوله لكن لم يجد سوى الظلام الحالك، وهناك شخص جلس أمامه مباشرة أعطى لهما ظهره وأعلى الكرسي الحديدي وعلى مقبضيه هناك رؤوس حيوانات صغيرة ودقيقة.

اقترب هشام من خلف الرجل ببطء حذر، فيما بدأ والده تفحص المكان.

استدار الكرسي ببطء ووجد هشام شخصًا لم يتوقع وجوده.

التابع!

"مرحبًا بالمختار في نهاية الرحلة، مرحبًا بمن سيعيد مسار الحياة إلى صوابه".

سمع هشام الجملة ورد عليها بذهول:

أنت التابع؟!

نهض الرجل وقال بهدوء:

بل حارس المسار، وأنتظرك منذ آلاف السنين.

تعجب هشام من الإجابة وسأل:

- لماذا؟! وأين نحن؟!

أشار التابع بأصابعه إلى الأعلى حيث المصابيح المضيئة أطلقت مشاهد انعكست على الظلام حوله وكأنه داخل فيلم. أظهرت لقطات تبين حروبًا وأطفالًا ونساء يبكين ورجالًا يُقتلون ومسوخًا تفترس البشر ولقطات أخرى عديدة لم يفهم هشام معناها.

تحدث التابع شارحًا:

- منذ القديم ودوري مرسوم بحماية هذا. ثم أشار إلى الخارج حيث ظهر ظلام دامس وأضاف: هذا مسار الحياة، وهو الشيء الذي لا يجوز لأحد أن يسيطر عليه أو يعلم عنه شيئًا إلا شخص واحد فقط قادر على الدخول والخروج منه لإتمام مهمته.

تدخل وليد وقال:

- من؟!

أجاب التابع ونظر إلى هشام:

- الحارس الأعظم.

***

(هشام.. وهشام)

ألقى حارس المسار كلمته واختفى كل شيء فجأة. وجد هشام نفسه يقف في شرفة شقته!

نظر حوله باستغراب وسمع أصوات قرآن تأتيه من الداخل، ثم نظر إلى الأسفل ووجد كائنات ضبابية تتشكل على هيئة كلاب!

نظر إليهم ووجد بعضهم يزمجر، ثم سمع صوت خطوات قادمة إلى الشرفة. دخل بسرعة واختبأ في الظلام نهاية الشرفة؛ حتى لا يراه القادم، ثوانٍ ودخل شخص ما!

هشام نفسه!

وجد نفسه يدخل ثم يشعل سيجارة ونظر إليه وصوب الكشاف نحوه، لكنه اختفى بغتة قبل أن يكشفه الضوء!

وجد هشام نفسه في شقته مرة أخرى وهناك صوت قادم من غرفته لشخص يئن. اتجه ناحية الغرفة وفتح بابها ووجد أمامه جسدًا ممددا نائمًا على الفراش يبدو أنه يحلم بكابوس، كان يرى نفسه مجددًا.

انتفض جسده على السرير ونهض مفزوعًا ونظر حوله، ويبدو أن نسخته شاهدته؛ لأنه أمسك القداحة وأشعلها بسرعة، فلم يدرِ هشام ما يفعل ولكنه انتهز فرصة أن لهب القداحة وصل إلى إصبعه وقبل أن يستوعب اختفى ثانية!

فكر أن هذا ما حدث معه بالضبط، يبدو أنه يمر ببداية كل الأحداث الغريبة لسبب ما، لكن هذه المرة كان في الخارج، في الصالة والشقة هادئة. سمع صوت تكة الباب لشخص سيفتح الآن. اختبأ بسرعة وشاهد نفسه مرة أخرى وهو يدخل الشقة، ولكن هذه المرة كان معه مروان.

بعدها وجد نفسه يمسك الباب حين حصل على الحجر الساقط الأول والخنجر وتوقف لثوانٍ. اقترب من نفسه أكثر ووجد ما يشبه ندبة صغيرة تتشكل في عنقه من الخلف بشكل لم يلاحظه مروان الواقف بجواره.

الندبة!

وجد نفسه يرى مشاهد عديدة لمراحل تجميع الحجر الساقط وعقب كل واحدة منهم رأى الندبة تزداد وسعًا ورمادية وكأنها تُشكل شيئًا ما خلف عنقه.

جميع المشاهد لم تستغرق ثواني وكأنها "فلاش باك" حتى وجد في النهاية نفسه يجلس أمام شخص لم يستوعب أن يلقاه.. أمام نفسه!

نفس الهيئة ولكن حوله هالة زرقاء تتصاعد إلى الأعلى، ابتسم له الشبيه وقال:

- لقد وصلنا إلى المرحلة الأخيرة، خضنا معاركنا سويًا حتى وصلنا أخيرًا.

اقترب هشام من شبيهه وقال بتعجب:

- أنت أنا!

مد شبيهه رأسه إلى الأمام وقال مؤكدًا على كلام هشام:

- نعم.

كان الوضع مستحيلًا بالنسبة إلى هشام الذي لم يقدر على استيعاب ما حدث، فردد:

- لكن هذا مستحيل!

ضحك شبيهه وقال مازحًا:

- ظننت أننا حذفنا تلك الجملة من قاموسنا، لكن لا يهم فأنا أعلم جيدًا أنك كنت ستقول ذلك، كما أنك ستقول الآن "كيف؟!".

- كيف؟!

ضحك شبيهه مجددًا وأشار بيده بانتصار وقال:

- أرأيت؟!

وتابع:

- سأوضح لك لا تقلق، كل قطعة من الحجر الساقط كانت تصنع منك شخصًا آخر غير ما كنته، صنعت منك هشام الذي سيعيد مسار الحياة إلى طريقه الصحيح، ولهذا كان عليه أن يحمل بصمة وقوة ليست موجودة لدى أحد، قوة جميع الحراس.

سأل هشام وقد بدأ يفهم:

- أنا القطعة الأخيرة، الحجر الأخير هو أنا!

أشار إليه الشبيه بإصبعه:

- بالضبط.

سأله هشام:

- وكيف أحدثك الآن؟!

أجاب:

- لأننا في المرحلة الأخيرة التي يواجهها المختار، مرحلة الاختيار.

ارتسم عدم الفهم على ملامح هشام وقال: "لا أفهم".

قال شبيهه:

- سأشرح لك، الآن بحصولنا على قطع الحجر الساقط أصبحت لنا القوة الكاملة، ولن أكذب لو قلت إننا أصبحنا نملك السيطرة، هل تتخيل يا هشام أننا يمكننا السيطرة على كافة مخلوقات العوالم؟ التحكم في مسار الحياة، العودة للماضي وتغيير المستقبل، حكم الأرض وجوفها، سحق قشمين ورفيسول بل والحراس كذلك؟!

ثم قبض شبيهه يده بقوة وأضاف بإغراء:

- لدينا القوة الكاملة يا هشام، ببساطة لن نعطي أجزاء الحجر الساقط لأحد، وسنفوز نحن بها ونواجه الجميع ونقضي عليهم، فقط اترك نفسك للقوة تحركك، وحينها لن تحتاج لأحد.

وأضاف بنبرة متحمسة:

سنكون أنصاف آلهة يا هشام.. هل تتخيل؟!

بلع هشام ريقه وفكر في حديث شبيهه وسأل:

- لكن الأرض ستتدمر بوجود قشمين لو سيطر على مقدرات البشر والعالم!

قاطعه شبيهه بسرعة:

- سنساومه إما أن نحكم أو نواجهه سويًا ونقضي عليه بقوة الحجر الساقط، سأقترح عليك شيئًا، سنجعل له ملكًا، قشمين يحصل على الأرض وأنت على جوف الأرض وتحرر باقي المخلوقات لتزيد سطوتك وقوتك.

ثم غمز بعينه وأضاف:

هل أعجبتك الفكرة؟

بدأ صوت هشام في الاقتناع بعض الشيء وقال مفكرًا:

- لكن الأرض ستتعرض لمذابح وحروب إن رفض قشمين، وبالتأكيد سيرفض؛ لأنه حبيس لآلاف السنين وينتظر تلك اللحظة، كم من ضحايا ستسقط بسبب طمعي!

هز شبيهه رأسه نافيًا:

- لن يحدث، وإن حدث فالأرض في جميع الأحوال في مراحلها الأخيرة، الموت يسود، والرعب يغشى الوجوه، القتل أصبح سنة والمعاصي أصبحت فرضًا على الجميع، الحروب ستستمر والأرض تنهار والطبيعة تغضب والمستقبل يثور، ولن يتوقف إلا بحرب شاملة تُبقي فقط الشجعان عليها وبعض القطعان الذين يسهل قيادتهم.

ألم تزَ تماثيل الشياطين والرموز حول العالم وهم يبجلونها في جميع الدول التي تسيطر على الدول الضعيفة؟! ألم تشاهد كمية المنظمات التي تدين بالولاء للشر، وكنيسة الشيطان التي يتبعها أكثر من 40 ألف شخص حول العالم؟! أم قلعة الشيطان في بلجيكا التي تضم في عاصمتها بروكسل مقر حلف الناتو والاتحاد والبرلمان الأوربي ومفوضية حقوق الإنسان؟! الشيطان يحكم يا صديقي ولكن في الخفاء، أما هؤلاء فهم شياطين العلن وأقل قسوة من الآخرين!

تعجب هشام وسأل شبيهه: كيف تعلم كل ذلك؟!

- لأني أنت، هذه المعرفة في رأسك ولكنك التقطت المعلومات وتركتها حتى تراكمت عليها المعارف التافهة فطمست معالمها ولم تعد تتذكرها.

دارت رأس هشام، وسأل:

- والمطلوب، كيف نسيطر نحن؟

اقتل حارس المسار فقط.

صعق هشام من الإجابة:

- لماذا؟!

اقترب منه شبيهه:

- حتى لا يقدر أحد على تغيير مسار الحياة ثانية أو يحاول تدميرنا.

صمت هشام للحظات وفكر في رحلته، الجميع حذره من تلك المرحلة، مواجهة النفس، ولكن هل الذي أمامه هو نفسه حقًا؟ أصبح لديه يقين بأنه المختار، ولكن لماذا طلب منه شبيهه أن يقتل حارس المسار؟! لماذا هذا الحارس تحديدًا؟ بالتأكيد عنده نقطة البداية

والنهاية.

ظل شاخصًا ببصره لأكثر من دقيقة وأمامه شبيهه ينتظر إجابته، ثم تذكر جملة ضربت عقله "السيد لا يريد أن يخسر ثانية". والده المختار الأول.. هو المختار الثاني!

"أقنعتني".

قالها هشام بسخرية ثم أضاف ووضع يده خلف عنقه ووجد قطعة صلبة تكونت في رقبته: لكني لا شبيه لي.

ثم ألقى كلمات الدمج وأخرج الخنجر وأسال دمه من ذراعه ومسح به عنقه ثم أغلق عينيه، وشعر بألم يصعق جسده دفعه لإطلاق صرخة قوية وكأنه يموت وكان آخر ما سمعه صرخة غاضبة من شبيهه.

***

(دم الملعون)

"أخطأت يا قشمين". قالها حارس النور وتخطى الملك الغاضب الرمال بحذر وقال بغرور:

- أنا لا أخطئ.

اقترب منه حارس المعرفة وقال: "قتلت وسفكت الدماء، وسيطر عليك الظلام، بعت روحك للملعون الذي خالف أمر الإله".

وقف قشمين أمام الحراس وقال بغضب والمقت يقطر من كلماته:

"أنتم من تخالفون أمر الإله، كان مسار الحياة مرسومًا بنصري، مزينًا بقوتي، كان القدر راكعًا لي لأصنع المستقبل الذي يليق ببني البشر".

قاطعه حارس النور:

"بل كان القدر يسير كما أراد الإله تمامًا، أعطى لك القوة لتكون عبرة، ثم خسرت جيشك لتتعلم، ثم ستموت لتصبح ماضيًا يتخذه المستقبل درسًا".

ضحك قشمين بتهكم وقال متحديًا:

"تعلمون أني لا أموت إلا بقوة الحجر الساقط فقط أو الحارس الأعظم، قوة الحراس مجتمعة، وأنتم اثنان، ولا زال هناك الحارس الأسود الذي لا أعلم أين ذهب وحارس المسار الذي لا يهمني الوصول إليه؛ لأنه لا يتدخل منذ آلاف السنين، وربما كان ميتًا وتعفنت جثته وأنتم لا تعلمون، أما رفيسول فمسجون في جوف الأرض بطلاسم لن تُفك إلا بعد آلاف السنين حتى ولو أمرت أنا؛ لأنه أصبح في سطوة مخلوقات لن تضحي بفريستها ببساطة.. إذن كيف سأموت؟

ثم دار حول نفسه وتفحص المكان:

ستسقطون ثم تسقط مملكة الوادي وبعدها المملكة الأخيرة، وسأكون حاكم الممالك كلها، سأضع قوانيني التي لن ترحم الضعيف، سأصنع بشرًا أقوياء كما يجب أن يكونوا، سأحكم جوف الأرض وسطحها.

ثم أشار إليهما وتابع: أما أنتما فسيكون مصيركما سجنًا لن ينتهي إلا بعد آلاف السنين كما بقية المخلوقات المنبوذة، كما رفيسول وذو العين الواحدة، كما جيوش نهاية الزمان التي ذكرتها النبوءة.

عقد حارس المعرفة يديه أمامه وقال:

"لن يكون مسار الحياة بهذا الشكل، القدر وضع سطوره وعلينا تحقيقها".

ثم فرد يديه فجأة واندلع منها ضوء أبيض أغشى بصر قشمين للوان، ثم سمع صوت فحيح غاضب في المكان، وشعر بشيء يطيح به إلى الخلف أسقطه أرضًا.

نهض بسرعة وأغلق عينيه ورفع جسده من على الأرض وفتحها لتصبح مقلتاه سوداوين، وأحاطت به هالة سوداء، ثم دفع يديه إلى الأمام وانطلقت دفعة من الضوء الأسود ضربت حارس المعرفة في صدره، ولكن حارس النور تدخل بعصاه وأطلق ضوءًا أبيض بعثر طاقة قشمين المظلمة.

تفرق الحارسان حول قشمين الذي بدأ يطلق طاقة سوداء تجاههما ولكنهما تفاديا ها بسرعة.

دار الملك حول نفسه وألقى كلمات الظلام فتكونت غمامة سوداء سقطت منها عقارب وثعابين بدأت تتحرك باتجاه الحارسين، إلا أن حارس النور تحرك بسرعة وتمتم بكلمات دفعت صخورًا من الأرض إلى الأعلى ثم سقطت على الزواحف وسحقت غالبيتها.

لم يترك لهما قشمين فرصة بل أشار إلى الأرض ورفع يديه الاثنتين إلى الأعلى؛ فخرجت من تحت الرمال كتل سوداء لزجة تشكلت على هيئة بشر. صوب حارس النور عصاه إلى المخلوقات واندلع منها نيران زرقاء طويلة دار بها حول نفسه وحارس المعرفة في ظهره ودمرت الكائنات اللزجة.

رفرف طائر الموت الخاص بقشمين وحاول التدخل إلا أن حارس المعرفة صنع سجنًا من الضوء الأزرق أحاط بالطائر جعله يطلق نواحًا، وحاول الفكاك منه دون جدوى.

نظر قشمين بغضب إلى حارس النور ولكن قبل أن يتحرك سمع صوت الحارس الآخر "الآن".

أخرج حارس النور فجأة خنجرًا معقوفًا أسود وأشار بعصاه فتحرك السلاح، وكأن له إرادة خاصة، وانطلق تجاه صدر قشمين الذي مد يديه وحاول إمساكه، ولكنه بمجرد أن لمسه شعر بنيران حارقة في يده فصرخ وضرب الخنجر صدره وانفرس في لحمه.

اقترب حارس النور أكثر من قشمين وتمتم بكلمات الاستحواذ وقال بغضب: أنت ملعون بدم الخطاء الأول، الخنجر فقط قادر على قتل كل شيء من نسله ودمه، علمت ذلك حين أحاط النور المقدس بطائرك المسخ.. لم يكن طائرًا عاديًا بل مبعوث سيد الظلام!".

صرخ قشمين وحاول إخراج الخنجر من صدره، ولكن كلما أمسك به شعر بنيران في يده

زادت ألمه:

أخرجه، أخرجه وسأفعل كل ما تريد. وتهدج صوته: سأستسلم ولكن أخرجه من داخلي.

اقترب حارس المعرفة ونظر إلى الآخر وقال:

"وحده الإله هو القادر على إنقاذ روحك"، ثم وقف مقابل رأسه وبجانبه حارس النور وأمسكا بيد بعضهما البعض، وأخذا يتمتمان بكلمات فتحت فجوة سوداء أسفل قشمين وأحاطت به لدقائق وكأنها تعصر جسده وجعلته يزيد من صراخ الألم، ثم تكونت أعلى رأسه قطعة من الحجر الأسود التقطها حارس النور بحرص، ثم وضع يده على رأس قشمين الذي حاول تفاديها بهز جسمه، ولكن الخنجر كان يسحب طاقته فلم يقدر.

تمتم بصوت خفيض ممزوج بالألم: "سأعود، طالما لم أمت سأعود، وحين أفعل لن يقدر أي أحد على إنقاذكم مني".

نظر حارس النور إلى حارس المعرفة ومد يده وأعطاه الحجر الساقط وقال بهدوء: "الآن افعلها!".

التقط حارس المعرفة الحجر ووضعه على الأرض ثم أغمض عينيه، فيما سأل قشمين وعلى وجهه إجهاد من محاولة إخراج الكلمات: "ماذا ستفعلون؟!".

ابتسم حارس النور وقال: "سنفتت الحجر، سنبعثره عبر الزمان لمختار واحد يجمع قوته حين يأتي الوقت، وحينها سيمتزج الحاضر بالماضي لننال الخلاص".

وتابع وهو يضغط على رأس قشمين: "الحراس لا يخسرون، بل يتبعون القدر، والقدر يقول: إنك ستموت هنا.. ستسجن لآلاف السنين ولكنك ستموت الآن".

لم يفهم قشمين العبارة، فيما أغمض الحارس عينيه وقال كلمات محفوظة عن ظهر قلب لفتح فجوة في الأرض وسجن الملك.

وكان آخر ما شاهده قشمين هو حارس المعرفة ينهي كلماته وتفتت الحجر الساقط أمامه إلى عدة قطع ثم اختفى كل شيء بغتة.

***

(التضحية الأخيرة)

وجد هشام نفسه جالسًا على الأرض ولا زالت صرخته تتردد في المكان. اختفى الألم بغتة ونهض وشعر من داخله بقوة غريبة تسري في جسده.

اقترب منه والده وسأل بلهفة:

- ماذا حدث؟!

التفت إليه هشام وقال ببطء:

- المرحلة الأخيرة!

اقترب منهما التابع وقال:

وخضتها بنجاح.

نظر إليه هشام وقال:

- لكن لديّ أمور أريد أن أفهمها، لماذا ماتت ملك وصابر؟

أجاب التابع:

- قشمين كان يحاول فتح ثغرة تقوده إلى الأرض عبر المكان الذي يتواجد فيه المختار؛ لانه أضعف نقطة تصل جوف الأرض بسطحها ويمكنه الولوج منها ببساطة مع جيشه، ولكن لفتح ثغرة فيها كان بحاجة إلى تضحيات بشرية من كل الأديان.

قال هشام:

- لهذا ماتوا!

كان يريد أن يصنع ثغرة كبيرة، صابر مسيحي وقتله صديقك مروان بعد أن سيطر عليه أحد مخلوقات قشمين. كما حاول سجين جوف الأرض قبلها أن يدفع الفتاة لقتلك في البداية فإن نجحت انتهى الأمر مبكرًا قبل أن تحصل على باقي أجزاء الحجر، وإن فشلت فدمها سيكون قربانًا لخروجه خاصةً وأن أصولها من عائلة يهودية، وهو ما حدث بانتحارها في النهاية.

سأل هشام بتعجب:

لكن لا يوجد تضحية مسلمة؟

قال التابع بهدوء:

- من قال ذلك؟ أمك كانت الأولى حين لفظت أنفاسها في المكان، ومن حينها بدأت الثغرة في التكوّن، والآن قشمين خرج في عالمك بشكل كامل وبدأ يعيث في الأرض فسادًا بجنوده.

أطرق هشام برأسه أرضًا وقال بحسرة: "إذن خسرت!".

اقترب منه والده وقال بهدوء وفي عقله تدور فكرة ما:

- لم تخسر، من البداية كنت تتهيأ لتلك اللحظة، منذ أن بدأت تواجه الغرائب والأحداث المخيفة في الشقة، كنت أنا خلفها حتى يستعد عقلك لمواجهة القادم.

التفت هشام بذهول إلى والده:

أنت!

ابتسم وليد ابتسامة باهتة:

- نعم، أرسلت بعض الكائنات الضعيفة فقط من أتباعي لتهيئتك للقادم، لو كنت خضت رحلة الحصول على الحجر الساقط بدون أن تستعد ويتفتح عقلك لكل الغرائب لما كنت ستنجح أو هكذا أظن.

همس هشام بشكل آسف:

لكني لم أنجح في النهاية. قشمين تحرر والأرض بدأت مرحلة النهاية!

تبادل وليد النظرات مع حارس المسار ثم قال لـ هشام:

- لكل نهاية بداية.

رفع هشام رأسه إلى والده ثم إلى حارس المسار وقال:

- سمعت كثيرًا تلك الجملة تتردد. ثم صمت وفكرة تدور في رأسه وتابع: هل تقصد؟!

ابتسم وليد وقال:

- نعم، هذا كان دورك المرسوم. العودة إلى معركة قشمين مع الحراس والقضاء عليه بقوة الحجر كاملة؛ لأنها الوحيدة القادرة على قتله خاصةً وأنك أصبحت الحارس الأعظم.

تعجب هشام وقال: لكني لم أحصل على قوة الحراس الكاملة بعد، وأيضًا الجزء الأخير من الحجر الذي في لسانك!

قاطعه وليد:

وهذا كان دوري أنا في المسار، أن أكون معك هنا، أن أحرر القطعة الأولى وأبدأ كل شيء، ثم بدمي أقدم التضحية الأخيرة لتعيد المسار إلى طريقه الصحيح.

لم يفهم هشام ما يقصده والده، ونظر إلى التابع الذي ظل صامتًا وقال برصانة لوليد:

- كما قالت النبوءة.

قبل أن يستوعب هشام الحديث الغريب بين والده وحارس المسار، نزع وليد الخنجر من حزام ابنه ثم أولجه في صدره!

انطلقت صرخة هلع عالية في المكان من هشام الذي شاهد أبوه يقتل نفسه أمامه، فيما سقط جسد وليد على الأرض وسالت منه الدماء وقال:

- هنا فقط في المسار، يقدر الحراس على تخليص حياتهم، هنا فقط تجوز التضحية حتى يعيدك المسار إلى البداية لتصحح الوضع. ثم سعل بوهن وأضاف: كان هذا دوري منذ اختياري حارسًا، ثم هدأ صوته وبدأ يخفت وتمتم "كان دوري... دور...".

صرخ هشام بلوعة وهز جسد والده بحسرة والدموع تنسال من عينيه بحرقة، وظل بجانبه حارس المسار واقفًا لثوانٍ وقال بهدوء:

- لا وقت لدينا، بخروج قشمين سيبدأ مسار جديد للبشر، ويمكن أن يدخل في أي وقت هنا ويدمر كل شيء بعد أن أصبح لديه قوة لا أحد يقدر على إيقافها حتى الحراس.

رفع هشام رأسه إلى الحارس ومسح دموعه وقال بحسم:

افعل دورك المرسوم.

***

(البداية والنهاية)

وجد هشام نفسه أمام جبل شاهق ونظر خلفه ووجد رجلين يقفان أمام ثالث راقد على الأرض.

اقترب منهما فالتفت أحدهما إليه فيما توقف هشام مذهولًا وقال: "حارسا النور والمعرفة!".

ابتسم الحارسان، فيما حاول قشمين رفع رأسه بصعوبة والنظر إلى هشام وقال بتعجب: "من هذا؟! وما تلك الملابس الغريبة التي يرتديها؟!".

أجابه حارس المعرفة:

"هذا هو الخلاص، ألم أقل لك إن قدرك الموت هنا والآن ولو سجناك آلاف السنين؟!".

حاول قشمين أن يضحك ساخرًا:

"قلت لك لا أحد يستطيع قتلي إلا قوة الحجر الساقط كاملة أو الحارس الأعظم".

أشار حارس النور إلى هشام الذي اقترب وتخطى الرمال حتى وصل إليهم:

هذا هو الحارس الأعظم.. وتابع ساخرًا: "ومعه قوة الحجر الساقط كاملة!".

بهتت ملامح قشمين وقال باسترجاء: لا يمكن، رفيسول في جوف الأرض ولن يخرج إلا بعد آلاف السنين، الحارس الأسود ليس هنا، لا يمكنكم قتلي، هكذا قال سيدي.

اقترب هشام من قشمين ونظر إليه باحتقار:

"سيدك هذا نال جزاءه منبوذًا، وكذلك أنت، الكل ينال جزاءه، هكذا مسار الحياة، وهذا دورنا نحن الحراس".

ثم رفع يديه إلى الأعلى وهو يتمتم بكلمات المعرفة وأخرج من جيبه خنجره الأسود الذي نظر إليه قشمين مذهولًا وهو لا يعلم من أين جاء، فيما ضربت صواعق سوداء وحمراء المكان فجأة ودوّى صوت مخيف من أثر الطاقة الكاملة التي أطلقها هشام، ثم هبط بسرعة بالخنجر على جبهة قشمين لتنكسر جمجمته وتفور الدماء من رأسه وانتفض جسده بعنف حتى خمدت حركته تمامًا.

ساد الصمت دقائق وهشام لا زال مثبتًا الخنجر في جبهة قشمين، وشعر بأيدي الحارسين على كتفه، والتفت ووجد ابتسامة على وجهيهما قابلها بنظرة ثقة، ثم اختفى كل شيء.

(النهاية)

فجأة استيقظ هشام ووجد نفسه على السرير في غرفته المظلمة، الطقس بارد ولكنه يشعر بحرارة في جسده ورقبته تؤلمه. مد يده وعقله يتذكر كل ما مر به، ولكنه لم يجد الندبة أو قطعة الحجر الساقط في رقبته.. كان يحلم!

نهض وتحسس جسده جيدًا ولكنه لم يجد أي شيء أو أثر.

نظر في هاتفه بسرعة ثم إلى تاريخ اليوم ووجده نفس الوقت الذي استيقظ فيه قبل بداية كل الأحداث.. يوم وفاة والدته!

شعر بدوار في رأسه وخرج ووجد أمامه آخر شيء يتوقعه!

أمه!

كانت واقفة أمامه ترتدي إسدال الصلاة وقالت له بحدة ممزوجة بالعتاب: "تأخرت في النوم، لا أعلم كيف يستيقظ أبناء هذا الجيل في الحادية عشرة ظهرًا ويضيعون بركة اليوم!".

لم يستوعب هشام ما رآه. فرك عينيه واقترب من أمه واحتضنها بقوة جعلتها تنظر إليه باستغراب وقالت بصوت قلق: "هل أنت بخير؟!".

هز رأسه وقال: "نعم نعم، بخير!".

اتجهت إلى غرفته لتدخل وقالت: "حلمت بوالدك، يبدو أنه نادم على تركنا فجأة منذ 20 عامًا!".

انتفض جسد هشام حين سمع أمه ولم يعلق ولكنه دخل إلى الحمام وشعر أنه جن!

والده اختفى منذ 20 عامًا، هل هذا كان المسار الطبيعي لوالده؟! أن ينجبه فقط ثم يستكمل مهمته كحارس أسود؟ وبالتأكيد لهذا السبب ظلت أمه حية؛ لأنها لم تمسك بالخنجر بالأساس!

هل كان حلمًا أم أن الحراس نجحوا في الحفاظ على مسار الحياة الصحيح!

ضرب وجهه بالماء البارد ونظر إلى نفسه في المرآة المعلقة أمامه، وحاول أن يفهم أي شيء، وفجأة ضرب صوت عقله: "نحن الحراس، نحن الحراس، نحن حماة الحياة، نعيد الأقدار إلى نصابها ولو طال الزمان، نحن الحراس نحن الحراس، ندين للحارس الأعظم بإنقاذ مسار الحياة!".

أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة
والنادرة والجديدة

مكتبة بيت الحصريات أسم على مسمى